

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 104 - NINTH YEAR - NOV. 1985.

العدد (١٠٤) ـ صفر ١٤٠٦هـ ـ السنة التاسعة ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥م.



في هذا العدد

«آيو» ... قمر المشتري العجيب!

واحد من أغرب عوالم المجموعة الشمسية ..

واحد من أقمار كوكب «المشتري» ..

يلعب دوراً هاماً في تعديل الموجات الإشعاعية العنيفة التي يصدرها المشتري .

النشاطات البركانية ، التي تحدث على سطحه .. لا مثيل لها ، من حيث قوتها وعددها ، في باقي كواكب وأقمار المجموعة الشمسية .

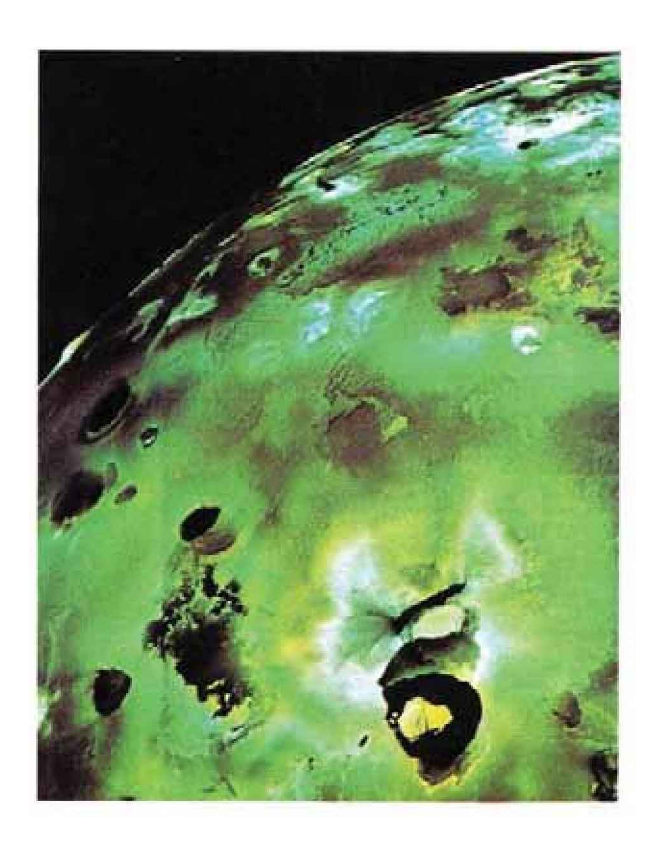
هذه الظواهر .. طرحت الكثير من التساؤلات حول تركيب سطحه ..

وسجلت العديد من الأحداث التي لا يملك العلماء أمام تفسيرها .. سوى التخمين والافتراض .

متى يتمكن العلماء من الإجابة على تساؤلات العلماء ..

حول هذا القمر العجيب!

طالع ص (٧٥) .




خلي الضربة تكون خفيفة .. يعني
على قدر يومين أجازة مرضية ..
مو زي المرة اللي فاتت تخليني
ملطوع في المستشفى ستة شهور.

★ قلعة العقبة ★



الآثار الإسلامية

قام الأردن بدور هام وبارز في التاريخ الإسلامي .. منذ دارت على أرضه أول معركة يخوضها المسلمون خارج الجزيرة العربية .. وهي «معركة مؤتة» في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة .. وقد استشهد في هذه المعركة شهداء من خيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعندما وجّه أبو بكر الصديق .. الجيوش لفتح بلاد الشام ، كانت الأردن ساحة للمعارك بين القوات الإسلامية بقيادة شرحبيل بن حسنة وقوات الروم .. في «طبقة فحل» التي تقع في الأغوار الشمالية بالقرب من بلدة «المشارع» وقد انتصر المسلمون في تلك المعركة ، وكان من نتائجها أن فتح المسلمون أجزاء كبيرة من بلاد الشام الجنوبية .

وفي عام ١٨ للهجرة .. وقع «طاعون عمواس» حيث سقط الآلاف من جنود المسلمين كان من بينهم : أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وضرار بن الأزور ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاذ بن جبل الذين ما تزال قبورهم في الأغوار الأردنية تحكي للأجيال قصص البطولة والفداء والتضحية :

وهناك .. بلدة «**أذرح**» بالقرب من مدينة «**معان**» ، حيث جرى التحكيم على رأس جبل **أبي موسى الأشعري** بين جند علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ،

★ حمام السراح ★

ـية في الأردن

بقلم : محمود بيومي

وجند **معاوية بن أبي سفيان** .

كما كان للأردن دور هام إبان **الخلافة الأموية** .. حين بايعت كل الأقطار الإسلامية .. **عبد الله بن الزبير** بالخلافة ولم يبق مؤيداً للأمويين إلا جند الأردن الذي استطاع أن يعيد الخلافة إلى الدولة الأموية ..

وما تزال حتى اليوم القصور الأموية في البادية الأردنية مثل قصر عمرة ، والطوبة ، والمشتى ، وحمام السراح ، والأزرق ، والخرّانة .

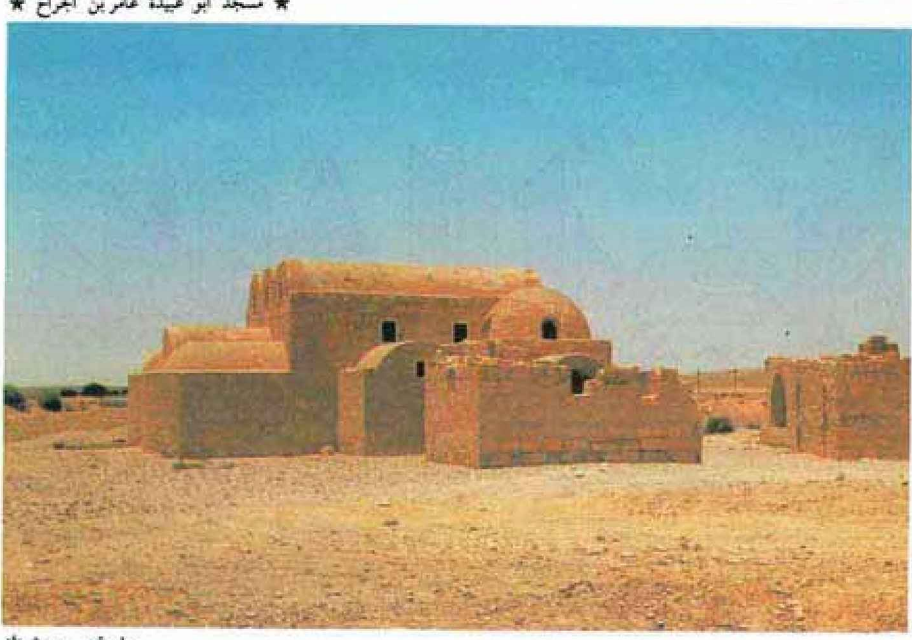
★ قلعة الكرك ★



★ مسجد أبو عبيدة عامر بن الجراح ★

كما اتخذ **العباسيون** بلدة «الحميمة» في جنوب «معان» مركزاً لنشر دعوتهم وتقويض دعائم الدولة الأموية.. كذلك فقد اهتم **الأيوبيون والمماليك** بالأردن.. حيث كانت بمثابة الحصن المنيع الذي وقف في طريق توسع الصليبيين في البلاد الإسلامية.. فهنالك القلاع الإسلامية من شمال الأردن إلى جنوبه مثل «قلعة الربض»، و«قلعة السلط»، و«قلعة العقبة».

وفي **العصر العثماني** لم يفقد الأردن أهميته فهناك الآثار التي تعود إلى هذا العصر مثل «قلعة الطفيلة»، و«قلعة القطرانة».



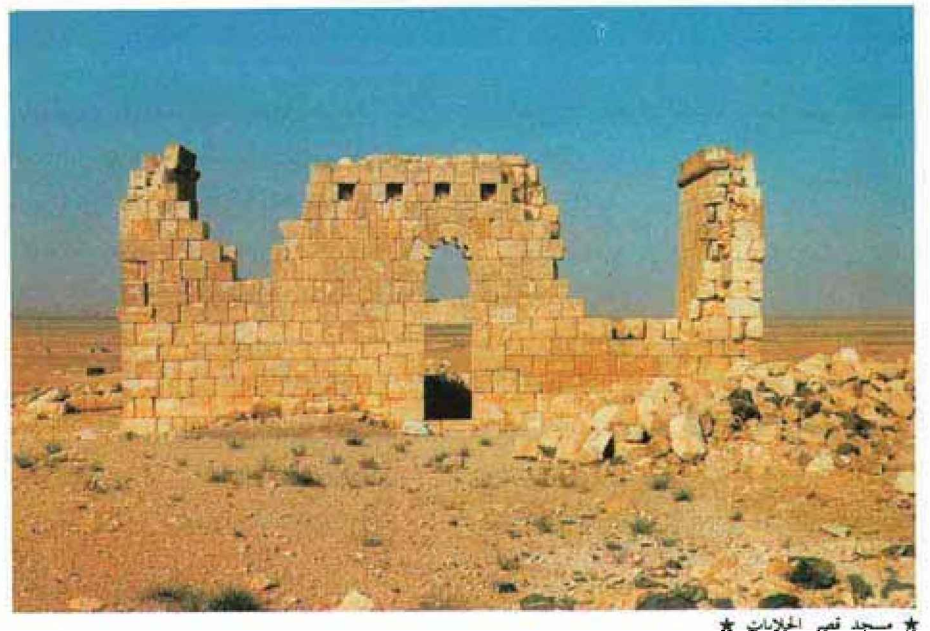
★ قصر عمرة ★

وقد قمت بزيارة للأردن بهدف التعرف على الآثار الإسلامية الموجودة بها.. حيث زرت الأرض التي دارت عليها أول معركة إسلامية خارج الجزيرة العربية في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام.. وهي معركة مؤتة.. وزرت المساجد الأثرية والقلاع الإسلامية والقصور الإسلامية والمزارات التي شيدت لتخليد قصص البطولات الإسلامية لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المواقع التاريخية

وتعتبر **بلدة «مؤتة»** التي تقع إلى الجنوب من **مدينة «الكرك»** بحوالي ١٢

★ مسجد معاذ بن جبل ★



★ مسجد قصر الحلابات ★

كيلومتراً ، من أهم المواقع التاريخية بالأردن .. وفيها آثار تعود إلى العصر الحديدي والروماني والبيزنطي .. وقد قام حاكمها « **شرحبيل بن عمرو الغساني** » بقتل « **الحارث بن عمير الأزدي** » الذي أرسله الرسول عليه الصلاة والسلام برسالة إلى امير **بصرى الشام** ، فكان ذلك من الأسباب الرئيسية لمعركة « مؤتة » المشهورة في التاريخ الإسلامي .

ثم أرسل النبي **صلى الله عليه وسلم** بعد مقتل « الحارث بن عمير » سرية إلى **ذات أطلاح** برئاسة « **عمرو بن كعب الغفاري** » وعدد رجالها (١٥) رجلاً .. وفي هذا المكان الذي يقع بين « الكرك » و « الطفيلة » دعا رجال السرية أهله إلى الإسلام فرفضوا وقتلوا أصحاب عمرو جميعاً واستطاع أحدهم ـ وقد كان جريحاً ـ أن يصل إلى المدينة وينقل ما حدث لإخوانه ، إلى الرسول **صلى الله عليه وسلم** .. إلى جانب الاعتداءات المتكررة على قوافل المسلمين ، وتجمعات جيوش الروم وحلفائهم .. كل هذه الأسباب أدت إلى إعداد حملة من القوات الإسلامية تضم ثلاثة آلاف مقاتل ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أمير الجيش **زيد بن حارثة** فإن قتل **فجعفر بن أبي طالب** فإن قتل **فعبد الله بن رواحة** فإن قتل عبد الله بن رواحة ، فليرتض المسلمون من أحبوا .. » .

وقد سارت الحملة من المدينة إلى **الجوف «دومة الجندل»** ومنها اتجهوا شمالا حتى نزلوا «معان» . . والتقى الجيشان في «مؤتة» ، حيث كانت قوات الأعداء مائة ألف من الروم ومثلها من القبائل المتحالفة معها . . وقد أبلى المسلمون بلاءً حسناً حتى استشهد القواد الذين عيّنهم الرسول ، وتولى القيادة **خالد بن الوليد** الذي نظم قواته وانسحب دون خسائر .

مشهد شهداء مؤتة

وقد تسابق حكّام المسلمين عبر العصور المختلفة على الاهتمام بساحة هذه المعركة الإسلامية والحفاظ على آثارها . . التي ظلت صامدة رغم عوادي الزمن .

فقامت **وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية بالأردن** بإجراء الحفريات لإبراز الموقع الذي دارت عليه معركة مؤتة ، وأحاطت الموقع الذي يضم رفات الشهداء التسعة ، وبنت نصباً تذكارياً يضم أسماءهم وأسماء القادة الذين عيّنهم الرسول عليه الصلاة والسلام . . كما قامت بإنشاء «متحف» يضم الآثار المتبقية من هذه المعركة .

مساجد بأسماء الصحابة

كما قامت ببناء مساجد بأسماء الصحابة الذين تولوا قيادة المعركة وكتبت لهم الشهادة . . فهناك **مسجد عبد الله بن رواحة** ، ويقع في بلدة مؤتة ، ويبلغ طوله ١٥ متراً وعرضه ١٠ أمتار ، ومحراب المسجد واضح وارتفاعه عن الأرض ١,١٠ متر وقطره ٨٥ سم ، وقد عثر على بلاطة مكتوب عليها «في هذا المكان استشهد سيدنا عبد الله بن رواحة» .

كما بُنيَ مسجد باسم جعفر بن أبي طالب ، وآخر باسم زيد بن حارثة رضي الله عنهما .

جبل أبي موسى الأشعري

ويقع على بعد ٢٥ كيلومتراً من مدينة «معان» ، وفي هذا الموقع جرى التحكيم بين جند علي بن أبي طالب وجند معاوية بن أبي سفيان . . ففي **معركة «صفين»** وبعد أن دارت الدائرة على جند معاوية . . أشار **عمرو بن العاص** برفع المصاحف على أسنة الرماح يريدون بذلك أن يوقفوا الحرب وأن يحكّموا كتاب الله عز وجل . . فاختار جند علي أبا موسى الأشعري ، واختار جند معاوية عمرو بن العاص . . وعلى هذا الجبل جرى التحكيم كما هو مشهور في التاريخ الإسلامي .

طبقة «فحل»

وتقع في **الأغوار الشمالية بالأردن** . . وعلى أرضها وقعت معركة فاصلة بين المسلمين بقيادة شرحبيل بن حسنة ، والروم . . وقد انتصر المسلمون في هذه المعركة ، وكان من نتائجها أن فتحت أجزاء كبيرة من الأردن وفلسطين .

الحميمة .. مركز الدعوة العباسية

وقد اتخذ العباسيون من بلدة **«الحميمة»** التي تقع اليوم على بعد ٨٠ كيلومتراً إلى الجنوب من «معان» . . مركزاً لنشر دعوتهم وتقويض دعائم الدولة الأموية خاصة وأنها كانت تقع على طريق القوافل التجارية .

القلاع الإسلامية بالأردن

ويوجد بالأردن العديد من القلاع الإسلامية التي شيدت في أزمنة مختلفة ، ومن أهمها : **قلعة الربض** التي تقع في بلدة



★ قصر الحلابات ★



★ قلعة الربض ـ عجلون شمال عمان ★



★ قلعة الطفيلة ★

«عجلون» وقد بناها عز الدين أسامة احد قواد صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٤ ميلادية، وقد لعبت هذه القلعة دوراً هاماً في صد هجمات الصليبيين ومنعهم من التوسع في الأقطار الإسلامية المجاورة، وقد جرى توسيع هذه القلعة سنة ١٢١٤ ميلادية.

أما قلعة «السلط» فيعود تاريخ إنشائها إلى العصر الأيوبي فقد دمرت ولم يبق منها سوى الأطلال وهي موجودة بمدينة «السلط».. أما قلعة «العقبة» فقد أنشأها السلطان قنصوه الغوري، ويرجع تاريخها إلى العصر المملوكي وتقع في مدينة العقبة.. أما قلعة «الكرك» فقد بناها الصليبيون في مدينة الكرك ثم استولى عليها المسلمون وقد أصلحها ورمم مبانيها الأيوبيون والماليك، وكذلك قلعة «القطرانة» التي تقع في بلدة القطرانة على طريق عمّان ـ الكرك، فيعود تاريخ بنائها إلى العصر المملوكي.

القصور الإسلامية

ومن أهم القصور الإسلامية بالأردن.. قصر «عمرة» الذي يقع في الصحراء الأردنية على بعد ٥٠ ميلاً من العاصمة عمّان.. وهو عبارة عن حمام وقصر صيد صغير.. وهو من أكثر القصور الصحراوية احتفاظاً بشكله وبنائه، وقد شيّد في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك حوالي سنة ٧١٠ ميلادية، وما تزال الرسوم والنقوش البديعة التي تظهر على جدرانه خير شاهد على روعة الفن الإسلامي في ذلك العصر.

وعلى بعد ١٢ ميلاً من عمّان يوجد «حمام السراح» وقد بناه الخلفاء الأمويون وهو يشبه قصر عمرة، ولكنه أدق منه في البناء.. وعلى بعد ١٢ ميلاً إلى الجنوب من قصر عمرة.. يوجد قصر «الخرانة» الذي بناه الأمويون في القرن الثامن الميلادي، وهو أحد القصور الذي استخدم كاستراحة للأمراء بعيداً عن حياة المدينة.. أما قصر «المشتى» فيقع على بعد ٢٠ ميلاً من جنوب عمّان.. ويمتاز هذا القصر بزخارفه الجميلة المحفورة في الصخر.. وقد شيد الأمويون قصراً يشبه قصر المشتى على بعد عشرة أميال من جنوب عمّان، ولم يبق منه غير الأطلال.

المزارات الإسلامية

وتكثر في الأردن المزارات الإسلامية.. التي تضم رفات صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين استشهدوا فوق الأرض

الأردنية .. ومنها مقام **الحارث بن عمير الأزدي** الذي يقع على بعد ٢٠ كيلومتراً من جنوب مدينة الطفيلة .. وهذا الصحابي هو رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمير بصرى الذي قتله حاكم مؤتة .

● **مقام ضرار بن الأزور**: يقع في الأغوار الوسطى .. وقد اشترك هذا الصحابي الجليل في **حروب الردة** وفتح العراق والشام ومصر وكانت تشاركه في القتال أخته **خولة بنت الأزور** .. ويوجد إلى جوار المقام مسجداً صغيراً باسمه بني في عام ١٣٧٣ للهجرة .

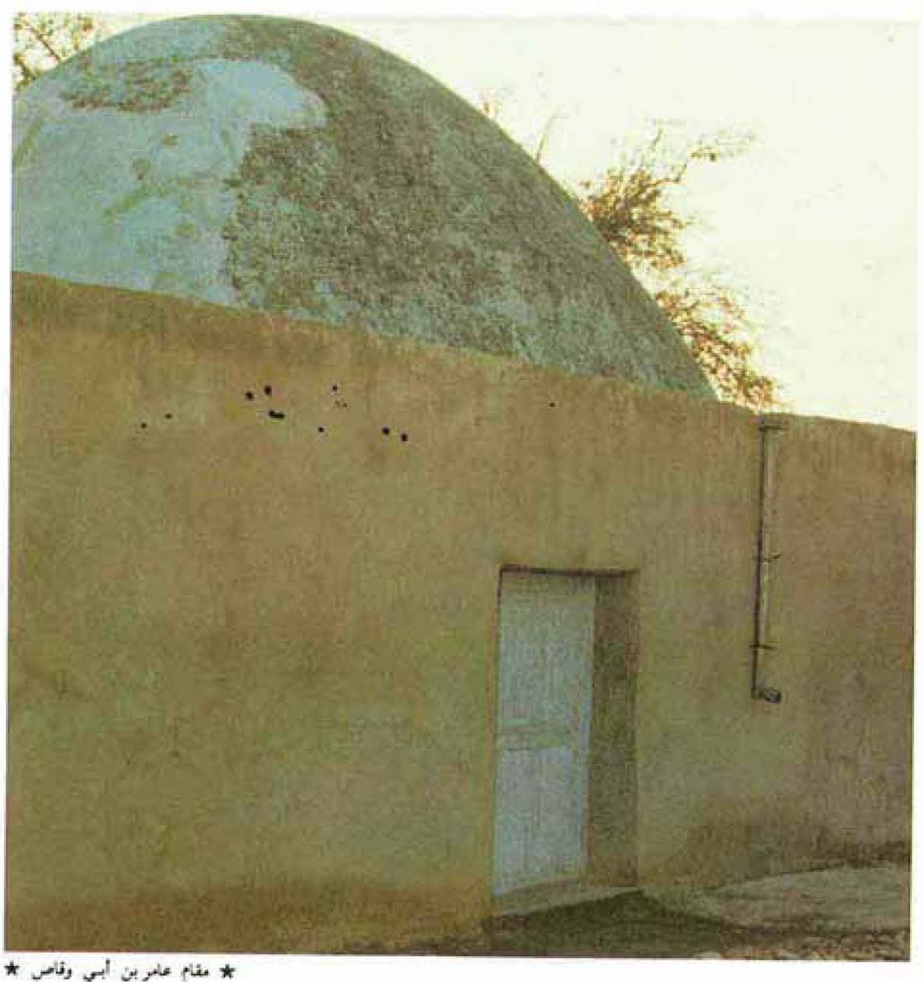
● **مسجد ومقام أبي عبيدة عامر بن الجراح**: يقعا في الأغوار الوسطى أيضاً ، وقد بني المقام في عهد **السلطان بيبرس المملوكي** . أما المسجد فقد أنشئ عام ١٣٦٦ للهجرة ، وتمت توسعته عام ١٣٧٤ للهجرة .. والمسجد يعتبر من المساجد الكبرى ومزود بالماء والكهرباء والأثاث الفاخر وبه مبردات للمياه .. والصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح هو أمين الأمة وفاتح الشام ، وقد توفي سنة ١٨ هجرية ، في طاعون عمواس .

● **مقام الصحابي عامر بن أبي وقاص**: يوجد في قرية «**وقاص**» في الأغوار الشمالية وصاحبه اشترك في فتوح الشام واستشهد في معركة فحل .

● **مقام الصحابي شرحبيل بن حسنة**: يقع في **وادي اليابس** إلى الشمال من مقام أبي عبيدة .. ويوجد عند مدخل المسجد نصب مكتوب عليه « الصحابي القائد شرحبيل بن حسنة توفي سنة ١٨ هجرية ، عن عمر (٦٨) عاماً رضي الله عنه .. قائد جيش فتح الأردن ـ فاتح بيت رأس فحل ، بيسان ، طبريا ، جرش . ساهم في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحروب الردة ومعركة اليرموك ، فتح الشام وبصرى وأجنادين والقدس ، كما ساهم في معارك العراق مع خالد بن الوليد ، وكان سفير رسول الله إلى مصر ـ كاتب الوحي » .

● **مسجد ومقام معاذ بن جبل**: يقعا في **قرية الشيخ معاذ** بالقرب من **بلدة الشونة الشمالية** .. والمسجد والمقام حديثا البناء تعلوهما خمس قباب .. ومعاذ بن جبل رضي الله عنه هو رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن .. اشترك في فتوح الشام وتولى قيادة جيوش المسلمين يوم وفاة أبي عبيدة ، وتوفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هجرية ، ويوجد بنفس المقام .. مقام ابنه سليمان بن معاذ بن جبل رضي الله عنهما .

● أما **مقام ميسرة** فيقع في قرية تحمل اسمه ، وتبعد عن مدينة السلط بحوالي ١٠ كيلومترات .. والصحابي الجليل هو **ميسرة بن مسروق العبسي ، وفي بلدة سنوم الشناق** يقع مقام الصحابي الجليل **أبو الدرداء** .



★ مقام عامر بن أبي وقاص ★

● كما يوجد مقام **النبي شعيب** في وادي شعيب .. وقد بني إلى جواره مسجد حديث يحمل اسمه .. وتوجد هناك عشرات من مقامات الصحابة رضوان الله عليهم .

المساجد الأثرية

وتوجد بالأردن العديد من المساجد الأثرية ومن أهمها : **مسجد أهل الكهف** الذي بني فوق الكهف الذي أوى إليه الفتية الذين وردت قصتهم في القرآن الكريم .. ولم يبق من هذا المسجد إلا جزء من الجدران وبعض الأعمدة وجزء من القبلة والمنبر وقاعدة المئذنة .. **كما يوجد أطلال مسجد آخر أمام مدخل الكهف الذي يقال عنه إنه الكهف الوارد بالقرآن الكريم** .. وقد زرت موقع الكهف ورأيت بداخله القبور الصخرية والكهف بداخله فجوة تطل إلى أعلى الكهف ، وتوجد بداخله بعض الآثار التي عثر عليها أثناء

★ مسجد القسطل ـ غرب عمان ★

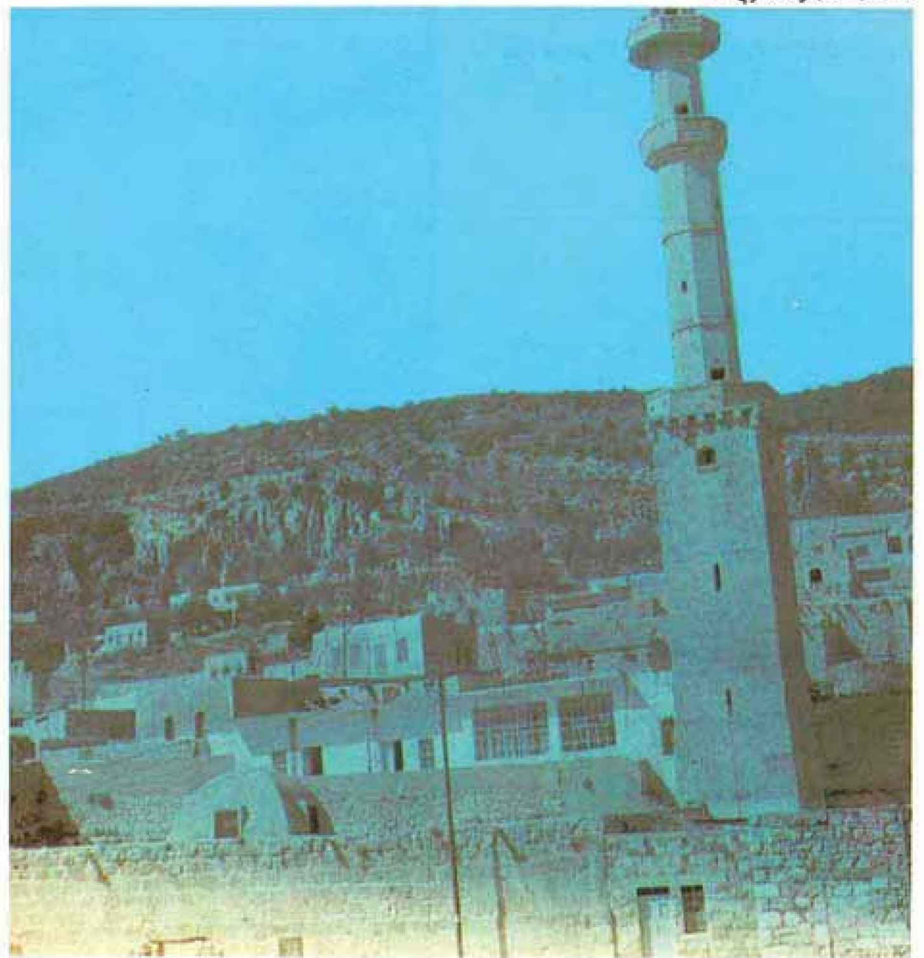
الحفريات .. وقد قامت وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية بإنشاء مسجد حديث مجاور لهذا الموقع أطلقت عليه مسجد أهل الكهف .

● **مسجد عجلون :** يقع في منتصف مدينة عجلون تقريباً .. وقد تم بناؤه في عهد **السلطان نجم الدين أيوب** سنة ٦٤٥ هجرية ، ويبلغ طوله ٢٧,٥ متراً وعرضه ١٤,٧٠ متراً ، وقد تم إنشاء مئذنة المسجد في عهد السلطان المملوكي بيبرس سنة ٦٦٢ هجرية .

● **مسجد كفير أبو سريوط :** يقع في قرية بهذا الاسم بالقرب من « **مأدبا** » ، والمسجد حالياً عبارة عن بقايا جدران من حجارة كبيرة مربعة الشكل وبابه من الشمال ومحرابه إلى الحائط الجنوبي .

● **مسجد حيراي الأثري :** يقع في

★ مسجد عجلون الأثري ★



بلدة حيراي شمال إربد بحوالي ١٥ كيلومتراً وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله ٣٠ متراً وعرضه ١١,٥ متراً وله محرابان ، وهو متهدم ولا يظهر منه إلا الجدران ، ويعود تاريخ إنشائه إلى عصر المماليك .

● **مسجد ياجوز** : يقع في بلدة ياجوز التي تبعد عن عمّان ١٥ كيلومتراً ويبلغ طوله ٢١,٤٠ متراً وعرضه ٧,٣٠ أمتار وارتفاعه ٦ أمتار ، ويعود تاريخ بنائه إلى عصر الفتوحات الإسلامية .

● **مسجد جلعاد الأثري** : الذي يوجد ببلدة **جلعاد** التي تبعد ١٨ كيلومتراً إلى الشمال من مدينة السلط وهو مربع الشكل طول ضلعه ٦ أمتار .

● **مسجد سوف الأثري** : يقع في بلدة سوف بالقرب من **مدينة «جرش»** ويعود إلى زمن **الخليفة عمر بن عبد العزيز** .

هذه هي الآثار الإسلامية التي تزخر بها أرض الأردن ، والتي تمثل أزمنة مختلفة من التاريخ الإسلامي . . ماثلة حتى اليوم شاهدة على قصص البطولة والفداء لأجدادنا المسلمين .

المراجع

١ ــ زيارة عمل ميدانية بالمملكة الأردنية الهاشمية ، زرت خلالها المواقع الواردة بهذه الدراسة .

٢ ــ الاطلاع على وثائق قسم الآثار الإسلامية بوزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية .

٣ ــ دليل مؤتة ومزار ــ عبد الله نسور ــ عمّان .

٤ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة ــ لابن كثير .

٥ ــ الطبقات الكبرى ــ لابن سعد .

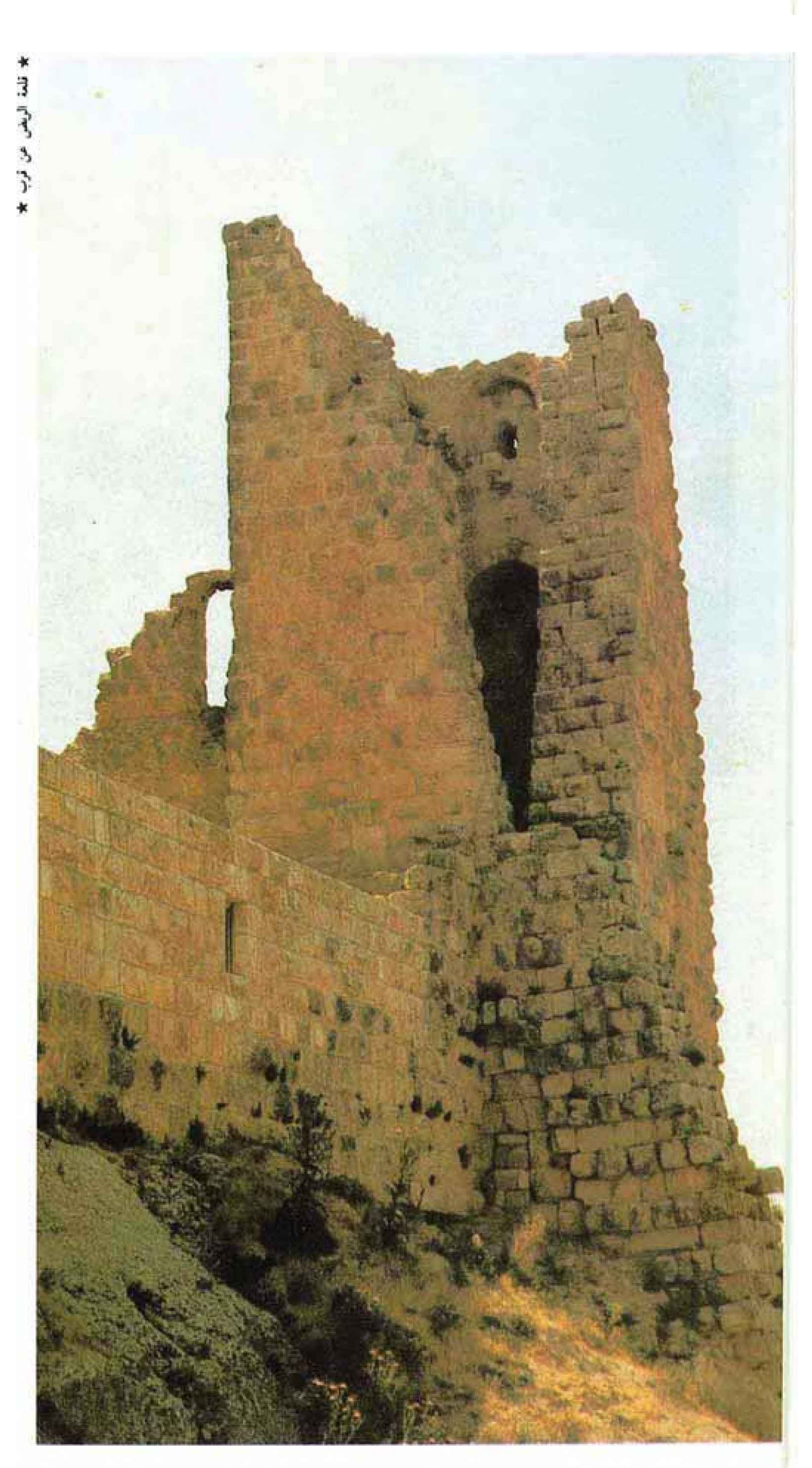
٦ ــ تاريخ فتوح الشام ــ للأزدي .

٧ ــ معركة مؤتة : محمود بيومي ، جريدة « اللواء الإسلامي » ــ القاهرة .

٨ ــ أهل الكهف : محمود بيومي ، جريدة « اللواء الإسلامي » ــ القاهرة .

٩ ــ التحكيم : محمود بيومي ، جريدة « اللواء الإسلامي » ــ القاهرة .

١٠ ــ النبي شعيب : محمود بيومي ، جريدة « اللواء الإسلامي » ــ القاهرة .



★ قلعة الربض عن قرب ★

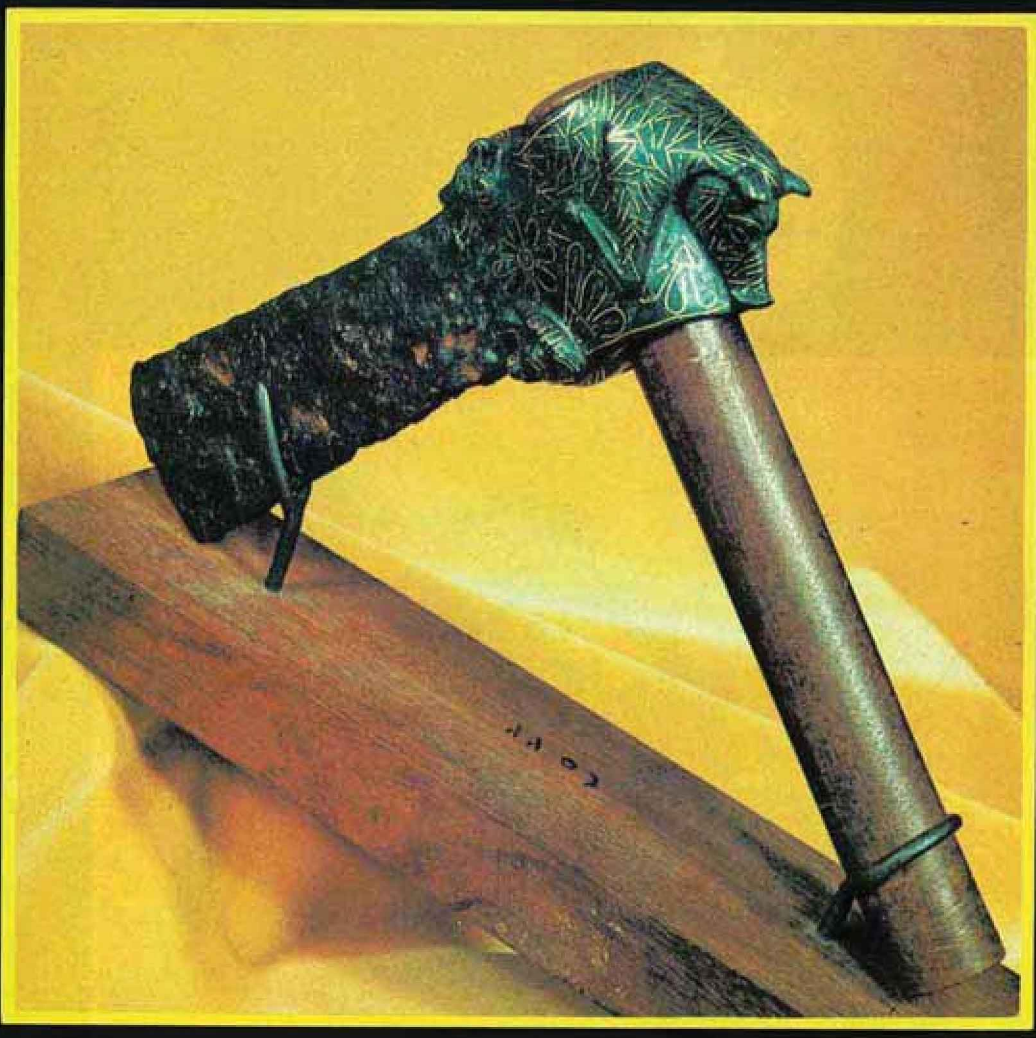


★ صقر محلى بالذهب من آثار أوغاريت (١٤ ق . م) ★

المتحف الوطني في حلب

بقلم: فيصل محمد شقير

المتحف ـ أي متحف ـ سجل للحضارة والتراث الإنساني، ومركز إشعاع علمي وفني، يسهم إلى حد كبير في نشر الثقافة التاريخية وتنمية الإدراك الحضاري، وتطوير التذوق الفني.





★ فأس معدني محلى بالذهب (١٤ ق.م) ★

إنشاء المتحف

تمتع متحف حلب بشهرة واسعة لاحتوائه على آثار ترجع إلى بداية الحضارة الإنسانية في العالم، ولقد تم إنشاء هذا المتحف في عام ١٩٢٨م، أما المتحف الجديد، فقد شيد بناؤه عام ١٩٦٦م، **وهو يتألف من اربعة أقسام رئيسية هي:**

- **فرع الآثار القديمة.**
- **فرع الآثار الكلاسيكية.**
- **فرع الآثار العربية الإسلامية.**
- **جناح الفن الحديث.**

فرع الآثار السورية القديمة

وهو من أغنى الفروع، نظراً لأن المناطق الشمالية من سورية تحوي روائع آثار الماضي العريق التي ترجع إلى الألف الرابع قبل الميلاد وحتى قبيل **العهود الهلنستية**، وهي فترة خصبة تعاقبت فيها مناطق وحضارات مختلفة في سورية مثل: **ماري [تل الحريري]، وغوزانا [تل حلف]، وإيبلا [تل مرديخ]، وحدادتو [أرسلان طاش]، ويرسيبا [تل أحمر]، وأوغاريت [رأس شمرة]** وغيرها. ويحتل هذا الفرع معظم قاعات المتحف.

وتبقى المكتشفات التي اكتشفت في حوض الفرات خلال السبعينات في مناطق: المريبط، وأبي هريرة، ومسكنة، وحبوبة، وفري، وسلنكحية، وتل حديدي.. وغيرها من أهم معروضات هذا الفرع، ولقد عرضت آثار هذا الفرع حسب المواقع الأثرية الهامة التي اكتشفت بها.

●● **قاعة الجزيرة السورية**: وتحتوي على معروضات آثار: تل براك ـ شاغر بازار ـ مفيش ـ جدلة، وأهم المحتويات معبد يعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد ومذبح بارتفاع متر ومزين بأحجار كلسية ملونة. كما تحتوي على آلاف القطع الصغيرة ومئات الآلاف من الخرز المصنوع من الحجر والفريت وتمائم من الحجر والعظام، ومجموعة من اللدمى الحيوانية والتمائم وأشكال من الألباستر والفخار والأحجار، ومجموعة من الأواني الفخارية والحجرية وكأس على شكل وجه إنسان ونخبة من الأسلحة البرونزية والحجرية، ومجموعة جيدة من الأختام الأسطوانية والمسطحة من عصور مختلفة، ومجموعة من العقود [الحلي] وهي ذات حبات منوعة الأشكال والمواد، ونماذج من الرقم الطينية بالخط المسماري المتطورة من بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

●● **ماري**: ماري الاسم القديم لحاضرة من أعظم حواضر

العالم القديم على ضفة الفرات الغربية، وتضم هذه القاعة:

★ **نماذج تمثل حضارة الألف الثالث قبل الميلاد،** وهي عبارة عن أوان حجرية ومزهرية مزخرفة بنقوش نافرة، ومزهرية ثانية عليها مشهد صراع بين أسد وثعبان، ونماذج من بقايا تماثيل مختلفة من رؤوس وأقدام وعيون وشعر، وتمثال لامرأة مزدانة بالحلي، وتمثال لرجل يحمل بين يديه كبشاً للتضحية وهو من المرمر.

★ مجموعة من التماثيل الملتحية والعارية الرأس، ومجموعة أخرى للنساء وتمثال لأمير ماري.

★ مجموعة أختام أسطوانية وحلي ذهبية وعقود وأنواع من الأسلحة البرونزية والحجرية.

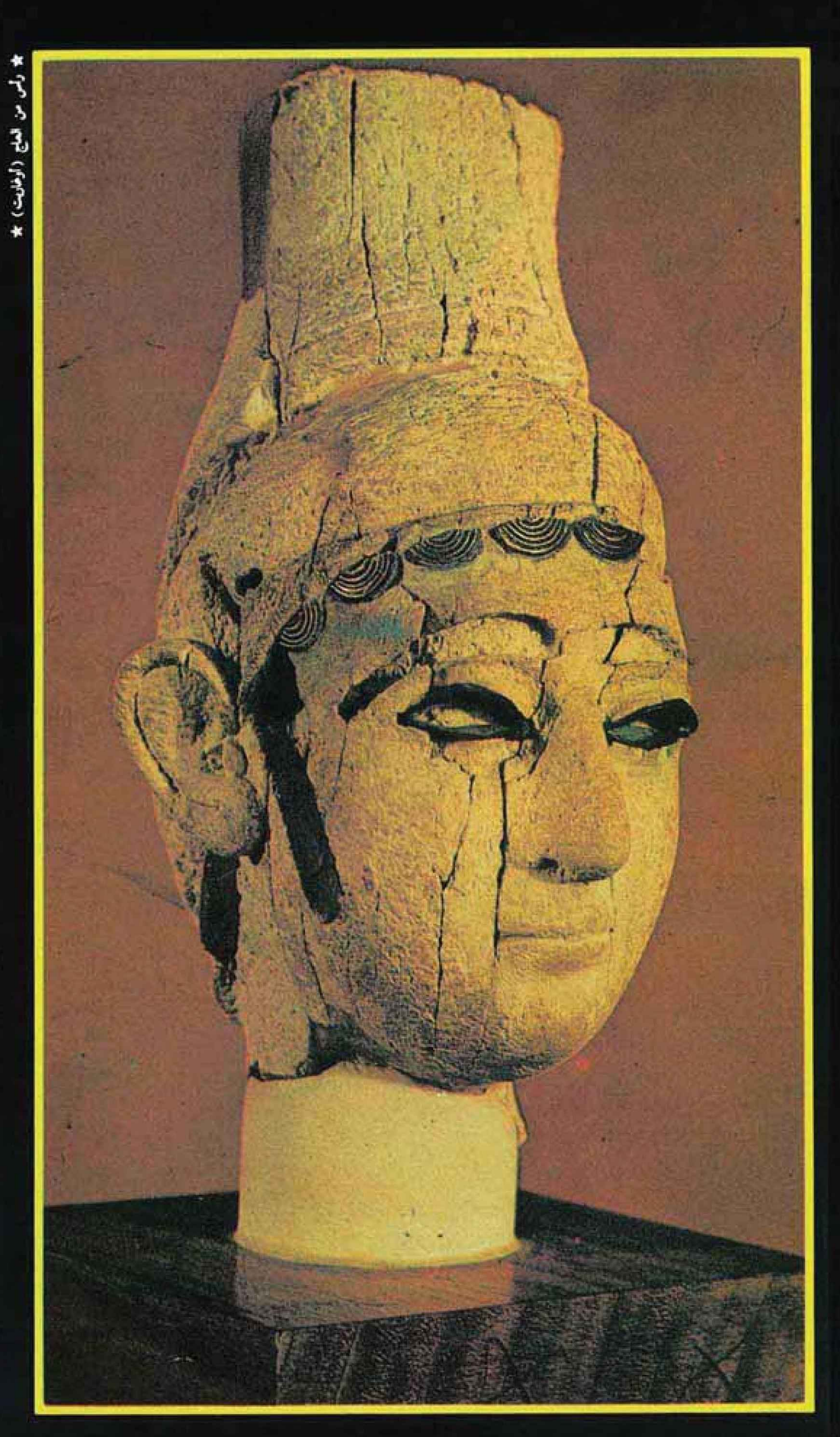
★ مجموعة كبيرة من الدمى البشرية والحيوانية، ونماذج فخارية متعددة.

★ مجموعة من الألواح المطعمة بالصدف والحجر تحمل رسوماً وأشكالا متعددة.

★ تمثال شاماش الذي اكتشفه البدو خلال بحثهم عن شاهدة قبر.

★ تمثال لأسد ماري البرونزي، وتمثال الأمير أشتوب، وتمثال ربة الينبوع.

●● **قاعة حماة:** تحوي قاعة حماة على لقى مختلفة الأشكال والحضارات، وأول نص تاريخي يذكر فيه اسم حماة يعود إلى النصف الأول من الألف قبل الميلاد، وتضم



★ رأس من العاج (أوغاريت) ★

القاعة : تمثال ملتح من البرونز المذهب يجلس على عرشه ، ومجموعة من الحلي الذهبية والفضية وأختاماً مسطحة وقطعاً عاجية دقيقة الصنع ، ونماذج وقطع فخارية ومحاريث بازلتية .

●● قاعة أوغاريت :

أوغاريت الاسم القديم لرأس شمرا إحدى حواضر مدن الساحل السوري ، وتحوي هذه القاعة :

★ صحنين ذهبيين من أبدع ما أنتجته يد الفنان الأوغاريتي يحملان مشاهد رائعة .

★ تمثالا فضياً متزرأ بتنورة ذهبية في يده اليمنى دبوس ذهبي للقتال .

★ مجموعة من النصوص الكتابية باللغتين الأكادية والأوغاريتية .

★ مجموعات مختلفة من القناديل الزيتية والأواني الحجرية والأختام الأسطوانية .

★ بعض التماثيل والمسلات المصرية المكتشفة في أوغاريت .

★ نماذج من الأسلحة البرونزية والأدوات الحجرية المتعددة الأشكال .

★ قطعاً جميلة من العاج .

●● قاعة تل حلف :

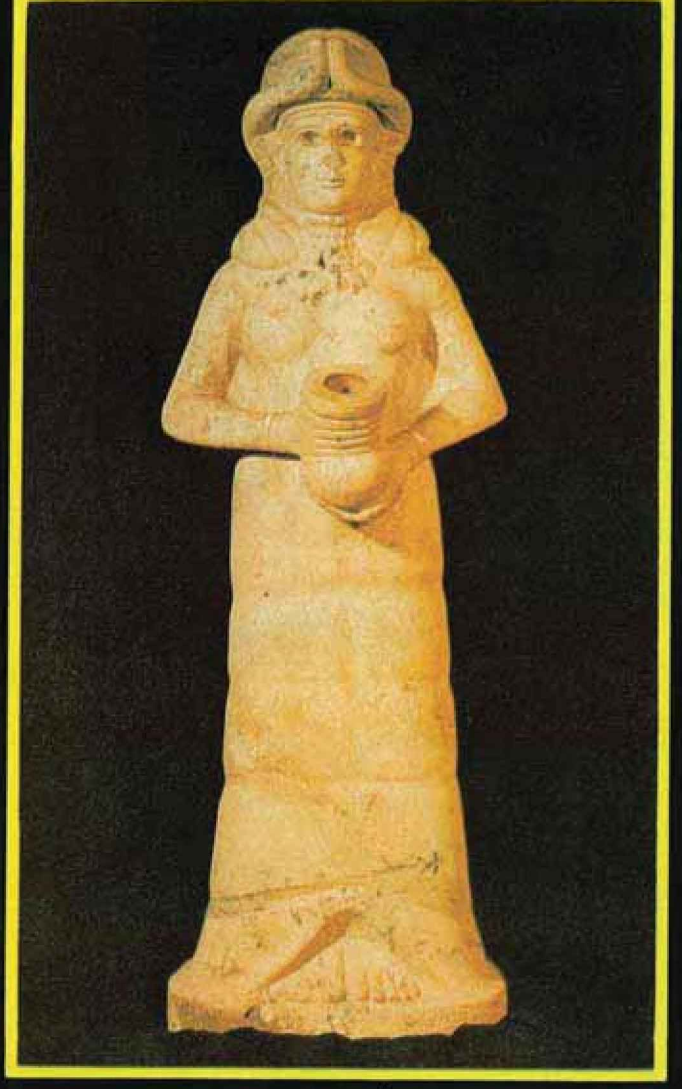
معظم آثار تل حلف سُرِقت إبان **الانتداب الفرنسي** وذهب معظمها إلى **ألمانيا** ، ويستقبلنا عند مدخل القاعة تمثالان ضخمان من حجر البازلت يمثلان امرأتين جالستين تحملان في يمناهما كأساً ، وبين التمثالين نشاهد مشهداً أسطورياً . وهنالك تماثيل أخرى اكتشفت في قصر ومعبد تل حلف ومجموعة من الألواح واللقى .

●● قاعة أرسلان طاش وتل حاجب : تحوي هذه القاعة بعض الألواح التي تمثل مشاهد لحياة أهل هذين التلين ، بالإضافة إلى مجموعة جيدة من القطع العاجية المحفورة التي كانت تزين بها أثاث البيوت ، وفي نهاية القاعة تمثالان لأسدين من البازلت كانا يحرسان أحد أبواب المدينة .

●● قاعة تل بارسيب [تل أحمر] : من معروضات هذه القاعة ألواح تحمل مشاهد متعددة تعود إلى عهد **تغلات بيلصر الثالث** (٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق . م) ، وتحمل رسوماً دينية وتاريخية وأسطورية . وهنالك أيضاً لوح منقوش بالكتابة المسمارية ومسلتان ضخمتان تعود **لآسرحدون** (٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق . م) ، ومجموعة من الأواني الفخارية الجميلة .

●● جناح المنوعات :

ويحوي مجموعات مختلفة من اللقى الأثرية والقطع النحتية الكبيرة ، ومجموعات من الأوزان الحجرية وشواهد القبور **الآرامية** والأدوات والأسلحة البرونزية والأواني الحجرية والفخارية والألواح النحتية والأختام الأسطوانية وبعض المسلات والألواح المزينة بالمشاهد الأسطورية ونسخة جصية عن رأس متوج بعدة قرون **[النسخة الأصل موجودة في متحف اللوفر]** ، ومجموعات من الأواني المختلفة العصور والمصادر .



★ ماري الألف الثانية ق . م ★

فرع الآثار الكلاسيكية

يزخر هذا الفرع بروائع الفن والآثار التي تشكل فصلاً هاماً في تاريخ إبداع النوع الإنساني وقسماً جيداً من موسوعة حضاراته . ففيها تجسيد لأفكاره ومعتقداته وعاداته ، وتدل على ذوقه الفني ومفهومه الجمالي ومهارته اليدوية وخبرته المهنية ، وإن من يتأمل فيها يتخيل أن لكل منها قصة خالدة أو حكاية طويلة تقصها بلغة الفن أو بصوت الصمت فتثير المشاعر .

وتشكل هذه الآثار مجموع كبيرة من الوثائق الهامة التي يرجع إليها في تعيين الحوادث التاريخية ودراسة الابتكارات الحضارية مما يجعلها لا تتعلق بتاريخ سورية فحسب ، بل وبتاريخ الإنسانية ككل .

وإذا كان بعض المستشرقين قد بالغوا في إبراز تأثير حضارات اليونان والرومان في شرقنا العربي ، فإن الاكتشافات الأثرية الحديثة التي ظهرت في



★ أوغاريت ★

مختلف أنحاء سورية كشفت النقاب عن **حضارات الأموريين والكنعانيين والآراميين** وغيرهم ، مما جعل كثيراً من العلماء يدركون مدى تأثر الإغريق والرومان أنفسهم بحضارات شرقنا القديم .

ومن أهم محتويات هذا الفرع نذكر :

بعض التماثيل الصغيرة واللقى المكتشفة في أوغاريت .

★ مجموعات من الأدوات والتماثيل البرونزية الجميلة .

★ مجموعات من التماثيل الرخامية .

★ أدوات برونزية من العهد القيصري من القرن الأول الميلادي .

★ مجموعات من الأدوات والأواني الفخارية المتعددة الأشكال والنماذج والاستعمال التي تعود إلى القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد .

★ مجموعات من النقود اليونانية المتعددة الأشكال .

★ مجموعات من النقود الرومانية المتعددة الأشكال .

★ مجموعات من النقود البيزنطية المتنوعة في الشكل والقيمة .

★ آثار فضية وعاجية وعظمية وحجرية متعددة .

★ نماذج عن فن النحت البازلتي .

★ عدد من اللوحات الجميلة .

★ أواني وأدوات نحاسية .

★ نماذج من صناعة الزجاج الروماني والبيزنطي تعود إلى القرنين الثالث والسادس الميلاديين .

فرع الآثار العربية الإسلامية

ومن أهم معروضات هذا الفرع :

★ **الأواني الفخارية :** ولقد برع الإنسان القديم بصناعة الفخار وتفنن به إلى درجة معجبة ، يزينه بالألوان بعد أن يجلوه ويلمعه ، واستمرت الصناعة راقية عند الأمم حتى أتى العرب المسلمون فأخذوا يتفننون بتزيين الفخار بالحز والوخز والقطع وإضافة أشكال مجسمة ، ثم ابتدعوا صب الفخار بقالب فأحدثوا على سطح الفخار زخارف بارزة نباتية وحيوانية وكتابية وهندسية في غاية من الدقة والجمال . ومن الأواني المعروضة : (الجرار ، الطست ، الأكواب ، القلل ، الأباريق ، المطرات) .

★ **الأواني الزجاجية :** ازدهرت صناعة الزجاج في بلاد الشام قبل الإسلام ، وكان أهم مراكزها : **صيدا وصور وأنطاكية** ، واستمرت هذه الصناعة في العهود العربية الإسلامية حسب الأساليب القديمة المعروفة . ولقد نفخوا الزجاج في قوالب مزينة بزخارف بارزة ، وقاموا بتزيين الزجاج بزخارف ذات بريق معدني ، وبتذهيب الزجاج عن طريق مزج ذرات الذهب بالزئبق ، وكذلك قاموا بتمويه الزجاج بالمينا والذهب . ويعتبر هذا التمويه من أهم ما توصل إليه الفنانون العرب والمسلمون في **القرن السادس الهجري** .

ومن المعروضات الزجاجية نجد : مجموعات من الأواني الزجاجية المصنوعة بطريقة النفخ والمزينة بخيوط وحبال زجاجية مجعدة ، ومجموعات من الزجاج المموه بالمينا والذهب ، وعدد من الأكواب والمكاحل والقوارير وبعض المصابيح والوزنات وغيرها .

جناح الفن الحديث

ويضم هذا الجناح مجموعة من التماثيل الحجرية للرجال والنساء ولبعض الحيوانات ، ولقد نحتت هذه التماثيل برشاقة ودقة متناهية .

المصادر

(١) عدة زيارات ميدانية للمتحف .
(٢) كتاب سورية ، د . شاكر مصطفى [اللوحات] .
(٣) كتاب دليل المتحف الوطني بحلب .
(٤) كتاب دليل المتحف الوطني بدمشق .



●● «ساحرو الثعابين The Snake Chartmers» ●●

● لودويك دويتش ● المدرسة النمساوية ● رسم بالزيت ● ١٨٨٨م ●



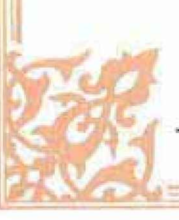
أنتِ الحياة

شعر: حسن عبدالله القرشي

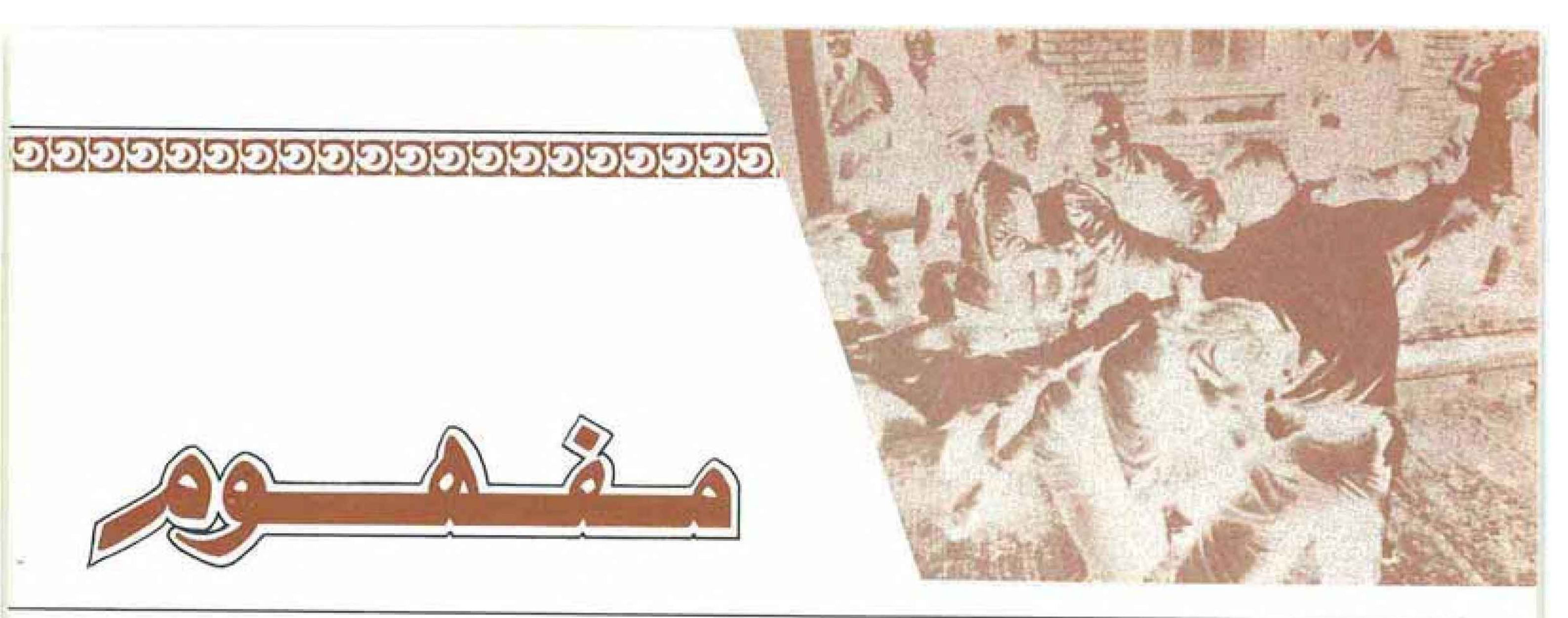
كيف هانَتْ في قلبكَ الذكرياتُ ؟
كيفَ طابتْ من بعدِ حبِّي الحَياةُ ؟
كيف لَمْ تذْكر بُكائي وسهْدي
كيفَ ذاب الحنينُ والصَّبْواتُ ؟
كيفَ لمَّا يَطُفْ بلَيلِكَ ظلِّي
أو تُزَلْزِلْ رقادَكَ الزَّفراتُ ؟
أنتَ يا من تركْتَ قلبي رَماداً
إذ تلاشتْ من مَوْقِدي الجمَراتُ
أنتَ يا مَنْ جَعَلتَ حبِّي جحيماً
ثُمَّ غادرتني ورُوحي فُتَاتُ
قُلْتَ أنتِ الَّتي تَصبَّتْ فؤادي
أنتِ روحي والحُبُّ والنَّفحاتُ
أنْتِ وَمْضُ الغَدِ المؤمَّلِ أنتِ الـ
شوقُ أنتِ النَّعيم والرَّغَباتُ
ثم غادرتَني أليفةَ شجوي
وفؤادي تَغُلُّهُ الحَسَراتُ
أتَراءاكَ في خَيالي وفكري
كلَّ حينٍ فتسخرُ الذِّكرَياتُ !
ويعُودُ الماضي يُقَهْقِهُ في أذْ
ني فأينَ الحنَانُ والأمسياتُ ؟
ويعودُ اللّظى يعربِدُ في جسـ
مي وتَغتالُ روحيَ اللّهفَاتُ !

* * *

لِمَ حطَّمتني وخلَّفتَ قلبي
ثاكلاً لا تثيره النَّسَماتُ ؟!
لِمَ فارقتني ونفسي حُطَامٌ
وسَقَامٌ أيَانَ منه الأساةُ ؟
كلُّ شوقي مجسَّمٌ فيك كلُّ الـ
حب أنت الغرامُ والخَلَجَاتُ ؟
إيه يا قاتلي وسارقَ حظِّي
والَّذي منه تَعذُبُ الترهاتُ !
رغمَ يأسي ورغمَ حرمانِ نفسي
أنا أهواك أنتَ أنتَ الحَياةُ !



من ديوان : النغم الأزرق



مفهوم

لقد أصبحت كلمتا «التقدم» و«التخلف» مفردتين متداولتين في الحديث عن مجتمعات المعمورة في القرن العشرين. وعلى هذا الأساس جاء تقسيم العالم اليوم إلى أصناف تقرب أو تبعد من كلا هذين المصطلحين. فهناك مجموعة العالم الأول التي تشمل أساساً المجتمعات الغربية الصناعية واليابان. أما مصطلح العالم الثاني فطالما يطلق على المجتمعات الاشتراكية الغربية بقيادة الاتحاد السوفييتي. أما العالم الثالث فهو يطلق على المجتمعات النامية.

وأخيراً بدأ بعض المختصين في قضايا التنمية والتخلف في تقسيم مجتمعات العالم الثالث إلى أنواع أخرى سُميت بالعالم **الرابع** أو **الخامس** لشدة انخفاض مستوى الدخل القومي ولمدى تدهور الأوضاع ومرافق الحياة عموماً في هذه المجتمعات. وقد أطلقت الأمم المتحدة على هذا الصنف من شعوب العالم بالمجتمعات الأكثر فقراً. وفي كل هذه الاستعمالات لكلمة «التخلف» يكاد هذا الأخير يفيد دائماً ـ عند الأكاديميين والناس العاديين على السواء ـ التخلف الاقتصادي والاجتماعي والصحي والديمغرافي، أي التخلف الذي يمكن قياسه بسهولة بمؤشرات كَميَّة. أما مظاهر التخلف الأخرى مثل التخلف على المستوى الثقافي والنفسي لشعوب العالم الثالث فنكاد لا نسمع عنها شيئاً في البحوث الأكاديمية على الأقل. ومن هنا جاء اهتمامنا بما سميناه «**بالتخلف الآخر**»[1]، أي التخلف الثقافي ـ النفسي كأحد جوانب التخلف في مجتمعات العالم الثالث. لأن التخلف في نظرنا هو ظاهرة متعددة الرؤوس منها المادي ومنها المعنوي.

و«**التخلف الآخر**» **يمس أساساً الشخصية البشرية**، إذ إن مكونات هذه الأخيرة هي إلى حد كبير عناصر ثقافية نفسية. وواضح أن أي فهم لعملية التنمية في المجتمعات النامية يبقى قاصراً إن هو لم يأخذ بعين الاعتبار ملامح «التخلف الآخر» وانعكاساتها على قضايا التنمية.

فالشخصية المتخلفة ثقافياً ونفسياً طالما يغلب عليها عامل عدم الثقة بالنفس واحتقار الذات. ومن ثم تفتر فيها الدوافع للإنجاز والتغلب على صعاب التنمية. وهكذا فالخروج من التخلف بمعناه العام لا بد أن يشمل التخلص من «التخلف الآخر» وعقده.

وحاولنا من هذا المنطلق أن نجعل من مفهوم «التخلف الآخر» مفهوماً إمبريقياً يصلح استعماله في البحث في المجتمعات العربية وبقية مجتمعات العالم الثالث المعاصرة. وتبلورت صياغتنا الإمبريقية «للتخلف الآخر» من خلال التحليل التالي:

نعرف أن التخلف الآخر يشمل مستويين:

أ ـ **التخلف الثقافي**.

ب ـ **التخلف النفسي**.

أما التخلف الثقافي فله ثلاثة ملامح:

١ ـ **التخلف اللغوي** الذي يتمثل عادة في تخلف استعمال لغة المجتمع الوطنية، وذلك لانتشار استعمال لغة أجنبية محلها في كثير من الميادين خاصة العصرية منها. إن منافسة اللغة الفرنسية للعربية بمجتمعات المغرب العربي مثال على ذلك.

٢ ـ **التخلف الثقافي** الذي يمس ما يمكن تسميته بالزاد المعرفي الذاتي (في العلوم الدقيقة والعلوم الإنسانية والاجتماعية على السواء) لمجتمعات الوطن العربي ومجتمعات العالم الثالث. ففي العصر الحديث



«التخلف الآخر»

بقلم: د. محمود الزوادي

أصبحت هذه المجتمعات تعتمد إلى حد كبير على الزاد المعرفي الغربي في كل هذه العلوم .

٣ ـ التخلف الذي تعرضت له قيم هذه المجتمعات .

فاحتكاك هذه الأخيرة في العصر الحديث بالغرب **الغالب** سمح بانتشار قيمه بين هذه الشعوب **المغلوبة** خاصة قيم التحديث والعصرية . ومن ثم تلاشت بعض القيم التقليدية من جهة ودخلت من ناحية أخرى بعض القيم في **صراع** مع القيم الغربية الغازية . ومن هنا جاء تصورنا للتخلف (للتفقير) على مستوى القيم الأصيلة (الذاتية) هذه المجتمعات .

وباختصار فإن هذه الأصناف الثلاثة للتخلف الثقافي تمثل في النهاية تفقيراً (تخلفاً) لهذه العناصر الثلاثة وهي : اللغة والمعرفة الثقافية والعلمية والقيم الثقافية . وكل هذه العناصر هامة جداً في تركيبة ثقافات مجتمعات العالم الثالث .

إن هذه الملامح الثلاثة للتخلف الثقافي تُحدث بدورها ظاهرة ما أطلقنا عليه أعلاه بالتخلف النفسي . ويأخذ هذا الأخير شكلين :

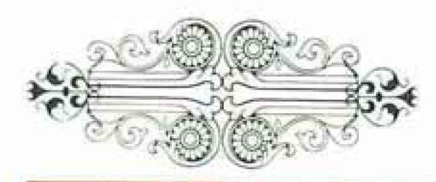
١ ـ ظاهرة الشعور بمركب النقص لدى شعوب العالم الثالث إزاء المجتمعات الغربية . ويرجع هذا أساساً في نظرنا إلى تأثيرات ملمحي (١ و ٢) من التخلف الثقافي المشار إليهما سابقاً .

٢ ـ إن النوع الثالث من التخلف الثقافي (التخلف على مستوى القيم) المذكور آنفاً يمكن أن يؤدي في مجتمعات الوطن العربي والعالم الثالث إلى ما أطلق عليه علماء الاجتماع المعاصرون بالشخصية المضطربة (disorganized personality) التي يمكن أن تبدو عليها أعراض نفسية مرضية . والجدول التالي يوجز ما ورد في هذه التأملات :

	التخلف الثقافي ـ النفسي (التخلف الآخر)		
ملامح التخلف الثقافي	١ ـ التخلف اللغوي ٢ ـ التخلف المعرفي ـ الثقافي	١ . الشعور بمركب النقص إزاء الغالب (الغـــرب)	ملامح التخلف النفسي
	٣ ـ التخلف على مستوى القيم	٢ . الشخصية المضطربة وأعراض نفسية مريضــة	

الهــوامش

(١) انظر دراسة المؤلف : التخلف الآخر بالمغرب العربي ، مجلة : المستقبل العربي ، العدد ٤٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ م . وأيضاً : التخلف الآخر كمفهوم عام في مجتمعات الوطن العربي والعالم الثالث ، الذي سوف ينشر في نفس المجلة .



الفنولوجيا والإعادة

بقلم: د. صبري محمد حسن

تحتل «الفنولوجيا»[1] المقام الأول في علم اللغة التاريخي، وبرغم الحذر لا يستطيع أي لغوي أن يخطو سوى خطوات قليلة جداً عن طريق إعادة التركيب اللغوي بدون الوقوف على الطريقة التي يعمل بها ما نطلق عليه اسم «قوانين الأصوات» phonolohy من ناحية، وفهم تلك الطريقة فهماً جيداً من ناحية أخرى، فضلاً عن المساويات المقابلة المنظومة وتطورات الأصوات ذاتها.

المساويات المقابلة المنظومة: الكلمات السبع التالية المأخوذة من **الإنجليزية** الحديثة، **والألمانية** الحديثة، **والسويدية** الحديثة أيضاً:

	إنجليزية حديثة	ألمانية حديثة	سويدية حديثة
حجر	stone	stein	sten
عظم	bone	bein	ben
		(رجل)	(رجل/عظم)
بلوط	oak	Eiche	ek
منزل	home	heim	hem
حبل	rope	Reif	rep
ماعز	goat	geiss	get
واحد	one	ein	en

نتبيّن أن الصائت الإنجليزي vowel الطويل [O :] يقابله ei في الألمانية، ويقابله e في السويدية. نلاحظ أيضاً أن الكلمة الألمانية bein لا تدل على «العظم»، وإنما تدل على «الرِّجل»، ونجد أيضاً أن الكلمة ben السويدية تدل على «رجل / عظم». هذه الدلالة المزدوجة كانت للكلمة الألمانية في يوم ما، ولكن الكلمات التي لها مثل هاتين الدلالتين المتناقضتين في آن واحد تموت إحدى دلالتيها تلك تحاشياً ومنعاً للخلط بينهما وتلافياً للأخطار التي تترتب على ذلك. الكلمة الإنجليزية one الدالة على «واحد» لا تنتظم في هذا النمط أيضاً ولكنها في الأصل انحدرت عن ān التي تنطق بصائت طويل [a :] كما هو في الكلمة الإنجليزية Father الدالة على «الأب».

ونحن عندما نرُدّ نفس هذه الكلمات السبع إلى أشكالها القديمة في اللغات الإنجليزية القديمة **والقوطية**[2]، ثم اللغة **الجرمانية**[3] العالية القديمة وأخيراً لغة **النورس**[4] Norse القديمة تبينّ لنا القرابة الوثيقة بين لغات هذه الأسرة الواحدة:

	اللغة الإنجليزية القديمة	اللغة القوطية	الجرمانية العالية القديمة	النورس القديمة
حجر	stān	stains	stein	steinn
عظم	bān	——	bein	bein
بلوط	āc	——	eih	eik
منزل	hām	haims	heim	heimr
حبل	rāp	raip	reif	reip
عنزة	gāt	gaits	geiz	geit
واحد	ān	ains	ein	einn

نحن نجد أيضاً في هذا الجدول مساويات منظومة regular corresp...dences التي هي عبارة عن ā طويلة في الإنجليزية القديمة ومقابلها ai الذي يساويها في اللغة القوطية، ثم ei في لغة النورس القديمة، وأخيراً ei في اللغة الجرمانية العالية القديمة. والحرفان ei ينطقان [ei]، كما في ay من الكلمة الإنجليزية may. أما الهجاء القوطي ai فينطق [ai] مثل الصائت i في الكلمة الإنجليزية mine الدالة على «منجم».

وبرغم ذلك فإن دراسة تلك اللغات دراسة دقيقة تؤدي إلى اكتشاف المزيد من المساويات المنظومة أيضاً على المستوى الصوتي، إلا أنها لا تكون واضحة بيّنة دائماً، كما تحف بها بعض الصعاب والتعقيدات.

ولولا الإلمام «بقوانين الأصوات» وتفهمها فهماً جيداً ما تطورت دراسات **علم اللغة المقارن** التي أجريت على أسرة اللغات **الهندو-أوروبية** التي تضم لغات مثل اللغة **الرومانسية**[*] Romance التي نشأت عن اللغة اللاتينية. وكذلك اللغة **السلافية والجرمانية والهندية**... إلخ.





وأهم الجوانب التي ترتبط «بالفنولوجيا» التاريخية تتمثل في اتجاه وتسلسل التغير الصوتي ثم قوانين التغير الصوتي نفسها : ماهيتها وبأي شيء تتعلق .

اتجاه وتسلسل التغير الصوتي : اللغوي الذي يكون مجال عمله علم اللغة المقارن يرضى لنفسه بما يمكن أن نسميه « **التراكيب المتساوية المنظومة** » Regular Correspondences التي يوضحها المثال التالي المأخوذ من لغات أربع . الكلمة الدالة على « **أنا أحمل** » في اللغة **السنسكريتية هي :** bharami ، ونفس الكلمة في اللغة **الإغريقية القديمة :** phero وفي اللغة **الأرمينية :** berem وفي اللغة **الجرمانية :** baira . والكلمة الدالة على « **سحابة** » في اللغة السنسكريتية هي : nabhah وفي اللغة الإغريقية القديمة nephos وفي اللغة الجرمانية nebal .

من هذه العناصر اللغوية نستطيع تبيّن بعض تلك التراكيب المتساوية المنظومة Regular correspondences مثل :

اللغة السنسكريتية	اللغة الإغريقية القديمة	اللغة الأرمينية	اللغة الجرمانية
bh =	ph =	b =	b

ونحن لا نستطيع الوقوف عند هذا الحد ، إذ إن عالم اللغة المقارن يتحرى أقدم تلك المتساويات المنظومة من الناحية التاريخية ، وعندما يتحقق له ذلك يبدأ في البحث عن الأسباب المؤيدة لذلك .

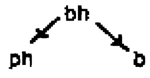
ولنبدأ في تحري صدق هذه القضية منتهجين في ذلك أسلوب الصواب والخطأ ولنفترض على سبيل المثال أن :

b
bh ph

احتمال أن يصبح الفونيم /bh/ ـــ /b/ أمر ممكن من الناحية الفنولوجية ، إذ إن ذلك لا يتطلب سوى نطق الفونيم /b/ بملء النفس aspirated . ولمثل ذلك التغير سوابق كثيرة في علم اللغة المقارن Comparative Linguistics ، أما أن يتحول الفونيم /b/ إلى صوت الفونيم /ph/ فإن ذلك يحتاج لمرحلتين لم يسبق حدوث أي منهما في أسرة اللغات الهندو ـ أوروبية Indo – European ولنترك ذلك التركيب مؤقتاً إلى التركيب الآخر التالي :



من هذا التركيب نجد أن التتابع /bh/ ـــ /ph/ يعتبر أمراً ممكناً ، ولكن إذا رجعنا إلى أسرة اللغات الهندو ـ أوروبية لا نجد سابقة تؤيد ذلك . ومع ذلك فإن مثل هذا التتابع لا يحتاج سوى إلى تغيير واحد فقط هو « الجهر » Voicing . ولكن « المتساوي المقابل المنظوم » /b/ ـــ /ph/ يصبح محل شك ويحتاج إلى مرحلتين هما : الجهر Voicing من ناحية ، والنطق بملء النفس aspiration من ناحية أخرى . ولننتقل إلى التركيب الثالث :

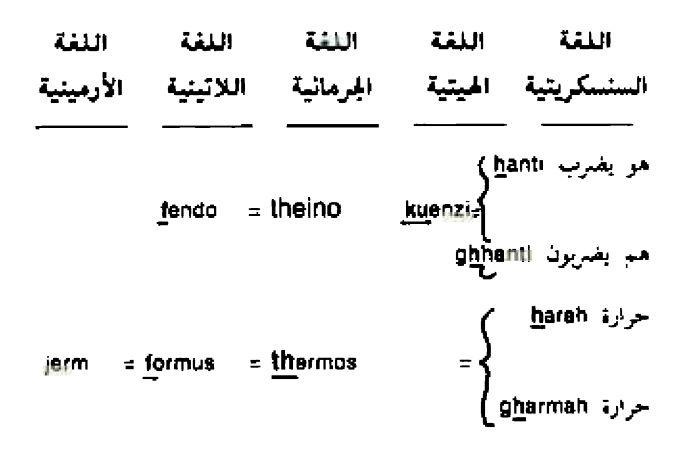


هذا التركيب يمتاز بأنه لا يحتاج سوى إلى تغيير واحد في كل فرع من فرعيه ، وذلك يكون أكثر التراكيب احتمالاً وتسلسلاً ، والسبب في ذلك أن هذا التركيب هو أبسط التراكيب وأسهلها من الناحية الصوتية ، إذ إنه لا يحتاج سوى إلى تجريد أحد فرعيه من خاصية الجهر Voicing وتجريد الفرع الآخر من خاصية النطق بملء النفس aspiration . والذي يؤيد ذلك وجود سابقات مماثلة ضمن أسرة اللغات الهندو ـ أوروبية ، ولكن ذلك لا يكفي إذ يتعين علينا دراسة الأصوات الشفوية التي تنطق بملء النفس مثل /bh/ و /ph/ في اللغات الهندو ـ أوروبية ، وكذلك أيضاً الأصوات الانفجارية مثل /p/ و /b/ . وعندما يثبت لنا صحة ذلك نكون قد أصبحنا على يقين من صحة الفرضية التي قدمناها . أما إذا لم يثبت لنا صحة ذلك تعين علينا أن ننظر في الطريقة التي تعمل بها جميع الأصوات الانفجارية المجهورة التي تنطق بملء النفس مثل : /ph/ و /b/ و /g^wh/ و /gh/ و /dh/ و /k^wh/ و /kh/ و /th/ و /d/ و /p/ و /g^w/ . وإذا لم نصل عن طريق ذلك إلى شيء مقنع

الفنولوجيا وإعادة التركيب اللغوي

وصحيح تظل القضية برمتها مثاراً للشك والجدل ، ولكننا قطعاً سنجد الدليل القاطع بأن الأخير هو أصدق الافتراضات وأكثرها احتمالا .

مثال آخر :



من هذه الفرضية نستطيع إيراد بعض المساويات المنظومة ، كما أن بوسعنا أيضاً تحديد وإيجاد الفونيم السلف للمجموعة بكاملها . ولنبدأ بالمساويات التالية :

/h/

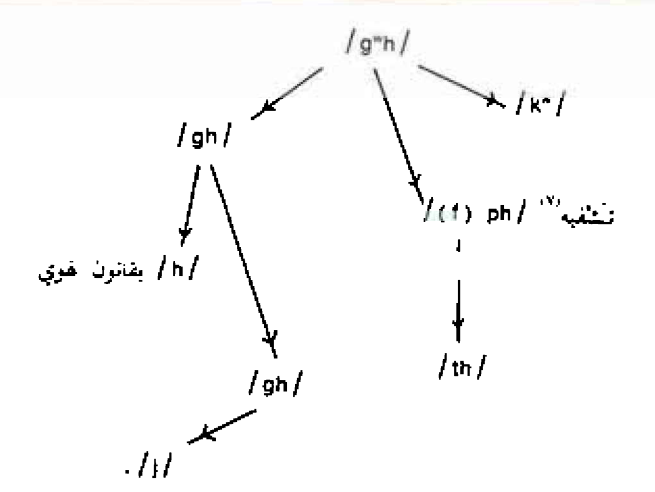
/gh/

(١) (أي تحويل /g/ إلى صوت لهوي) /l/ ← /g/

(٢) (بناء على قانون يقضي بذلك في اللغة اليونانية) /th/ ← /ph/ .

هذان المقابلان المساويان المنظومان يجعلانا نواجه فرضية اللغة الحيتية (k^w)[9] = ku التي نعجز عن تفسيرها . ونحن إن أردنا حلاً لذلك اللغز ما علينا إلا أن نضع فرضية صوت سلف ، غير أن تلك الفرضية يجب أن تنسجم وتتلاءم مع فنولوجيا أسرة اللغات الهندو — أوروبية Indo-European ، وبذلك يمكن أن يكون حل مثل هذه المسألة على النحو التالي :

(تجريد الفونيم من النطق بملء النفس ومن الجهر)



دلائل التقابل والمقارنة ومحاذيرها : هذا الحل يتطلب قبل إقراره الدفع ببعض التحذيرات :

(١) أن الصوامت consonants يمكن أن يكون لها تراكيب مختلفة متماثلة منسجمة في ضوء مواضع هذه الصوامت ذاتها ضمن الكلمة . ومن ذلك مثلاً الانسجام الصامتي bh الذي يقع في بداية الكلمة السنسكريتية bharami (أنا أحمل) الذي يتساوى أيضاً مع الصامت f كما هو في كلمة fero في اللغة اللاتينية ، بينما نفس الصامت bh كما هو في كلمة nabhah (سحابة) التي يكون مخرج هذا الصامت consonant فيها من بين الحبلين الصوتيين يتماثل مع الصامت b في الكلمة اللاتينية nebula .

(٢) التحذير الثاني يتمثل في الخطر القائم من احتمال القيام ببعض المقارنات غير الحقيقية بناء على سلسلة من المساويات المنظومة غير المكتملة كأن نقول مثلاً :

– bandah	«قيد»	لغة سنسكريتية
– bindah	«يربط»	لغة قوطية
– pentheros	«حما / حليف»	لغة يونانية قديمة

مثل هذه السلسلة من المساويات غير المكتملة قد تجرنا إلى استنتاج أن الصامت b في اللغة السنسكريتية يتساوى مع نفس الصامت b في اللغة الجرمانية ، فضلاً عن أنه هو نفس الصامت p في اللغة اليونانية

القديمة . ونحن نصل هنا إلى هذا الاستنتاج من فرضية وجود الصامت b كصامت سلف . ومن سوء الطالع أن مثل هذا الاستنتاج لا ينسجم مع المساويات المعروفة الشهيرة الثابتة مثل : bh (في اللغة اليونانية القديمة) = b (في اللغة السنسكريتية) = ph (في اللغة الجرمانية) أو أن : b (في اللغة اليونانية القديمة) = p (في اللغة الجرمانية) = b (في اللغة السنسكريتية) .

مع هذه المساويات الشهيرة نصل إلى أن المساويات b= b= p غير حقيقية بل وغير مضمونة تماماً . الأكثر من ذلك أننا نجد أن b في الكلمة السنسكريتية bandhah تحدث بقانون خاص باللغة السنسكريتية نفسها ، هذا القانون يقضي ، في الكلمات التي تحتوي جذورها على صامتين ينطقان بحمل ء النفس aspirated ، بتجريد الصامت الأول منها من تلك الخاصية ، وبذلك يكون الشكل الأصلي للكلمة السنسكريتية bandhah هو bhandhah .

(٣) من الخطورة بمكان أن نستعمل « **الأيتومولوجيا** »[٨] استعمالا عفوياً ونجعل منه وسيلة من وسائل التعرف إلى « **تراكيب الانسجام والتطابق** » formules of correspondence ، فضلاً عن أن معاني الكلمات لا تساعد أيضاً على ذلك . واستعمال « الأيتومولوجيا » لا يبدأ إلا بعد وضع وتحديد التتابعات والمساويات الفنولوجية . ومن هنا تعتبر الفنولوجيا التاريخية أدق وأمتن الوسائل المستعملة لتحقيق هذا الهدف .

(٤) وبفرض أننا استطعنا إعادة تركيب اللغة الهندو ـ أوروبية بكاملها من ناحية المفردات والقواعد ، نظل أيضاً نتشكك في الصورة التي كانت عليها اللغة الهندو ـ أوروبية . كل ما سيكون لدينا عبارة عن نظام هائل من المتطابقات الفنولوجية المتداخلة ، والعناصر الصرفية . ولكن كل ذلك بلا لغة ، الأمر الذي يبدو غريباً ومحيراً للقارئ . غير أن الأمر قد لا تستغرقنا غرابته إلى ذلك الحد ، إذ علينا أن نتخيل امرأً يحاول استنتاج واستخلاص السمات البدنية والسلوك لسلف بعيد عن طريق دراسة الخلف الحاضر لنفس الجيل ، وأيضاً عن طريق دلائل التقابل والمقارنة من طريق آخر ، بما في ذلك الصور الفوتوغرافية ، والصور المرسومة باليد للعائلة ، والرسائل والمذكرات اليومية فضلاً عن السجلات الأخرى .

قد نستطيع عن طريق سلسلة من الخطوات المتجانسة ، الوصول إلى استنتاج أن السلف ربما مثلاً كانوا يتناولون المقدونس في إفطارهم ، ولذلك كانوا يعانون من عسر الهضم . ومن يدري فقد تؤيد مصادر لا تستعمل المقارنة سبيلاً للوصول إلى النتائج ، حقيقة أن ذلكم السلف كانوا يتناولون المقدونس مسلوقاً . يضاف إلى ذلك أيضاً أن فرضية تناول المقدونس مسلوقاً قد لا تكون صحيحة كلية . من يدري ؟ ربما كان ذلكم السلف قد توقف عن تناول المقدونس المسلوق في منتصف العمر . ومن هنا نجد أن القياس في لغات الأسرة الواحدة يُعَدُّ أمراً طيباً ومقبولا .



الهوامش

(١) علم الفونولوجيا : هو دراسة الطرق التي تنتظم بها أصوات الكلام في منظومات وأنماط من لغة البشر . ويختلف هذا العلم عن علم الصوتيات الفونيتيكي في أن الأخير يوفر لنا الوسائل التي نستطيع بها وصف أصوات الكلام .

(٢) اللغة القوطية : هي لغة القوط الذين غزوا الإمبراطورية الرومانية .

(٣) اللغة الجرمانية القديمة العالية هي التي انحدرت عنها اللغة الألمانية المعيارية الحديثة .

(٤) لغة النورس Norse القديمة هي اللغة الأم للغات الإسكندنافية بالصورة التي وجدت عليها في قصص البطولة الآيسلندية في العصور الوسطى .

(٥) تسمى اللغات التي انحدرت عن اللغة اللاتينية باسم اللغات الرومانسية وهي تضم البرتغالية والإسبانية والإيطالية والفرنسية ... إلخ .

(٦) k^w و g^w : رموز يستخدمها علماء علم اللغة المقارن ليرمزوا بها إلى استدارة الشفتين في كل من الفونيمين /k/ و /g/ كما هو في كلمة queen الدالة على « ملكة » فضلاً عن أن /k^wn/ و /g^wn/ ليسا سوى صورتين صوتيتين allophones لنفس الفونيمين /k/ و /g/ حين يلتقيان بجزء النفس aspirated .

(٧) التشفيه Labialization عملية استعمال الشفتين لإنتاج صوت من الأصوات الشفوية .

(٨) دراسة ونشأة وتحليل أصول الكلمات وتاريخها .

الصدق والكذب

لا مندوحة لمن يتناول قضية الأخلاق في الشعر من مناقشة قضية الصدق والكذب فيه من جميع جوانبها ، ذلك لأنه لا يمكن الوقوف من الصدق عند الحد المعروف له الذي هو مطابقة الواقع ، أو الكذب الذي هو مخالفة الواقع ، خاصة إذا كنا نتحدث عن فن له شأن خطير في الحياة وهو الشعر ، لأن الواقع في دنيا الناس لا ينبغي بالضرورة أن يكون كذلك في دنيا الشعراء ، إذ لا مشاحة في أن الواقع في الفنون ـ والشعر واحد من بينها إن لم يكن أرقاها ـ ليس هو الواقع الذي يعرفه الناس ، ولو اعتقدنا غير ذلك لوقعنا في خطأ كبير .

وهناك مسألة أخرى تتصل بهذه القضية ، ولكنها تخص الشاعر نفسه ، وتنحصر هذه المسألة في سؤال فحواه : هل الشاعر مقيد بأن يسلك طريقاً واحداً في شعره ، فلا يشرع في معنى من المعاني ثم يتحدث بعد ذلك فيا ينقضه ؟ أو بعبارة أخرى : هل الشاعر مطالب إذا أخذ في معنى ما بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر ؟ وهل يُعدّ كاذباً إذا قال الشعر في المعنى ونقيضه ؟ .

ثم هل يكون أشعر بيت هو كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وإن أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته : صدقا ؟[1]

وكيف يكون ذلك ؟ أو هو كما قال البحتري :

كلفتمونا حدود منطقكم
في الشعر يغني عن صدقه كذبه ؟[2]

أو بعبارة أخرى : هل يكون (أعذب) أو (أحسن الشعر) (أصدقه) أو (أكذبه) ؟ .

هذه هي القضية .. ومن هنا تبدأ الرحلة .

ونقف أولا على ما كتبه ابن طباطبا العلوي (ـ ٣٢٢هـ) في كتابه (عيار الشعر) ، فقد تحدث عن علة حُسن الشعر ، وأرجعها إلى الفهم ، وما دام الفهم هو منبع الشعر ومصبه ، فلا غرابة أن يجعل الصدق أهم عناصر الشعر وأكبر مزاياه ، يقول : « وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب ، فما قبله واصطفاه فهو واف ، وما مجه ونفاه فهو ناقص »[3] ، « والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، والجائز المعروف المألوف ، ويتشوف إليه ، ويتجلى له ، ويستوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل ، والمحال المجهول المنكر ، وينفر منه ويصدأ له »[4] .

وهذا الصدق الذي يريده ابن طباطبا صنو الاعتدال الجمالي ، فالجمال والحق أو الصدق مترادفان هنا في الدلالة ، فهذا الصدق يعني السلامة التامة من الخطأ في اللفظ والجور في التركيب ، والبطلان في المعنى ، أي أن يتمتع الشعر بالاعتدال بين هذه العناصر جميعاً ، فإذا هو بسبب هذا الصدق شيء جميل ، لأنه ميزان الصواب قبل ما يشتمل عليه من لفظ ومعنى وتركيب .

ذلك هو الصدق في معناه العام ، غير أن ابن طباطبا يطالب بتحققه في المتفنن نفسه ، وفي بعض عناصر العمل الفني ، ولهذا جاءت لفظة الصدق متفاوتة الدلالة عنده .

أنواع الصدق

فهناك **الصدق عن ذات النفس** « بكشف المعاني المختلجة فيها ، والتصريح بما يكم منها ، والاعتراف بالحق في جميعها »[5] وهذا قريب مما نطلق عليه **الصدق الفني** أو إخلاص المتفنن في التعبير عن تجربته الذاتية .

وهناك **صدق التجربة الإنسانية العامة** ، وهذا يتمثل في قبول الفهم للحكمة لارتياحه « لصدق القول فيها ، وما أتت به التجارب منها »[6] .

وهناك **الصدق التاريخي** الذي يتمثل « عند اقتصاص خبر أو حكاية كلام » وهنا يجيز ابن طباطبا للشاعر إذا اضطر أن يزيد أو ينقص على شرط أن تكون « الزيادة والنقصان يسيرين غير مخدجين لما يستعان بهما ، وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه ، بل تكون مؤيدة له ، وزائدة في رونقه وحسنه »[7] .

بقلم: د. محمد سعد فشوان

ـذب في الشعر ✪✪

وهناك **نوع رابع** من الصدق هو ألصق بمعناه الأخلاقي من غيره، وهو ما لا سبيل فيه للكذب بنسبة الكرم إلى البخيل، أو نسبة الجبن إلى الشجاع، وإنما هو نقل للحقيقة الأخلاقية على حالها، وهذا يتضح في المدح والهجاء، وفي غيرهما من الفنون وهو شبيه بموقف **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، من زهير من أنه كان يمدح الرجل بما فيه، ولكن المدهش ــ كما ذكر **الدكتور إحسان عباس**[٨] ــ أن نجد سذاجة ابن طباطبا أو مثاليته ترى في كل الشعر قبل عصر المحدثين ما رآه عمر في زهير؛ حيث قال:

«ومع هذا، فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الإسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحاً وهجاءً وافتخاراً ووصفاً، وترغيباً وترهيباً، إلا ما قد احتمل «الكذب» فيه في حكم الشعر: من الإغراق في الوصف، والإفراط في التشبيه، وكان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق والمخاطبات بالصدق فيحابون بما يثابون، ويثابون بما يحابون»[٩]. أما «المحدثون» فلم يعودوا يستطيعون هذا النوع من الصدق، ولذلك أصبح تقدير شعرهم، إنما ينصرف إلى معانيهم المبتكرة، وألفاظهم المنتظمة، ونوادرهم المضحكة، والأناقة العامة التي تمازج أشعارهم «من وشي قولهم دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح والهجاء، وسائر الفنون التي يصرفون القول فيها»[١٠].

★ د. إحسان عباس ★

ومثل هذا التصور يفسر لنا لم كانت السنة العربية في الشعر تملك لب ابن طباطبا، ذلك لأنه لم يكن يرى المثل الأعلى الفني في تلك السنة وحسب، بل لأنها كانت في تصويره مثالا أخلاقياً كذلك[١١].

وأما **النوع الخامس فهو الصدق التصويري**، أو ما يسميه ابن طباطبا «**صدق التشبيه**». وقد نص عليه في غير موضع من كتابه، يقول: «فشبهت العرب الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادتها»[١٢]، «فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه، ويكون صاحبه مثله متشبهاً به صورة ومعنى»[١٣]، وللتشابه أنحاء منها: الصورة، والهيئة، والمعنى، والحركة، واللون، والصوت، فكلما زاد عدد هذه الأنحاء في التشبيه قوي «وتأكد الصدق فيه، وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له»[١٤].

ومن التشبيهات التي اجتمعت فيها الصورة واللون والحركة والهيئة قول **ذي الرمة**:

ما بال عينك منها الماء ينسكب
كأنه من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ
وفراء غرفية أثأى خوارزها
مشلشل ضيعته بينها الكتبُ[١٥]

ويقول عن أدوات التشبيه: «فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه: كأنه أو قلت: ككذا، وما قارب الصدق قلت فيه: تراه أو تخاله أو يكاد»[١٦]، فإذا خرج الشاعر عن الصدق انتقل إلى الغلو والإفراط وذلك عيب، ومتى تضمن الشعر «صفات صادقة، وتشبيهات موافقة، وأمثالا مطابقة تصاب حقائقها، ويلطف في تقريب البعيد منها.. أصغى إليه ووعاه، واستحسنه السامع واجتباه»[١٧]، فإذا توفرت للشعر أنواع الصدق، وتوفر للشاعر صدق التجربة جاء شعراً جميلا معتدلا مؤثراً.

والذي لا شك فيه أن هذه المقاييس التي وضعها ابن طباطبا وجعلها عياراً للتشبيه والمجاز في الشعر قد جار بها على قوة الخيال وعنصر التشخيص في الشعر، فهو يعيب قول المثقب العَبْدي على لسان ناقته:

تقول وقد درأت لها وَضِيني
أهذا دينه أبداً وديني؟

الصدق والكذب في الشعر

أكُلُّ الدهر حلٌّ وارتحالُ
أما يبقى عليَّ ولا يقيني ؟

ويرى ان هذه « الحكاية كلها عن نائته من المجاز المساعد للحقيقة » غير انه عاد فخفف من تلك النظرة الجائرة حين قال : « وإنما أراد الشاعر ان الناقة لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول »[18] .

ويجعل من الإيماء المشكل الذي لا يفهم ، وقد أفرط في حكايته قول الآخر :

أومت بكفيها من الهودج
لولاك هذا العام لم أحجج
أنت إلى مكة أخرجتني
حباً ولولا أنت لم أخرج

وعلق عليه بقوله : « فهذا الكلام ليس مما يدل عليه إيماء ولا تعبر عنه إشارة »[19] .

آراء أخرى للقدماء

ومن المناسب هنا أن نذكر أن الآمدي (ـ ٣٧٠ هـ) قد أربى على المنهج الذي اختاره ابن طباطبا في تحديد طريقة العرب في التشبيه ، بل كمل عمله حين اهتم **بالاستعارة** ، وبذلك التقت جهود هذين الناقدين الكبيرين على ضرورة مقاربة الحقيقة أو ما سماه ابن طباطبا « الصدق في التشبيه » ، ولهذا **اتفق الناقدان أيضاً على رفض قول من قال :**

« **أعذب الشعر** » أو « أحسن الشعر أكذبه » ، حيث قال الآمدي معلقاً على أبيات **للبحتري** : « وقد كان قوم من الرواة يقولون : أجود الشعر أكذبه ، ولا والله ما أجوده إلا أصدقه إذا كان له من يخلصه هذا التخليص ويورده هذا الإيراد على حقيقة الباب »[20] .

وقد أولى **حازم القرطاجني** (ـ ٦٨٤ هـ) ، تلك القضية عناية كبيرة في كتابه « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » ، ورأى **أن الشعر لا يسمى شعراً بمقدار ما فيه من عنصر الصدق والكذب ، وإنما بمقدار ما فيه من محاكاة أو تخييل . فالتخييل هو المعتبر في صناعته لا كون الأقاويل صادقة أو كاذبة**[21] .

رأي عبد القاهر

وتناول **الإمام عبد القاهر** (ـ ٤٧١ هـ) هذه القضية في كتابه « **أسرار البلاغة** » ، وكان لعبد القاهر منهج عقلي ، وآخر جمالي ، وليس من تناقض بين وصف الجرجاني بالعقلية ، فمنهجه العقلي يختلف عن النقّاد العقليين قبله وبعده من امثال **قدامة بن جعفر** ، وحازم القرطاجني ، حيث اهتم كل منهما بالشكل المنطقي ، وبالاعتماد على الفكر اليوناني ، بينما اعتمد فكره في النفاذ إلى بواطن الأمور ، فجاءت عقليته لوناً من الذكاء المقترن بحس فني دقيق وبصر بمواطن الجمال في القول ، **وقد نفى الإمام عن الشعر أن يكون كل من الصدق والكذب متعلقين بالصدق أو الكذب في الخبر ، أو واردين بالمعنى الأخلاقي** ، فمن قال « خير الشعر أكذبه » ، فإنه لا يعني منح الممدوح صفات ليست فيه ، أو وصف الجواد بالبخل ، والطائش بالسداد والحزم ، ومن قال : « خير الشعر أصدقه » فإنما يعني أنه يميل إلى ترك الإغراق والمبالغة فيه .

وقد احتكم عبد القاهر إلى العقل في هذه المشكلة ، فالقول الفصل إن المعاني تنقسم إلى قسمين فهناك معان يشهد العقل بصحتها كقول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

و- ان يتوصل إليها الشاعر بطريقين : بالاحتجاج ، أو بالتعليل القائمين على (التخييل) ، وهذا المعنى الثاني هو الأكثر وروداً في الشعر . وفي تخييل الشاعر للسامع انه يورد حكماً يتطبق على العقل ، ولكنه لا يمثل معرفة يقينية ، وفي هذا يشترك الشعر والخطابة .

ثم يقول معلقاً على قول الشاعر :

والصارم المصقول أحسن حالة
يوم الوغى من صارم لم يصقل

« احتجاج على فضيلة الشيب ، رأنه أحسن منظراً من جهة التعلق باللون ، وإشارة إلى أن السواد كالصدأ على صفحة السيف ، فكما أن السيف إذا صقل وجلّي وأزيل عنه الصدأ ونقّي كان أبهى وأحسن وأعجب إلى الرائي وفي عينه أزين ، كذلك يجب أن يكون حكم الشَّعر

في الجلاء صدأ السواد عنه، وظهور بياض الصقال فيه، وقد ترك أن يفكر فيما عدا ذلك من المعاني التي يكره لها الشيب، ويناط بها العيب.

وهذا انقسم الناس ذوقياً في إيثار ما يؤثرون من الشعر فبعضهم يريد من الشعر ما حفل بالمعاني التي يشهد بصحتها العقل، وبعضهم يريد منه ما عملت فيه الصنعة، ونشرت عليه من شعاعها، فأقيم على التخييل والتقريب والتمثيل، وهذا الفريق لا يبدي نفوراً من المبالغة، والإغراق، واختراع الصور؛ لأنه يرى أن الشعر لا يطلب فيه صدق الخبر أو يقين العقل.

ويقول معلقاً على قول البحتري:

كلفتمونا حدود منطقكم
في الشعر يُغْني عن صدقه كذبه

«أراد كلفتمونا أن نجري مقاييس الشعر على حدود المنطق، ونأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقق حتى لا ندعي إلا ما يقوم عليه علة من العقل وبرهان يقطع به، ويلجئ إلى موجبه، مع أن الشعر يكفي فيه التخييل، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل، ويقول:

ولا شك أنه (البحتري) إلى هذا النحو قصد وإياه عمد؛ إذ يبعد أن يريد بالكذب إعطاء الممدوح حظاً من الفضل والسؤدد ليس له، وتبليغه بالصفة حظاً من التعظيم يجاوز به من الإكثار محله؛ لأن هذا الكذب ليس يبين بالحجج المنطقية، والقوانين العقلية، وإنما يكذب فيه القائل بالرجوع إلى حال المذكور واختياره فيما وصف به، والكشف عن قدره وخسته، ورفعته أو ضعته، ومعرفة محله ومرتبته، وكذلك قول من قال «خير الشعر أكذبه».

وأما من قال في معارضة هذا القول: «خير الشعر أصدقه»، كما قيل:

وإن أحسن بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته: صدقا

فقد يجوز — كما يرى الإمام — أن يراد به أن خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل، وموعظة تروض جماح الهوى، وتبعث على التقوى، وتبين مواضع القبح والحسن في الأفعال، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال كما قيل: كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه».

وعنده أن القول إن «أعذب الشعر أكذبه» بناء على قيام ذلك على التخييل أولى من القول الثاني؛ لأنهما قولان يتعارضان في اختيار نوعي الشعر، فمن قال: «خيره أصدقه» كان ترك الإغراق والمبالغة والتجوز إلى التحقيق والتصحيح، واعتماد ما يجري من العقل على أصل صحيح أحب إليه وآثر عنده إذ كان ثمره أحلى وأثره أبقى، وفائدته أظهر، وحاصله أكثر، ومن قال: «أكذبه» ذهب إلى أن الصنعة إنما يمد باعها، وينشر شعاعها ويتسع ميدانها وتتفرع أفنانها حيث يعتمد الاتساع والتخييل، ويرعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل، وحيث يقصد التلطف والتأويل[22].

ولكن الباطل يبقى عند الإمام مخصوماً وإن قضي له، والحق مفلجاً، وإن قضي عليه[23]. كما قال هو نفسه في «أسرار البلاغة».

الهوامش

(١) «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م، مطبعة السعادة بمصر، ص ٢٧.

(٢) «أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني، تعليق الشيخ أحمد مصطفى المراغي، المكتبة التجارية، (بدون تاريخ)، ص ٣٠٥.

(٣) «عيار الشعر» لابن طباطبا العلوي، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية، تحقيق د. محمد زغلول سلام، ص ٢٧

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٠. (٦) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(٧) المصدر نفسه، ٥٩. وغير مخدجة: أي غير ناقصة (اللسان: مادة خدج).

(٨) «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» للدكتور إحسان عباس، ص ١٤٣، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ — ١٩٧١م.

(٩) «عيار الشعر»، ص ص ٢٢، ٢٣. (١٠) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(١١) «تاريخ النقد الأدبي عند العرب»، ص ١٤٤.

(١٢) «عيار الشعر»، ص ص ٢٤، ٢٥.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢٥. (١٤) المصدر نفسه، ص ص ٣٠، ٣١.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٣٢، والثأى: جمع الخرزتين فصارت واحدة وهي الثأي، ومشلشل: متصل القطر نعت لـ «سرب» والكتب جمع كتبة وهي الخرزة.

(١٦) «عيار الشعر»، ص ٣٦.

(١٧) انظر المصدر نفسه، ص ١٤٢. (١٨) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٤١. (٢٠) «الموازنة» للآمدي، جـ٢/٥٨

(٢١) «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»، ص ٧١.

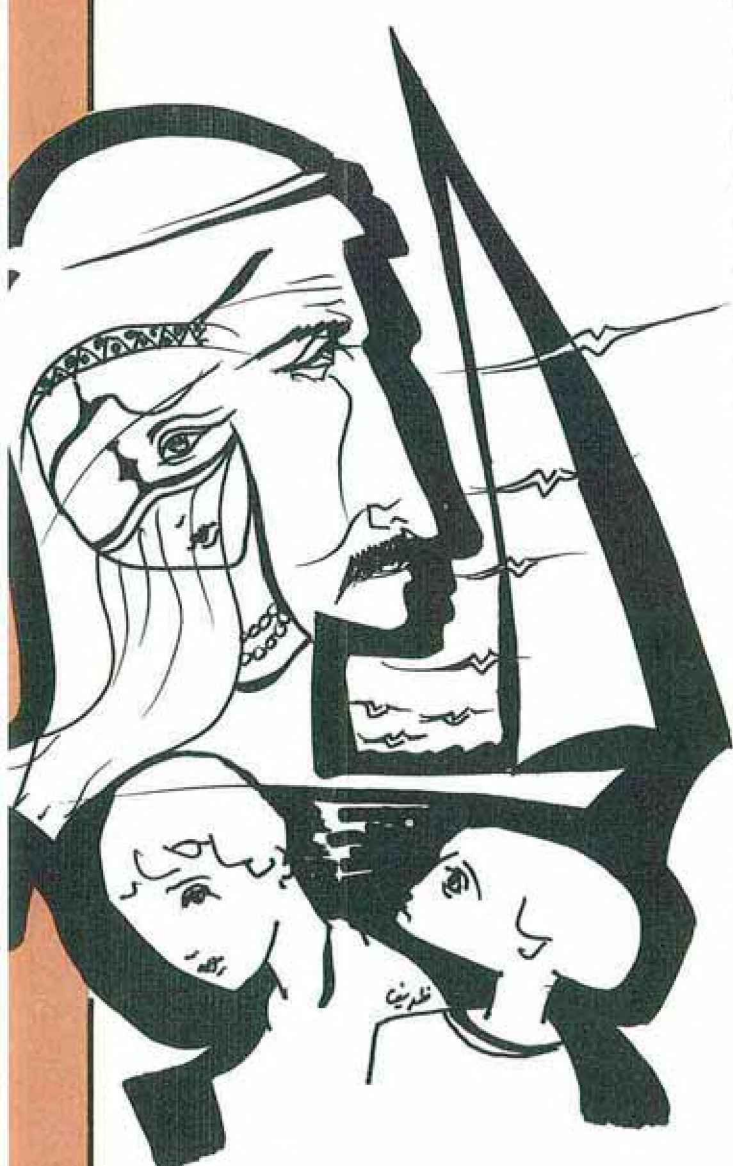
(٢٢) «أسرار البلاغة»، تحقيق الشيخ المراغي، ص ص ٣٠٥، ٣٠٩.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ص ٣٠٨، ٣٠٩.


اليوم الوطني
بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية
يطيب لشركة أرامكو أن تتقدم بأسنى التهاني وأجمل الأماني
الى حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى
وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم
أعاده الله على الجميع بالخير والبركات
أرامكو
(PRS-3-85)

ليل الوداع

شعر: أحمد مفلح



قلاني أحبّائي ، وما كنتُ قاليا ... ولا بت في حين من الدهر ساليا

معاذ الهوى أن يسلوَ الطيرُ عشّه ... ويترك للأنواء تلك المغانيا

تغرّبتُ والأقدار جرّت مراكبي ... فأودتْ بمرساتي وألقتْ حباليا

غدوتُ عليلاً ، أيّها النجم دُلّني ... أفتشُ عن ساقٍ وقد كنتُ ساقيا

أسائل برق الشام هل لي بعودةٍ ... فيهتف برق الشام أنْ لا تلاقيا

كأنّني لم أعشق (بلودان) قمّةً ... (وجلّق) أنهاراً (ودمّر) واديا

تجاذبني الأطياف يا ربّ ضحكةٍ ... فأصحو على صوت الصغير مناغيا

سق الله في (بيسان غوراً) عشقتهُ ... وَغمرٌ في (اليرموك) داراً وناديا

وسلّم زهر (الغوطتين) من الرّدى ... وفجّر بيْن (الضفتيْن) السّواقيا

مشيْتُ على قلبي ، ودمعي حبسْتهُ ... لأنقذ دمعاً في المودّات غاليا

نظرتُ إلى الأولاد آخر نظرةٍ ... خطوت ثلاثاً ثم أوّبْتُ ثانيا

وطوّفتُ كالخذروف في كلّ غرفة ... أضعت يميني واستبقتُ شماليا

وأسبلتُ جفني علّني أكم الجوى ... وأكم أشواقاً تذيب الرواسيا

ودارتْ بيَ الأيام لا درّ درّها ... على عقبيْها ، أصلح الله حاليا

توقّفتُ في (أبها) نهاراً وليلة ... وأمضيْتُ في (نجران) سبعاً خواليا

لألقى حبيباً في الجنوب فديتُهُ ... شقيق أبا حسّان[1] ذخراً وآسيا

لبستُ قميص الصبر حتى كرهته ... طويت جبالا صلْدةً .. وفيافيا

هبطت وكان الليل في طيلسانه ... (وجدّةُ) في ثوب يشعشع زاهيا

عروسٌ كأن البحر طوعُ بنانها ... تشير بعينْيها فيرتدُّ جاثيا

يطيع هواها كيف شاءت وينحني ... على قدميها يغسل الرمل راضيا

ويتلف بين الجزر والمدّ قلبه ... ومن أجل ليلى لا ينام اللياليا

ومن أجل ليلى يذرف الدمع جمرةً ... ويرقص في دوّامةِ العشق حافيا

الهوامش

(١) أبو حسان : هو الشاعر محمود مفلح ، وهو أخ الشاعر .



كان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ من السابقين إلى الإسلام المكثرين لملازمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث سعد بالقيام على سواكه، وطهوره، ونعله، وكان إلى جانب ذلك من رؤساء الصحابة في إقراء القرآن الكريم والانقطاع له والاعتناء به؛ وقد وثّق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهارة عبد الله بإقراء القرآن الكريم حين قال: «خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب»[١]. وفي نحو سنة إحدى وعشرين هجرية، أرسل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى الكوفة عمار بن ياسر أميراً، وعثمان بن حنيف على الخراج، وعبد الله بن مسعود على بيت المال، وأمره أن يعلم الناس القرآن الكريم ويفقههم في الدين؛ وفرض لهم في كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر، والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف[٢]!! . وجاء في كتاب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى أهل الكوفة قوله: «وإني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن أهل بدر فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي»[٣].

ابن مسعود وإقراء القرآن

تعلق أهل الكوفة بعبد الله وارتضوا سيرته واتخذوه شيخاً لهم وأول دليل على هذا طول إقامته بين ظهورهم، إذ إن الكوفة بلدٌ عُرِفَ بكثير الشقاق والاختلاف على الأمراء، وقد تولى الكوفة وعبدُ الله يعمل فيها ستة من الولاة، وهذا كاف للدلالة على ما نقول.

وهناك غير هذه أقوال كثيرة صُرّح فيها بمتابعة الكوفة لعبد الله في قراءته؛ ومن تلك النصوص والأقوال ما نقل عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لأبي موسى الأشعري:

«أما أنت يا عبد الله بن قيس فبعثت إلى أهل البصرة أميراً معلماً وأخذوا من أدبك ولغتك وقراءتك، وأما أنت يا عبد الله بن مسعود فبعثت إلى أهل الكوفة معلماً فأخذوا من أدبك ولغتك وقراءتك...»[٤]. وقال ابن الجزري: وإلى ابن مسعود تنتهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش[٥]، وهؤلاء جميعاً كوفيون.

مدرسة الكوفة

من أعلام الكوفيين الذين قرءوا على ابن مسعود الحارث بن قيس، وزر بن حبيش، وعبيد بن قيس، وعبيد بن نضلة، وعمرو بن شرحبيل، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبوعمرو الشيباني وغيرهم[٦]. ويشكل هؤلاء الأعلام الطبقة الأولى في تاريخ الإقراء في الكوفة، ثم أخذ عن هؤلاء خلق كثير من أشهرهم سليمان الأعمش، ويحيى بن وثاب، وأبو إسحاق السبيعي، وعاصم، والشعبي، وابن أبي ليلى، وحمران بن أعين، وإبراهيم النخعي؛ وعن هذه الطبقة، أخذ حمزة بن حبيب الزيات وعن حمزة وأقرانه كعيسى بن عمر، ومحمد بن أبي

ليلى، وأبي حيوة، والمفضل الضبي أخذ علي بن حمزة الكسائي[7].

وحين جمع سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – الناس على مصحف واحد، أصبحت القراءات التي تخرج عن رسم ذلك المصحف خروجاً ظاهراً لا يحتمل التأويل قراءات شاذة، ومن تلك القراءات قراءة ابن مسعود في كثير من مفرداتها، وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يُقرئ الناس بلغاتهم وعلى قدر طوقهم، حيث أبيح له تبارك وتعالى له ذلك، كما صح ذلك في حديث الأحرف السبعة المتواتر، وحين وجد الصحابة – رضي الله عنهم – أن استعمال تلك الرخصة سيؤدي إلى الفرقة والتنازع اجمعوا على مصحف واحد وأحرقوا ما سواه.

وقد انقسم الكوفيون حيال هذا الوضع إلى فريقين: فريق آثر قراءة ابن مسعود فتمسك بها مع خروج بعضها على رسم المصحف الإمام ويمثل هذا الفريق **الأعمش وطلحة بن مصرف والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس**. وفريق آثر الجمع بين مصحف عثمان وقراءة عبد الله؛ قال ابن الجزري: «كان **حمران بن أعين** يقرأ قراءة ابن مسعود، ولا يخالف مصحف عثمان، وهذا كان اختيار حمزة[8]».

متابعة الكوفيين

وسأعرض هنا بعض النماذج التي تصوّر متابعة الكوفيين لابن مسعود المتابعة الظاهرة والخفية، كما سأعرض طرفاً يسيراً من توجيههم لقراءته.

فمن المتابعة الظاهرة ما فعله الأعمش في قوله – سبحانه وتعالى – **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾** (سورة البقرة، الآية ١٠٦)، فقد قال أبو حيان: «وقرأ الأعمش: **ما ننسك من آية أو ننسخها نجئ بمثلها**، وهكذا ثبت في مصحف عبد الله[9]»... ولا يخفى ما في قراءة الأعمش من المغايرة لرسم المصحف الإمام. وفي قوله تعالى **﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾** (سورة آل عمران، الآية ٣٩)، قرأ ابن مسعود: «**وناداه الملائكة يا زكريا إن الله...**[10]»، وقد قرأ حمزة والكسائي الكوفيان (**فناداه**) بدون تاء تأنيث[11]. وقراءة عبد الله أيضاً في كلمة (**زكريا**) بغير همز وبقراءته هذه قرأ حمزة والكسائي وخلف والأعمش **وحفص عن عاصم**[12]؛ وهؤلاء جميعاً كوفيون.

وفي قوله تعالى **﴿يوم ظعنكم﴾** (سورة النحل، الآية ٨٠)، قرأ ابن مسعود: «**حين ظعنكم**»[13]، بحين بدل يوم وبفتح العين من (ظعن)، أما حين فهي خارجة عن رسم المصحف الإمام، ومن ثم فإن الكوفيين قرءوا: بيوم وحركوا عين (ظعنكم) بالفتحة متابعة لعبد الله كما فعل ذلك الأعمش وحمزة والكسائي وخلف[14].

متابعة خفيّة

ومن المتابعة الخفية التي تحتاج إلى شيء من التأمل، ما فعله الكوفيون في بعض المواضع حين أرادوا مراعاة مصحف عثمان إلى جانب الاهتداء بمعاني قراءة عبد الله وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١ – في قوله تعالى **﴿لقد تقطع بينكم﴾** (سورة الأنعام، الآية ٩٤)، قرأ ابن مسعود: «**لقد تقطع ما بينكم**»[15]، بزيادة (ما) على المصحف العثماني، وقد قرأ الأعمش والكسائي وحفص عن عاصم «بينكم» بالفتح[16]، فقد وجد هؤلاء القراء أن قراءة عبد الله لا يجوز فيها إلا النصب في «بينكم» فاختاروا القراءة به وعدلوا عن (ما) لكونها زائدة على الرسم العثماني.

٢ – في قوله تعالى **﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾** (سورة البقرة، الآية ٢٢٩)، قرأ ابن مسعود: «**إلا أن تخافوا ألا يقيما**...»؛ وخروج قراءة عبد الله على رسم المصحف ظاهرة ومن ثم فإن حمزة – أحد قراء الكوفة – اختار أن يقرأ: «**إلا أن يُخافا**» بالبناء للمجهول حيث أصاب معنى قراءة عبد الله؛ لأن الخائف في القراءتين واحد وهو الحكام أو المتوسطون للإصلاح بين الزوجين، ولم يخرج حمزة عن الرسم العثماني[17]؛ وقد اختار **أبو عبيد القاسم بن سلام** – أحد الكوفيين – قراءة حمزة؛ لأنها قبس من قراءة عبد الله. وقد رد **ابن النحاس** على أبي عبيد هذا الاختيار بردود شتى[18]، فيها غفلة عما نحن بصدده من الحرص من الكوفيين على متابعة ابن مسعود ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

٣ – وفي قوله – تباركت أسماؤه – **﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾** (سورة مريم، الآية ٣٤)، قرأ عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: «**ذلك عيسى بن مريم قالُ الله**»[19]، على أن (قال) اسم مصدر مثل القيل، كما قالت العرب: العاب والعَيْب، وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: «**قالُ الحق**»[20]. وقد تابع الأعمش ابن مسعود في قراءته: «قالُ الحق». وفي (قال) خروج يسير على رسم المصحف يُترخّص في مثله. وقرأ حمزة والكسائي وخلف – الكوفيون –: «**قولُ الحق**»[21] بالرفع على أن (قول) تؤدي معنى قراءة عبد الله (**قال**)، وعلى أن الحق هو الله عز وجل، فقد أصابوا معنى قراءة عبد الله دون الخروج على الرسم العثماني.

توجيه الكوفيين لقراءة ابن مسعود

إن اختيار قُرّاء الكوفة قراءات تؤدي معاني قراءة عبد الله يُعَدُّ بحد ذاته توجيهاً لقراءته وتعضيداً لها، ولكني هنا أريد أن أنقل بعض النصوص التي استحسن فيها الكوفيون بعض مفردات قراءته معتمدين في ذلك على أعظم كتاب تخطى أعناق الزمن من التراث الكوفي وهو **معاني القرآن للفراء**:

احتفاء الكوفيين

١ ـ في قوله تعالى ﴿ فصُرْهُنَّ إليك ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢٦٠) ، قال الفراء : «ضَمُّ الصاد العامةُ ، وكان أصحاب عبد الله يكسرون الصاد وهما لغتان فأما الضم فكثير ، وأما الكسر ففي **هُذَيل وسُلَيم** ... »[٢٢] . فقد اعتلَّ لقراءة ابن مسعود بأن كسر الصاد لغة هذيل ، أي لغة قبيلة عبد الله ، وكأنه يشير من طرف خفي إلى أن قراءة ابن مسعود إن خالفت ما تقوله العامة إلا أنها موافقة لقبيلته .

٢ ـ وقال الفراء في قوله تعالى ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ٢) ، «الحي القيوم» قراءة العامة . وقرأها عمر بن الخطاب وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ «الحي القيام» ، وصورة القيوم (الفيعول) والقيام (الفيعال) وهما جميعاً مدح .

وأهل الحجاز أكثر شيء قولا : (الفيعال) من ذوات الثلاثة . فيقولون : «للصواغ الصياغ»[٢٣] ، وهاهو الفراء يحتج هنا لابن مسعود بأن أهل الحجاز يؤثرون الياء على الواو في مثل هذا ، ومن المعروف أن هذيلاً قبيلة حجازية .

٣ ـ وقال الفراء في قوله تعالى ﴿ **قد بدت البغضاء من أفواههم** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١١٨) ، «وفي قراءة عبد الله : «وقد **بدا** البغضاء من أفواههم» ، ذكَّر ، لأن البغضاء مصدر والمصدر إذا كان مؤنثاً جاز تذكير فعله إذا تقدم : مثل ﴿ **وأخذ الذين ظلموا الصيحة** ﴾ (سورة هود ، الآية ٦٧) ، و ﴿ **فقد جاءكم بينة من ربكم** ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٥٧) وأشباه ذلك»[٢٤] .

هذا ، ولولا خشية السآمة لعرضنا نماذج كثيرة تؤكد أستاذية ابن مسعود للكوفيين ، وتمسكهم به وحرصهم على متابعته .

الهوامش

(١) فتح الباري ٩/٣٨ .
(٢) مروج الذهب ١/٣٣٣ .
(٣) أسد الغابة ٣/٢٥٩ .
(٤) المصاحف : للسجستاني ١٤ .
(٥) غاية النهاية ١/٤٥٩ .
(٦) المصدر السابق ١/٤٥٩ .
(٧) المصدر السابق ١/٥٣٥ .
(٨) المصدر السابق ١/٢٦٢ .
(٩) البحر المحيط ١/٣٤٣ .
(١٠) المصاحف ٥٩ .
(١١) السبعة : لابن مجاهد ٢٠٥ .
(١٢) المصدر السابق ٢٠٥ ، والإتحاف ١٧٣ .
(١٣) المصاحف ٦٤ .
(١٤) إتحاف فضلاء البشر ٢٧٩ .
(١٥) المصاحف ٦١ .
(١٦) السبعة ٢٦٣ ، والبحر ٤/١٨٣ .
(١٧) معاني القرآن : للفراء ١/١٤٥ .
(١٨) إعراب القرآن : للنحاس ١/٢٦٥
(١٩) معاني القرآن : للفراء ١/١٥٥ .
(٢٠) معجم القراءات ٤/٤٥ .
(٢١) الإتحاف ٢٩٩ .
(٢٢) معاني القرآن : للفراء ١/١٧٤ .
(٢٣) المصدر السابق ١/١٩٠ .
(٢٤) المصدر السابق ١/٢٣١ .

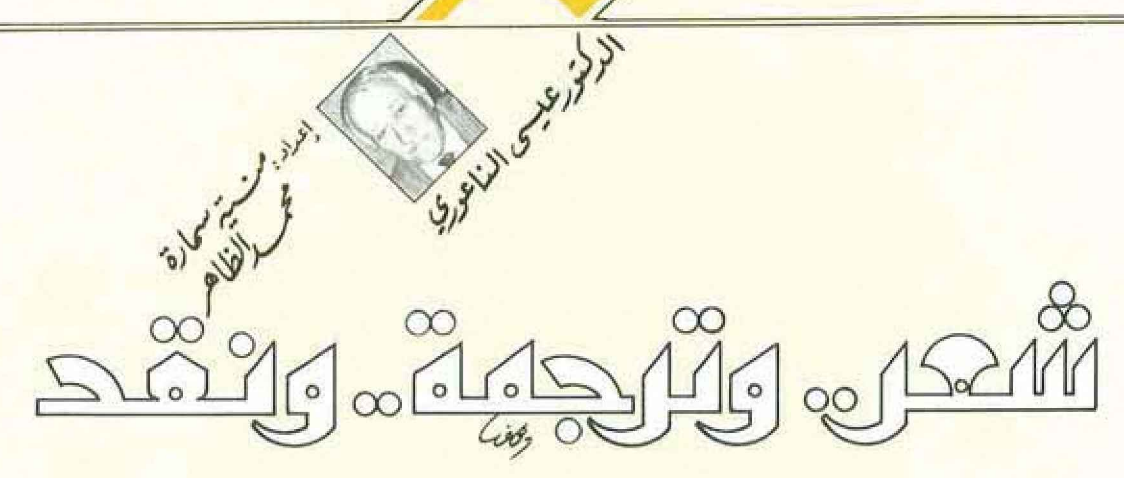


الهم الأخطر

شعر : سعد البواردي

يا ناثرَ الدمعِ .. هذي
غمائم السحب تمطر
ذكرتَها حين تبكي
والشيء .. بالشيء يُذكر
إن كنتَ تبكيه بُعْداً
فالسحب تبكيه أكثر
أو كنتَ تشكيه وجداً
فجفنها منه يسهر
كلاكما الشوق يلق
والنار بالقلب تسعر
فمن دموع سماها
الأرض تروى وتزهر
ومن دموعك صبّاً
القلب يكوى .. ويعصر
شيئان في الهم . لكن
الهمّْ في المرء أخطر





الدكتور عيسى الناعوري

إعداد: منية سمارة
محمد الظاهر

شعر.. وترجمة.. ونقد



الدكتور عيسى الناعوري، من الشخصيات الأدبية البارزة على الساحة الأردنية والعربية حيث واكب الحركة الأدبية منذ فجر الثلاثينات، وحتى اليوم، ورفدها بالعديد من فنون الإبداع الأدبية، من قصة ورواية، وشعر، ودراسة، ونقد، وترجمة، وكانت له في مختلف هذه الفنون الأدبية صولات وجولات، جعلته يقف في طليعة كوكبة الأدباء الذين أرسوا دعائم الحركة الفكرية والأدبية في الأردن.

ولد الدكتور الناعوري، في قرية «ناعور» قرب العاصمة الأردنية عمّان، عام ١٩١٨م، وأتم دراسته الابتدائية في القرية، والثانوية في المدرسة الإكليريكية في القدس، وعمل في تدريس العربية وآدابها خمس عشرة سنة، في مدارس أهلية في فلسطين والأردن، ثم عمل سكرتيراً ومفتشاً لإدارة مدارس الاتحاد الكاثوليكي في الأردن، ثلاث سنوات، من عام ١٩٤٩م، إلى عام ١٩٥٢م، بعد ذلك عمل موظفاً في وزارة التربية والتعليم

لقاء

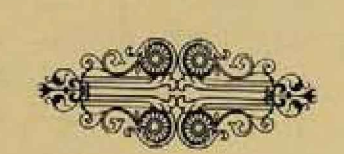
☆☆ الأدب المهجري مات بموت روّاده..!

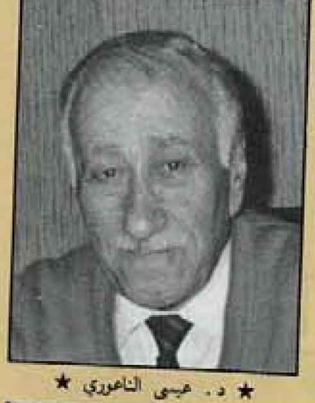
إحدى وعشرين سنة، من عام ١٩٥٤م، حتى عام ١٩٧٥م.

أما حياته الأدبية، فقد أصدر مجلة «القلم الجديد»، في عمّان من أيلول (سبتمبر) ١٩٥٢م، حتى آب (اغسطس) ١٩٥٣م، حيث صدر منها اثنا عشر عدداً.. منها ثلاثة أعداد خاصة عن الأدب في الأردن، وليبيا، والمهجر، وله أكثر من خمسين كتاباً مطبوعاً، ونحو أربعين كتاباً لم تطبع بعد، وتشمل كتبه المطبوعة: القصة القصيرة، والرواية، والشعر، والنقد العربي، والبحث، والدراسة، والتراجم، والسير، وأدب الأطفال والأحداث، والترجمة عن اللغات الغربية وإليها، والكتب المدرسية. ومن مؤلفاته ثلاثة كتب باللغة الإيطالية، وبحوث عديدة منشورة باللغة الإيطالية واللغة الإنجليزية، ومجموعة شعرية باللغة الإيطالية غير مطبوعة. وله محاضرات عديدة جداً بثلاث لغات هي: العربية، والإيطالية، والإنجليزية. ألقيت في العديد من الأندية العربية والغربية، وفي بعض الجامعات العربية والأوروبية، ولا سيما في إيطاليا، والاتحاد السوفييتي، والمجر، وإسبانيا، وتايوان.. وله الكثير من الأعمال المترجمة إلى عدد من اللغات الغربية، ولا سيما الإيطالية، والإسبانية، والفرنسية، والإنجليزية، والروسية، والمجرية، والرومانية، وبعضها أصبح يدرس في بعض الجامعات الغربية، وظهرت حوله رسائل جامعية في إيطاليا والاتحاد السوفييتي.

أما الألقاب والمناصب، والأوسمة التي نالها، أو شغلها، فإنها تزيد على خمسة عشر لقباً، ومنصباً، ووساماً، لكن أهمها نيله الدكتوراه الفخرية من جامعة باليرمو بإيطاليا سنة ١٩٧٦م، حيث كان ثالث عربي يحصل عليها بعد طه حسين وحسن عثمان.. والدكتوراه الفخرية من الأكاديمية العالمية للفنون والثقافة في تايبي ـ الصين الوطنية، في تموز (يوليو) ١٩٨١م، بالإضافة إلى كونه عضواً مراسلاً أو عضو شرف في العديد من المراكز الثقافية والمجامع العربية والعالمية.

هذا هو ضيف مجلة «الفيصل» في هذا اللقاء.

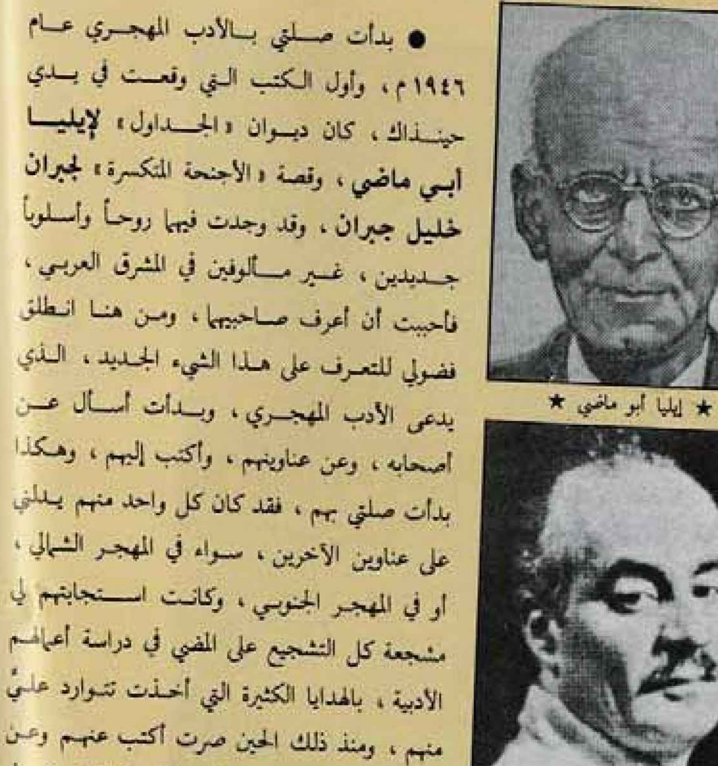




★ د. عيسى الناعوري ★



★ إيليا أبو ماضي ★





★ جبران خليل جبران ★

الأدب المهجري



●● المعروف أنكم من أوائل الباحثين في الأدب المهجري، ويعتبر كتابك «أدب المهجر»، من أهم الكتب التي صدرت في هذا المجال.. كيف بدأت صلتك بهذا الأدب؟

● بدأت صلتي بالأدب المهجري عام ١٩٤٦م، وأول الكتب التي وقعت في يدي حينذاك، كان ديوان «الجداول» **لإيليا أبي ماضي**، وقصة «الأجنحة المتكسرة» **لجبران خليل جبران**، وقد وجدت فيهما روحاً وأسلوباً جديدين، غير مألوفين في المشرق العربي، فأحببت أن أعرف صاحبيهما، ومن هنا انطلق فضولي للتعرف على هذا الشيء الجديد، الذي يدعى الأدب المهجري، وبدأت أسأل عن أصحابه، وعن عناوينهم، وأكتب إليهم، وهكذا بدأت صلتي بهم، فقد كان كل واحد منهم يدلني على عناوين الآخرين، سواء في المهجر الشمالي، أو في المهجر الجنوبي، وكانت استجابتهم لي مشجعة كل التشجيع على المضي في دراسة أعمالهم الأدبية، بالهدايا الكثيرة التي أخذت تتوارد عليّ منهم، ومنذ ذلك الحين صرت أكتب عنهم وعن مؤلفاتهم، التي تصل إليّ، وأنشر كتاباتي هذه في الصحف، أو أذيعها من **إذاعة القدس**، أو **إذاعة لندن، أو إذاعة الشرق الأدنى**.. ولعلي كنت أول من عرّف بالأدب المهجري في المشرق العربي، بصورة واسعة جداً عن طريق الصحافة، والإذاعة.

●● وما قصة كتابك «أدب المهجر»؟

● بعد اثنتي عشرة سنة، من الجهد المتواصل، في الدراسة والكتابة عن أدب المهجر،

وفي عام ١٩٥٨م ، جاء إلى عمّان الراحل «عادل الغضبان» ، **مدير دار المعارف في القاهرة** ، في ذلك الوقت ، وطلب مني كل ما كتبته عن الأدب المهجري ليصدره في كتاب ، وقد ظهرت الطبعة الأولى من «أدب المهجر» عام ١٩٥٩م ، مع مقدمة لعادل الغضبان ، وتوالت الطبعات ، وكنت في كل طبعة أضيف ما يحدث في أدب المهجر ، حتى إنني في **الطبعة الثالثة ، غيرت الكثير من الأشياء ، وأضفت الكثير أيضاً** ، وأنا أعتز لكون هذا الكتاب ، المرجع الأول ، لكل الذين درسوا أدب المهجر .

مدرسة أدبية

●● من المعروف ، أن الأدب المهجري ، كان إحدى المدارس الأدبية الحديثة المميزة ، فما الأسباب ، التي أدت إلى تطور هذا الأدب ، ورواجه ؟

● الأدب المهجري ، بدأ مدرسة لامعة في المهجر الشمالي ، على أيدي فئة صغيرة من الكتّاب ، الذين خرجوا من الظلم في لبنان وسورية ، وجاءوا إلى أمريكا حيث الحرية الواسعة ، واتصلوا بالأدب الأمريكي ، وبالآداب الغربية عامة ، وكان في نفوسهم طموح إلى الخروج من أدب التقاليد ، والقاموسية الجافة ، فانطلقوا يبدعون بكل ما يملكون من حرية الفكر ، بعيداً عن رقابة الأفكار والأقلام الجامدة ، فجاء أدبهم جديداً في أفكاره ، ومضامينه ، وأساليبه ، وكان في هذه كلها إشراق جديد ، لم يعرفه المشرق العربي من قبل ، وصار ما ينشره أولئك الشبان المبدعون **في مجلة «الفنون» لنسيب عريضة ، ثم جريدة «السائح» لعبد المسيح حداد ،** يصل إلى المشرق ، فتلاحقه الصحف ، ويقرأه



★ نسيب عريضة ★

المشارقة ، فيذهلهم ما فيه من جدة ، وإشراق ، وهكذا بدأ الأدب المهجري ، ينتشر في المشرق بقوة ، على الرغم من المقاومة الشديدة التي كان يلقاها هذا الأدب الجديد ، في مصر خاصة ، وعلى يدي طه حسين زعيم التجديد في المشرق ، وفي بعض الأقطار العربية الأخرى ، لكنه بالرغم من ذلك ظل مدرسة التجديد الحقيقية الأولى والوحيدة في الأدب العربي المعاصر .

انحسار الأدب المهجري

●● وما هو سبب انحساره ؟

● سبب انحسار هذا الأدب ، سبب طبيعي ، فقد مات أغلب أصحابه ، الذين ساهموا في نشر هذا الأدب ، والذين تركوا بصماتهم البارزة على الأدب العربي الحديث ، أما الأدب المهجري الحالي ، فقد أصبح امتداداً للأدب المشرقي الحالي ولا جديد فيه على الإطلاق ، لأن الجدة ماتت مع أصحابها .

الفن الروائي .. والعصر

●● ما سبب افتقار الساحة الأدبية في الأردن إلى الفن الروائي ؟

● أعتقد أن الرواية في حاجة إلى جهد فكري أكبر بكثير من مجرد كتابة القصة ، فلكي تعرف كيف تعطي الأشخاص أدوارهم المميزة ، وتربطها بعضها ببعض ، من أول الرواية إلى آخرها ، وكي توصل الفكرة التي تريدها ، وترسم الأماكن والأحداث ، والأشخاص ، كل هذا يحتاج إلى جهد واستعداد نفسي ، لا تحتاج إليه لا في الشعر ، ولا في القصة ، ولا في البحث ، ولا في النقد العربي ، **فالرواية عمل ضخم لا يستطيع كل إنسان أن يقدم عليه** ، كذلك فإن الظروف أيضاً لها مسؤولية كبرى في خلق العمل الروائي ، ويظهر أن لكل هذا الأمر غير متوفر في الساحة الأردنية .

القصيدة العربية

●● المعروف الكم من الأصوات التي ما تزال متشددة في تأييدها للقصيدة العمودية ، فلماذا هذا التشدد ؟

● أولا يجب أن تعرف أن هذا الموقف موقف مبدئي ، أنا لا أؤمن إطلاقاً بتجارب الشعر الحديث الذي يعتمد على التفعيلة الواحدة ، أو الذي لا يعتمد على التفعيلة مطلقاً . وأنا متشائم جداً من أدب الشباب ، ليس على الساحة الأردنية فحسب ، بل وعلى الساحة العربية ، فالشعر العربي الأصيل انتهى ، ولم يبق منه سوى بعض الخرزات الزرقاء ، التي ما تزال تتعامل مع القصيدة العمودية الأصيلة .

الذين كتبوا قصيدة التفعيلة ، يقولون إنهم تأثروا بالشعر الغربي ، هذا غير صحيح ، فنحن نعرف أن الغربيين قد هربوا من قلة الموسيقى في شعرهم ، فهناك فقر مدقع في الموسيقى الشعرية في الشعر الغربي ، لذلك هربوا من هذا الفقر إلى الحرية الواسعة ، فصارت الموسيقى عندهم تعتمد

على الرنين اللفظي ، وليس على موسيقى التفعيلة كما هي عندنا ، وقد عوضوا الموسيقى ، بالخيالات والتعابير الجميلة . لقد هربوا من الفقر إلى الغنى ، أما نحن فعلى العكس تماماً ، لقد هربنا من الغنى الكبير جداً في الموسيقى ، حيث إن بحورنا الستة عشر ، تزيد على الستين بحراً ، بمجزوءاتها ، وقد تركنا هذا الغنى الواسع لننظمه على ثلاثة بحور أو أربعة ، لماذا نهرب من هذا الغنى الواسع إلى الفقر الضيق جداً ، لكي نقلد الغربيين الذين هربوا من الفقر إلى الغنى ؟ .

●● ما دمت لا تؤمنين بالقصيدة الحديثة ، لماذا قمت إذن بترجمة أشعار شعراء المقاومة الفلسطينية إلى الإيطالية ، وترجمت مجموعة كاملة لفدوى طوقان ، كانت السبب الرئيسي في نيلها جائزة حوض البحر الأبيض المتوسط؟

● لقد ترجمت هذا الشعر ، لروحه وليس لكلماته ، فروح المقاومة الملتهبة ، وروح الثورة ، هي التي دفعتني لترجمة هذا الشعر ، وأنا لم أترجم منه سوى هذه الروح .

النقد العربي .. والعالمي

●● لقد كانت لكم في مجال النقد صولات وجولات ، ومعارك عديدة ، كيف تنظر إلى النقد العربي الحديث ، مقارنة مع الواقع النقدي العالمي ؟

● الفروق هائلة جداً ، بين النقد العربي ، والنقد العالمي . الناقد الغربي ، يبحث عن عناصر الإبداع والجودة ، ويحلل العمل الأدبي بتفاصيله الصغيرة ، ليصل ويتجرد إلى ما يريد ، حتى إن هذا الناقد يكشف الأديب لنفسه ، وقد حدث هذا معي ، حين قامت دارسة إيطالية بكتابة رسالة دكتوراه عن مجموعتي القصصية « أقاصيص أردنية » ، لقد حللت هذه القصص ، بشكل لم أفكر فيه مطلقاً ، لقد حللت الأماكن ، والملابس ، والألوان ، وكشفتني لنفسي ، بشكل لم أعهده مطلقاً عند أي ناقد عربي .



★ فدوى طوقان ★

والآن تقوم دارسة أخرى ، بكتابة رسالة دكتوراه عن ترجمتي لرواية الفهد ، وتعقد مقارنة بين ترجمتي العربية ، والأصل الإيطالي ، والترجمات العالمية الأخرى لهذه الرواية ، وقد اتصلت بي مؤخراً ، لتستفسر عن استعمالي لعدد من الألفاظ والسبب في استعمالها دون غيرها .

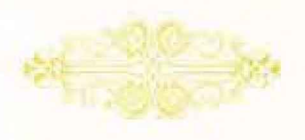
الناقد الغربي أيضاً مرافق للإبداع هناك ، يقدمه إلى القراء ، ويحببه إليهم ، وقد عرفت الكثير من الكتّاب الغربيين الذين لا يجرأون على طرح كتبهم في الأسواق ، بل يطبعون عدداً محدوداً من النسخ ، ويرسلونها إلى الصحف ، وإلى النقّاد ، فإذا كان رأي النقّاد والصحف مشجعاً أعادوا طباعتها ، وإلا أهملوها .

هناك ثقة كبيرة بين الناقد والمبدع ، لأن الناقد هناك يحترم كلمته ، ويحترم نفسه ، لذلك يحترمه الناس ويحترمون كلمته . أما النقد في الساحة العربية ، فهو عكس ذلك تماماً .

الترجمة

●● من المعروف أنكم من المترجمين لعدد من اللغات الحية وإليها ، فكيف تنظر إلى الآداب الغربية من حيث شيوعها ، وقدرتها على التأثير ؟

● الآداب الغربية كلها متشابهة ، من حيث الغنى والجدارة بالشيوع والترجمة ، **فالأدب الإيطالي** مثلاً ، لا يقل ، ولم يكن يقل في عصر من العصور عن **الأدب الإنجليزي أو الأدب الفرنسي** ، لكن جهل الناس باللغة الإيطالية جعلهم يجهلون أدبها ، وقيمة أدبها ، أما **الإسبانية** فأنا لا أتقنها ، وإن كنت أترجم عنها بعض الأشياء البسيطة . أما الأدب الإيطالي ، فأنا أعرف قيمته ، وأعرف غناه ، وأعرف أصحابه المعاصرين ، لذلك انصرفت إليه أكثر من غيره ، وترجمت عنه ، وكتبت عنه أكثر من سواه ، وترجمت من **الأدب المجري** أيضاً **« مأساة الإنسان »** ، وهذه المأساة من الروائع الشعرية العالمية ، التي أعتز أنني كنت الوحيد الذي نقلها إلى العربية . أما قصصي ورواياتي ، وأشعاري فقد ترجمت إلى الإيطالية ، والإسبانية والإنجليزية ، والفرنسية ، والمجرية والروسية ، وعدد من اللغات الأخرى . وعملية الترجمة ، في اعتقادي ، ضرورية ومهمة جداً للتبادل الإنساني أولاً ، وللتلاقح الفكري ثانياً ، ومعرفة العالم بصوره وخيالاته وأوضاعه ، أما المترجم فيجب أن يتقن اللغة التي يترجم عنها ، ويفهم روحها ، ويتقن اللغة التي يترجم إليها ويفهم روحها أيضاً ، والذي لا يتقن هذا المبدأ الأساسي ، لا يمكن أن ينقل النص الإبداعي بأمانة وصدق .





رسالة الحاج اللورد هدلي الفاروق[1]

ربما خيل إلى بعض اصدقائي أني متأثر تأثراً عاطفياً بالمسلمين ؛ ولكن ليس كذلك ، فما أعتقده اليوم إن هو إلا حصيلة سنوات طوال من التفكير والتأمل والبحث . أما مداولاتي وأحاديثي المباشرة مع طائفة من المسلمين المثقفين في موضوع الدين فلا ترجع إلى أكثر من بضعة أسابيع ، وأنا في غنى عن القول إن مما أسعدني حقاً أن أجد أخيراً أن جميع ما انتهيت إليه من آراء ونظريات ونتائج إنما يتفق تمام الاتفاق مع الإسلام .

إن إسلام المرء يجب أن يكون نتيجة الاختيار الحر والمحاكمة العفوية ، لا نتيجة إكراه أو فرض . وهذا نفسه هو ما عناه السيد المسيح حين قال لأتباعه : « وأيّ امرئ يعرض عنكم ولا يستمع إليكم ، عندما ترحلون إلى هناك . . . » ـ (القديس مرقس ـ ٦ ، ٢) .

لقد اتفق لي أن عرفت عديداً من **البروتستانت** المتحمسين تراءى لهم أن واجبهم الديني يدعوهم إلى زيارة بيوت الروم الكاثوليك بقصد تحويل أهلها عن مذهبهم . وبديهي أن مثل هذا السلوك ، غير الودي والمثير في وقت ما ، هو شيء بغيض حقاً ، وقد أدى دائماً إلى الاستياء ، وإثارة الفتن ، وأدى إلى احتقار الدين نفسه . وإنه ليؤسفني أن أرى أن البعثات المسيحية أيضاً قد حاولت مثل هذه المحاولات ، وسلكت مثل هذه السبل مع الإخوة المسلمين ، مع ما تميز به الإسلام من عطف وإحسان ، وتسامح ورحابة أفق ، يقترب مما دعا إليه السيد المسيح نفسه أكثر مما نرى في المذاهب المختلفة للكنائس المسيحية ، وهي مذاهب على جانب من الضيق وقصر النظر والتزمت .

ولنضرب مثلاً **بالمذهب الأثانازي**[2] الذي يعالج **مسألة الثالوث** بطريقة جد معقدة ، على ما هو معروف لدى أكثر المسيحيين . ففيما يعالج هذا المذهب بصورة حاسمة هذه المسألة التي هي إحدى المعتقدات الأساسية لهذه الكنائس ، نجده ينص بكل صراحة على أن هذا المذهب يمثل العقيدة الكاثوليكية ، وإننا إذا نحن لم نؤمن بها ـ على عواهنها ـ فإننا هالكون إلى الأبد . بكلمة أخرى : إن الفكرة هنا هي فكرة إلٰه نمجده بوصفه رحيماً وقادراً على كل شيء ، ثم لا نلبث أن نتهمه بالظلم والقسوة ، وهما من الصفات التي قد تعزى إلى طاغية متعطش للدماء من طغاة البشر ، ولكنها لا تعزى قطعاً إلى إلٰه . كل ذلك يقال كما لو أن الله « الذي هو قبل كل شيء وهو فوق كل شيء ، سوف يتأثر بما يفكر فيه أبناء الحياة المساكين هؤلاء بشأن الثالوث » .

وهذا مثال آخر على الافتقار إلى حسن الظن وروح التعاطف : فقد تلقيت رسالة ـ في صدد ميلي إلى الإسلام ـ قال لي فيها كاتبها : إذا أنا لم أؤمن بألوهية المسيح فقد هلكت . إن مسألة الوهية المسيح هذه لم تبد لي قط في أهمية المسألة الأخرى : « هل قد أدى المسيح رسالة الله إلى البشرية ؟ » . . وأنا لو كان عندي أي ريب في هذه النقطة ، لكنت خليقاً بأن أشعر بالقلق إلى حد كبير ، إلا أنني ، بفضل الله ، لا تخامرني في هذا الأمر أية شكوك .

في أيامنا هذه ، يتجه بعض الناس إلى الزندقة حين يُدعون إلى الأخذ بالمعتقدات الحرفية والمتعنتة ؛ مع أن ثمة لهفة واضحة لدى الكثيرين نحو الدين الذي يتجاوب مع العقل كما يتجاوب مع العواطف الإنسانية .

هنالك الآلاف من الرجال ـ والنساء أيضاً ، فيما أعتقد ـ الذين هم في صميمهم مسلمون ، غير أن العرف الأعمى ، والخوف من التعليقات المعاكسة ، والرغبة في اجتناب القلق والمشاكل والتغييرات ، إنما تتضافر جميعاً للحؤول بينهم وبين قبول الواقع بصورة علنية . أما أنا ، فقد اتخذت هذه الخطوة ، رغم علمي التام بأن الكثير من الأصدقاء والأقرباء ينظرون إليّ اليوم نظرهم إلى روح ضالة لا جدوى من الصلاة من أجلها . ومع ذلك فإني لعلي إيماني وما كنت أعتقده قبل عشرين عاماً ، وما من شيء غير جهري بذلك يحرمني من حسن ظنهم .

بعد أن جئت على ذكر بعض الأسباب لاعتناقي الإسلام فإني لآمل في أن يحذو الآخرون حذوي ، الذي أؤمن بصدق أنه حذو حسن .

رسالة محمد ليوبولد أسد[3]

في عام ١٩٢٢ م ، غادرت وطني الأم « النمسا » لأطوف بعيداً في إفريقيا وآسيا كمراسل خاص لبعض صحف القارة القيادية ، وقضيت منذ ذلك التاريخ جل وقتي تقريباً في الشرق الإسلامي . وكان اهتمامي بالشعوب التي اتصلت بها في البداية اهتمام غريب عن هذه الشعوب ليس إلا . ولم يفتني مع ذلك أن ألاحظ أن النظام الاجتماعي والنظرة إلى الحياة هنا تختلفان اختلافاً أساسياً عنها في أوروبا . ولعل من الطريف أنني وجدتني أشعر منذ البداية بميل نامٍ إلى هذه النظرة ، هذا التصور الأهدأ والأعمق ـ بل لأقل : الأكثر إنسانية ـ للحياة ، إذا ما قارناه بأسلوب الحياة المتعجل ، الآلي ، السائد في أوروبا . ولم يلبث هذا الميل أن قادني إلى البحث عن الأسباب المؤدية إلى مثل هذا الاختلاف ، ووجدتني من ثَمّ معنياً بالتعاليم الدينية لدى المسلمين . في ذلك الحين ، كان من الطبيعي أن لا يبلغ بي اهتمامي ذاك حد النفوذ إلى دخيلة الإسلام ، بيد أنه كان كافياً ليفتح لي أفقاً جديداً ، أرى من خلاله مجتمعاً إنسانياً تقدمياً ، منظماً ، قائماً على الحد الأدنى من النزاعات



الإسلام.. خيارنا

والصراعات ، والحد الأعلى من التعاطف والشعور الأخوي الحق بين أفراده . ومع ذلك ، فقد ظهر لي أن واقع الحياة الحاضرة للأمة الإسلامية بعيداً جداً عن مستوى الإمكانات المثالية التي تزخر بها تعاليم الإسلام الدينية . إن ما قد كان في الإسلام بمثابة التقدم والحركة ، قد انقلب ، بين المسلمين ، إلى خمول وركود ؛ ما قد كان ثمة سخاء واستعداداً للتضحية ، قد استحال ، بين مسلمي اليوم ، إلى ضيق في التفكير وإيثار للحياة السهلة ، اللينة ، الفارغة .

عند ذاك ، وبدافع من الشعور بأهمية هذا الاكتشاف ، وخطورة هذا التعارض الظاهر بين أمس واليوم ، رأيتني أحاول الاقتراب من المشكلة التي طالعتني من وجهة نظر أكثر صميمية : أي إنني حاولت أن أتصور نفسي داخل دائرة الإسلام . وكانت تجربة روحية بحتة ، وقد كشفت لي ، في غضون وقت قصير جداً ، عن الحل الصحيح . **لقد تبين لي بما لا يدع مجالا للشك أن السبب الوحيد للتخلف الاجتماعي والثقافي للمسلمين إنما يتمثل في حقيقة أنهم قد كفوا تدريجياً عن اتباع تعاليم الإسلام في روحها وجوهرها** . تبين لي أن الإسلام كان لا يزال هناك ، ولكنه كان جسداً بلا روح . إن العامل الذي كان ذات يوم هو السبب في قوة الإسلام بات اليوم هو نفسه المسؤول عن ضعفه . إن هيكل المجتمع الإسلامي كان قد بني على أسس إسلامية فقط ، وإن ضعف الأسس قد أضعف بالضرورة البنية الثقافية ، وربما أدى إلى اضمحلالها النهائي .

وبقدر تقدمي في فهم واقعية تعاليم الإسلام وعمليتها ، ازددت إلحاحاً في التساؤل : لِمَ أهمل المسلمون تطبيقها الكامل في الحياة الواقعية ؟ ورحت أناقش هذه المشكلة مع عديد من المفكرين المسلمين في أغلب البلاد الواقعة بين **الصحراء الليبية وبامير**[4] ، بين **البوسفور والبحر العربي** . وطغى هذا الموضوع على سائر اهتماماتي الفكرية في عالم الإسلام . وما زال التساؤل يتعاظم في نفسي ، حتى بت ـ أنا غير المسلم ، آنذاك ـ أتحدث إلى المسلمين كأن من واجبي دون الآخرين أن أدافع عن الإسلام تجاه إهمالهم وخمولهم . وتعذر عليّ أن أقطع أي شوط يذكر في هذا المجال ، حتى كان ذات يوم ـ في خريف ١٩٢٥ م ، في جبال **أفغانستان** ـ التقيت فيه بحاكم شاب لإحدى المقاطعات ، وإذا هو يبادرني بقوله : « ولكنك مسلم ، وكل ما في الأمر أنك لا تعرف ذلك » . وفاجأني قوله ، فلبثت صامتاً . فلما عدت إلى أوروبا ثانية ، عام ١٩٢٦ م ، أدركت أن النتيجة المنطقية الوحيدة لهذا الموقف الذي اتخذته هي أن أعتنق الإسلام ، وقد فعلت .

هذا عن ظروف إسلامي . وما زلت منذ ذلك الحين أُسأل : **لماذا اعتنقت الإسلام** ؟ ما الذي أثارك فيه وجذبك إليه على التحديد ؟ وإن من واجبي أن أعترف : أنا لا أكاد أعرف جواباً مرضياً عن ذلك ، إلا أن يكون ما وجدت في بنية تعاليمه الأخلاقية ومنهاج حياته العملية ، ككل ، من تماسك وتكامل رائع مثير يتجاوز الوصف ويتجاوز التحديد . أنا لا أستطيع حتى الآن أن أقول إن هذه الظاهرة أو تلك في الإسلام هي التي اجتذبتني إليه أكثر من غيرها . فهذا الإسلام هو في نظري كالإنجاز ، الصرح المعماري ، الكامل ، روعي أن يكون كل جزء فيه مكملاً ومدعماً لكل جزء آخر ، لا شيء ثمة سطحي ضحل ، ولا شيء ناقص ، وكانت النتيجة توازناً مطلقاً وقواماً راسخاً . ربما كان هذا الشعور بأن كل شيء في تعاليم الإسلام وأحكامه هو « في موضعه الصحيح المناسب » ، هو الذي أحدث في نفسي أقوى الأثر . وربما كان ثمة ، مع هذا الأثر ، آثار أخرى يتعذر عليّ اليوم تحليلها . وكانت القضية ، في خاتمة المطاف ، بالنسبة إليّ ، قضية حب ؛ والحب قوامه أشياء كثيرة ؛ قوامه رغباتنا وتوحدنا ، قوامه أهدافنا ونكساتنا ، قوامه قوتنا وضعفنا . وهذا كله ينطبق على حالتي .

ومنذ ذلك الحين ، وأنا أعمل على الاستزادة من المعرفة بالإسلام . فقد درست **القرآن الكريم** ، وسنّة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، ودرست لغة الإسلام وتاريخه ، وطائفة كبيرة مما كتب عنه وضده . وقضيت أكثر من خمس سنوات في **الحجاز ونجد** ، أكثرها في **المدينة المنورة** ، بهدف التعرف على هذه البيئة الأصيلة التي دعا فيها النبي العربي إلى هذا الدين . ولما كان الحجاز هو مركز لقاء المسلمين من أطراف المعمورة ، فقد أتيح لي بذلك أن أتصل بكل الفئات ، وأقارن بين مختلف الآراء الدينية والاجتماعية السائدة في العالم الإسلامي في أيامنا . وقد انتهيت من تلك الدراسات والمقارنات إلى الاعتقاد الثابت بأن الإسلام ، بوصفه ظاهرة روحية واجتماعية ، لا يزال هو ، رغم مظاهر التخلف التي ترجع إلى تخاذل المسلمين ، أعظم قوة موجهة دافعة جربها النوع البشري عبر تاريخه كله ، وبات جل همي ، من ذلك الحين ، مركزاً على إعادة إحيائه وجلائه .

رسالة محمد ألكسندر رسل وب[5]

يراد مني أن أخبركم خبر إسلامي : لماذا اعتنقت هذا الدين ؟ ولماذا اتخذت هذه العقيدة مرشداً لي في هذه الحياة ، **أنا الأميريكي** ، الذي ولدت في بلد يدعى مسيحياً ، وترعرعت على هفوات ـ أو بالأحرى على شعوذات ـ **المنبر الأورثوذوكسي البرسبيتري**[6] ؟ وإني لأبادر إلى القول بكل إخلاص وأمانة : إني قد **اعتنقت الإسلام ، لأني وجدت ، بعد الدراسة المطولة ، أنه النظام الأفضل والأوحد الذي يلبي حاجات الروح الإنسانية حقاً** . ولأقل ههنا إنني لم أولد ، كما يولد بعض الصبية ، على إرث ديني متقد في جبلتي . فأنا حين بلغت العشرين من العمر ، وأصبحت سيد نفسي ، وجدتني قد مللت ضغط الكنيسة وتزمتها ، إلى

حد أني لم ألبث أن هجرتها بعيداً ولم أعد إليها بعد أبداً . . . ومن حسن الحظ ، أنني كنت أتمتع بطبيعة عقلية تتطلع دون هوادة إلى البحث والتدقيق والنقد والتمحيص . . كنت أريد سبباً لكل شيء ، ووجدت أنه لا رجال الدين ولا سواهم من عامة الناس أو خاصتهم استطاعوا أن يقدموا لي توضيحاً جذرياً شافياً لهذه العقيدة التي نشأت عليها ، وإنما اتفق هؤلاء وهؤلاء جميعاً على القول إن هذه أمور غامضة ، وإنها تتجاوز مستوى إدراكي . وأنا منذ زهاء أحد عشر عاماً معني بالأديان الشرقية المختلفة . . . ولم يفتني في غضون ذلك أن أطالع **مل ، ولوكه ، وكانط ، وهيغل ، وفيخته ، وهكسلي**[٧] ، وطالعت كذلك عدداً من الكتّاب على درجات متفاوتة من المعرفة والبصر فيما يتصل **بالهيولى والذرة** ، ولكن أحداً من كل هؤلاء ، وأولئك لم يستطع أن يخبرني شيئاً عن الروح ، ما هي؟ وما هو مآلها بعد الموت؟

لقد أفضت في الحديث عن نفسي ، لأريكم أن اعتناق الإسلام لم يكن نتيجة عاطفة منحرفة ، أو اعتقاد أعمى ، أو حركة انفعالية آنية ، ولكنه كان وليد دراسة جادة ، أمينة ، حثيثة ، وبريئة من كل تصور مسبق : كان وليد الاستقراء ، والتدبر ، والرغبة الملحة في معرفة الحقيقة .

بكلمة أخرى ، اعتنقت الإسلام بعد أن تبين لي أن جوهر العقيدة الإسلامية الحقة هو الاستسلام لله ، وأن **الصلاة** هي حجر الزاوية فيها . **إن هذه العقيدة ، تدعو إلى الأخوة العالمية ، والحب العالمي ، والتعاطف العالمي . إنها تلح على نقاء العقل ، ونقاء الفعل ، ونقاء القول ، وتلح على النظافة ــ الطهارة ــ المادية الكاملة .** إنها ــ فوق كل شك ــ أبسط وأرق أشكال الدين التي عرفها الإنسان .

رسالة حسين روف[٨]

عندما يعقد أحدهم النية على اعتناق دين غير الذي نشأ عليه بحكم ظروف ولادته ، فإن الدوافع لديه إلى ذلك إنما تكون ، في العادة ، ذات أساس انفعالي ، أو فلسفي ، أو اجتماعي . وأنا رجل أتمتع بمزاج من هذه الأمزجة التي تتوخى في العقيدة أن تلبي هاتين الفئتين الأخيرتين من الدوافع ؛ ولذلك فقد أزمعت ، منذ البداية ، أن أمحص تمحيصاً دقيقاً المقولات والنصوص المدونة والنتائج التي انتهت إليها الأديان الكبرى في العالم .

ولما كنت كذلك ابناً لوالدين يمثلان العقيدتين اليهودية والمسيحية الكاثوليكية ، بكنت قد ربيت على تقاليد **الكنيسة الإنجليزية** ، وخرجت منها بتجربة كاملة خلال سنوات من المثابرة على أداء شعائرها على النهج اليومي الرتيب للمدرسة الإنجليزية الرسمية ، فقد شرعت منذ وقت مبكر أيضاً أعقد المقارنات بين المبادئ والمعتقدات والطقوس المختلفة لكلتا الديانتين ، **اليهودية والمسيحية** ، وقد رأيتني ، بالتالي ، أرفض رفضاً فطرياً ما يقال عن **التجسد الإلهي** ، وتحمّل جريرة آثام الغير ، ورأيت ، من ثم ، أن العقل لا يمكن أن يطمئن إلى المقولات المتباينة التي نجدها في الكتاب المقدس ، ولا يمكن أن يطمئن في غياب عقيدة حية تقوم على أساس من العقل ، على نحو ما نلاحظ في هذه التوطئة التقليدية لتصور الإله التي تقدمها الكنيسة الإنجليزية للمسيحي العادي .

وإذا كان لا بد من القول إنني قد وجدت في اليهودية تصوراً أسمى للإله ، رغم تباين هذا التصور من كتاب إلى آخر من كتب **التوراة** ، وإنني قد وجدت ههنا عقيدة احتفظت بالكثير من صفائها وأصالتها الأسبقين ، وأفدت من ذلك الكثير ، فمن الحق أيضاً القول إنني قد انتهيت إلى رفض الكثير أيضاً . ذلك إني رأيت أن مراعاة جميع الأصول والقواعد ، والعمل بمختلف النصوص والأحكام ، خليقان بأن يستغرقا الكثير الكثير من وقت الإنسان ، وألا يدعا له منه سوى القليل القليل لممارسة شؤون الحياة الدنيوية . هذا إلى جانب أن العقل نفسه خليق بأن يستغرق فيما لا حصر له ولا نهاية من الطقوس والمظاهر . والأسوأ من كل ذلك أن هذه الديانة ديانة أقلية ، وقد أدت إلى إيجاد هوة واسعة فيما بين الفئات الاجتماعية المختلفة .

وفيما كنت أشهد إقامة شعائر الكنيسة الإنجليزية ، وطقوس الكنيس اليهودي ، وأشارك فيهما معاً ، فإني لم أكن أعتنق في الواقع أياً من هاتين الديانتين . لقد وجدت ، في **الكاثوليكية الرومية** ، الكثير جداً من الغموض ، والكثير جداً من الولاء والإذعان للسلطة البشرية ، على نحو ما تُوقع في رُوعنا هذه التماثيل نصف الإلهية التي تقام **للبابا** وأفراد حاشيته ، أو على نحو ما يراد لهذه التماثيل أن توقع في روعنا من ذلك . وهذا كله قد حدا بي إلى التحول إلى **الفلسفة الهندوسية** ، وبخاصة تعاليمها المتأخرة في المذهبين المعروفين ، **أوبانيشادو وفيدانتا** . وهنا أيضاً تعلمت الكثير ، وأكبرت الكثير ، ورفضت الكثير . ذلك إني رأيت أن الشرور والمشاكل الاجتماعية لم تكد تعالج أو توجد لها الحلول ، وأن طائفة رجال الدين بدت تتمتع بما لا يحصى أو يحد من الامتيازات ، في حين لم تمتد أية يد من هذه التعاليم بالمساعدة إلى الفقراء والمساكين من سواد الناس . لقد كان قدر هؤلاء ، في هذه الفلسفة ، من صنع أيديهم نفسها ؛ فإذا هم استطاعوا تحمل هذا القدر بصبر واستسلام ، فربما جاءهم المستقبل بما هو أفضل ــ طريقة ملائمة جداً ، كما هو واضح ، لتكريس ولاء الجماهير ، والحجر على هؤلاء

الناس في ظل حتمية لا فكاك منها . كما بدا واضحاً أن هذه الديانة قد عنت إيجاد نظام كهانة مطلقة السلطة ، وإله مدعو ليشهد بأن إرادته هي التي قضت بأن تبقى الأمور وتستمر الأحوال على ما هي عليه .

أما **البوذية** ، فقد علمتني الكثير من العقل الإنساني وقوانينه ، ودلتني على طريقة للوصول إلى فهم كوني شامل في بساطة تجربة كيميائية ، ولكن تحقيق هذه الغاية ظل مشروطاً بتقديم بعض التضحيات . ولعل من أطرف ما تكشف لي في هذه الديانة ، رد الفعل الواضح القوي فيها ضد النظام الطائفي لرجال الدين .

إلا أنني لم أجد في البوذية ، كما لم أجد من قبل في الهندوسية ، أية تعاليم أخلاقية . نعم ، لقد تعلمت كيفية اكتساب القدرات الخارقة ، فوق البشرية ، أو ما يعتبره سواد الناس كذلك ، ولكن سرعان ما أدركت أن هذه القدرات ليست بمثابة البيّنة ، أو ليست بالضرورة شاهداً على الروحانية . فقد تبين لي بأنها مجرد مؤشر للاستعداد لدى الإنسان للإحاطة بعلم ، لا هدف له إلا تزجية الفراغ على مستوى أرفع في أخلاقيته من مستوى الرياضة ، ومجرد وسيلة للتحكم بالمشاعر والانفعالات ، وتنظيم الرغبات وضبطها ، وذلك على نحو ما نرى لدى تلامذة **الفيلسوف اليوناني زينو ZENO**[9] المعروفين باسم STOICS . ولكن مسألة الإله تبقى خارج نطاق اهتماماتها ، وأنت لا تكاد تعثر فيها على أية إشارة إلى خالق هذا الكون . أي إنها أيضاً مجرد طريقة تتبع من أجل خلاص الفرد نفسه ، وهذا رغم أن المثل الأعلى في **مذهب البوزيزاتفا** إنما يدعو في حد ذاته إلى تضحية الفرد بخلاصه الشخصي ، في سبيل المساعدة على خلاص الآخرين . وفي هذه الحالة دون سواها ، تتكشف لنا هذه الديانة عن روحانية حقة ، وتتجاوز مجرد التحكم بالقوى والنوازع الحيوانية ، الطبيعية . وهذا وذاك يفضيان بنا إلى القول إن البوذية كانت قادرة من الناحية النظرية على إنقاذ العالم ، كما كان ذلك في مقدور مسيحية **تولستوي** الأساسية المجردة ، التي أرجعها ، حصراً ، إلى كلمات **السيد المسيح** ، قبل تشويهها بما زيد عليها مما لا أصل له فيها وبما لابسها من سوء الفهم والتأويل .

ولكن ، إذا كان في وسع الكثير من هذه العقائد إنقاذ العالم من الناحية النظرية ، أفلا يجدر بنا أن نتساءل : لماذا أخفقت في ذلك على الصعيد العملي ، التطبيق ؟ الجواب عن هذا التساؤل لا يمكن أن يخرج عن أنها كانت كلها لفئة قليلة من الناس ولم تكن لجماهيرهم . فكلتا المسيحية والبوذية ، إذا هي فهمت وفق تعاليم مؤسسها ، قد تفادت المشاكل الاجتماعية ، لأنها لم تكن معنية بها ، وكلا عيسى وبوذا قد دعا إلى مثل أعلى يزهد في التملك والاقتناء والحيازة ، ويلغي الذات السفلى إلغاء تاماً في صدد البحث عن الله . « لا تقاوم الشر » ، أو ما يناظرها ، « لا تفكر في الغد » ، أو ما يقابلها . على أني ، من جهتي ، شديد الإعجاب حقاً بأولئك الذين يستطيعون أخيراً اتباع هذه السبيل ولكني على يقين مثله بأن اتباع هذه السبيل غير متاح لجماهير الناس ، وإنه قاصر ، أولا وأخيراً ، عن تحسين حظ الفلاح الجاهل أو رفع مستواه المعيشي ؛ ومن هنا ، ولهذا السبب ، لم تكن لهذه السبيل قيمة اجتماعية تذكر . وإنها بهذا لتعاليمُ ساميةٌ لعملاقٍ روحي ، ونكسةٌ ذريعة وكاملة لسواد الناس . إنها لمتعة ذهنية ، ولا جدوى ترجى منها ، مع ذلك ، في إثارة هذا السواد وتحسين شروط حياة أفراده روحياً ، وعقلياً ، ومادياً ، في غضون فترة زمنية قصيرة .

ربما بدا من الغريب ، بعد هذا ، أن أقضي فترة غير يسيرة من الزمن في بلاد عربية ، دون أن أعير **الإسلام** اهتماماً يذكر ، ودون أن أحاول البحث فيه مثل ذلك البحث الدقيق الذي قمت به لسائر الأديان الكبرى في العالم . بيد أني حين أذكر أن أول اتصالي بهذا الدين قد انحصر في قراءتي **لترجمة رودويل للقرآن**[10] ، أجد دواعي الاستغراب تكاد أن تزول لافتقادي الحماسة الكافية له . والواقع أنه لم يحدث إلا في وقت متأخر أن اتصلت ببعثة إسلامية مشهورة في لندن . وعندئذ **لاحظت أن البلاد العربية لم تفعل شيئاً يذكر لاسترعاء اهتمام غير المسلمين إلى الإسلام ، ولنشر تعاليمه حيث كانت خليقة أن تؤتي أينع الثمار . حتى ليخيل لأحدنا كأن ثمة في الشرق سياسة لكتم هذه التعاليم السامية وإخفائها ، بدلا من بثها وإظهارها .**

أعود فأقول : وهكذا ، وبفضل التوجيه الذكي والرعاية الحكيمة اللذين حظيت بهما من هذه البعثة ، وإذ قد زودت بنسخة من القرآن مترجماً ومفسراً من عالم مسلم وعدد غير قليل من المنشورات الإسلامية التي استطاعت إعطائي صورة أمينة عن الإسلام ، فإني لم ألبث حتى اكتشفت هنا ما طفقت أبحث عنه طوال سنوات .

وإن أنس لا أنسى ذلك اليوم من عام ١٩٤٥ م ، الذي دعيت فيه لشهود **صلاة العيد** والمشاركة في مأدبة الغداء التي أقيمت بعدها . فلقد أتيحت لي يومئذ الفرصة لمشاهدة هذا الحشد الحاشد من المسلمين الذين جاؤوا من مختلف أصقاع العالم ، ولدراسة هذه الظاهرة الإنسانية الفريدة عن كثب . فثمة لم تجتمع طائفة من العرب ، أو أمة من الأمم بذاتها ، وإنما تداعت أقوام من مختلف أجناس العالم ، ومختلف الطبقات والمراتب الاجتماعية ، ومختلف الألوان والوجوه . ثمة التقيت بوجهاء الناس (ومن بينهم أمير تركي) إلى جانب فقرائهم . وكان هؤلاء وهؤلاء يجلسون معاً لتناول الغداء . ولم يكن ليظهر ثمة على هيئة الأغنياء شيء من ذلك التواضع المفتعل ، ولم يكن يتسرب إلى

الشعور بالمساواة الذي كان يسود أحاديث البيض إلى جيرانهم السود شيء من ذلك النفاق البغيض .. لا ، ولم أشهد أية محاولة للترفع أو الانعزال عن الآخرين ، ولا أي أثر من أنانية مقنعة بقناع الفضيلة .

إنه لا مجال هنا لبيان جميع وجوه الحياة التي وجدت لها في تعاليم الإسلام جواباً افتقدته في غيره . حسبي أن أقول إنني ، بعد التفكير الجاد والتقصي العميق ، وجدتني منقاداً لاعتناق هذا الدين ، بعد أن كنت قمت بدراسة كل هام من الأديان الأخرى في العالم دون أن أقرر اعتناق أي منها .

إن هذا الذي أسلفت من حديث يفسر لكم لماذا أنا اليوم مسلم . ولكنه لا يكفي ليفسر فخري واعتزازي بكوني واحداً من المسلمين . وفي الحق أن شعور الفخر والاعتزاز هذا قد نشأ لديَّ عبر الزمن والتجربة . **لقد قمت بدراسة الثقافة الإسلامية في جامعة إنجليزية . وأدركت لأول مرة أن هذه الثقافة على التحديد هي التي أخرجت أوروبا من عصور الظلام . ولقد عرفت بما تعلمت من التاريخ كم من كبريات الإمبراطوريات في العالم كانت إمبراطوريات إسلامية ، وبكم يدين العلم الحديث للإسلام .** وحين جاءني بعضهم ليقول لي إني قد خطوت إلى الخلف ، ابتسمت لجهله ، وخلطه بين السبب والأثر . وإلى هؤلاء أقول : **هل يحكم العالم على الإسلام بما آلت إليه الأمم الإسلامية من التخلف أو الانحطاط ، لأسباب خارجية ، لا علاقة لها في الواقع بالإسلام نفسه ؟!** هل نبخس نحن فن النهضة قيمته لأن أعمالاً مبتسرة تحسب على الفن ، وهو منها براء ، تنجز اليوم هنا وهناك من جميع أنحاء العالم ؟! لا . ولا نزاع على أن **علينا أن نذكر أن أكبر العقول وأكثرها تقدماً في جميع العصور ، استطاعت أن تشعر بالاحترام والإكبار للثقافة الإسلامية ، هذه الثقافة التي لا تزال أكثر لآلئها خبيئة لم يكتشفها الغرب .**

لقد طفت في أنحاء العالم في عديد من البلاد ، وأتيحت لي الفرصة لألاحظ كيف يُستقبل الأغراب حيثما كانوا ، ولأرى ما إذا كان رد الفعل الأول نحوهم هو تقديم المساعدة إليهم ، وأين على التحديد يبدأ تقديرهم والحكم عليهم ، وما هي المزايا التي يمكن أن تجنى من مثل هذه المساعدة . نعم ، **وإن بإمكاني القول هنا إنه ليس في الملل كلها من يضاهي المسلمين حفاوة بالغرباء ولطفاً . وأضيف : إنه ، على الصعيد الاقتصادي ، لم يسبق في غير المجتمعات الإسلامية أن أقيم جسر على الهوة بين الأغنياء والفقراء ،** على نحو يغني هؤلاء عن محاولة الإخلال بالبنية الاجتماعية الكاملة وإلقاء بذور الفوضى فيها . **إن الشيوعية السوفييتية الحديثة ستظل عاجزة أبداً عن النمو في تربة دولة إسلامية .**

رسالة الليدي إيفلين زينب كوبولد

كثيراً ما أسأل : متى ، ولِمَ أسلمت ؟ كل ما أستطيع قوله إني لا أعلم على التحديد اللحظة التي أشرقت فيها حقيقة الإسلام على نفسي . يبدو أني كنت دوماً مسلمة . وليس هذا بالأمر الغريب . فالإسلام هو الدين الطبيعي الذي يتطور إليه أي طفل ، فيما لو ترك لنفسه وشأنه . والحقيقة أيضاً أنه ، كما وصفه ناقد غربي مرة : « الإسلام هو دين الفطرة » .

وإني لأراني ، كلما أمعنت في المطالعة والدراسة ، أزداد قناعة بأن الإسلام هو أكثر الأديان عملية ، وأنه الدين الأكثر إعداداً لحل مشاكل هذا العالم الكثيرة المتشابكة ، ولضمان السلام والسعادة للإنسانية الحائرة . وأنا ، منذ ذلك الحين ، لم أتزحزح عن الاعتقاد بأنه لا إله إلا الله الواحد الأحد ، وأن موسى ، وعيسى ، ومحمداً ، ومن سبقهم من الأنبياء ، إنما أرسلوا جميعاً بوحي من السماء ، وأن الله قد أرسل إلى كل قوم رسولاً بهديهم ، وأننا لم نخلق خاطئين ، ولسنا في حاجة إلى أي خلاص على يد المسيح ، ولسنا في حاجة إلى أحد يتوسط ، أو يتدخل بيننا وبين الله ، الذي نستطيع أن نقبل عليه بأنفسنا في أي وقت ، وعلى أي حال ، وأنه لا محمد ولا عيسى ولا أحد يستطيع أن يغني عنا من الله شيئاً ، وأن خلاصنا يعتمد على أنفسنا وعلى أعمالنا ليس غير .

إن كلمة « الإسلام » تعني الخضوع لله . وهي تعني السلام أيضاً . وإن المسلم هو من « اتبع أوامر مبدع هذا العالم » ، هو من أقام السلام مع الله ومع مخلوقاته جميعاً .

والإسلام ، هذا البناء الشامخ ، يقوم على حقيقتين أساسيتين : (أ) وحدانية الله ، و(ب) الإخاء الإنساني . وهو بريء من أية تعقيدات لاهوتية . وهو ـ فوق كل شيء ـ عقيدة إيجابية .

إن الحديث عن **الحج** ، في هذه المناسبة ، ليس من فضول القول ، وليس حديث مبالغة . فكون المسلم عضواً في ذلك الحشد الهائل المجتمع من أرجاء



الإسلام خيارنا

الأرض الأربعة ، في هذه المناسبة المقدسة ، وفي هذا المكان المقدس ، تمجيداً لله ، ولا أحد سواه ، ولا شيء سوى ذلك . . إن ذلك يعني كون وجدان هذا المسلم قد تأثر تأثراً عميقاً بالمدلول الكامل للمثل الإنساني الأعلى ، وإنه يعني الحظوة بالمشاركة في واحدة من أقوى التجارب الروحية إيحاء ، من كل ما أتيح للكائنات الإنسانية من هذا القبيل . وهل زيارة المكان الذي نشأ فيه الإسلام وترعرع ، والسير على الصعيد نفسه الذي شهد كفاح الرسول لدعوة الإنسانية الضالة إلى الرجوع إلى الله ، إلا أن نعيش من جديد ما ادخرته الذاكرة من كفاح **محمد** هذا الطويل وآلامه في سنوات التضحية والاستشهاد المجيدة؟ وهل هي إلا أن نبعث النار من جديد في أرواحنا ، من تلك النار السماوية المقدسة التي أضاءت العالم كله؟ ولكن هذا ليس كل شيء ، فالحج ، فوق كل شيء ، يدعّم وحدة المسلمين . نعم ، فإذا كان ثمة شيء يستطيع أن يوحد القوى المبعثرة للإسلام ويتمثلها ويصهرها في تعاطف متبادل رائع ، فهو الحج . إن الحج قد أقام للمسلمين نقطة لقاء وتعارف متوسطة يتداعون إليها من جميع أنحاء الأرض . إنه أحدث لهم مناسبة سنوية لهذا اللقاء ، وهذا التعارف ، لتبادل الآراء ، ومقارنة التجارب ، والتأليف بين معطياتها ، ولتوطيد مختلف الجهود والاستطاعات للصالح المشترك . وانظر إليه كيف ألغى المسافات ، ومحى الخلافات الطائفية والفردية ، ورفض التمييز بين الأجناس والألوان ، وأحل محل ذلك كله هذا التقارب والتواد والتعاطف ، هذه الأخوة الجامعة في عقيدة هي مثال السمو والقوة والتكامل .

الهوامش

★ هذا نفسه عنوان الكتاب الذي نترجم عنه هذه الرسائل ، وقد صدرت طبعته الأخيرة عام ١٩٧٩ م ، بالإنجليزية عن دار النشر MUSLIMNEWS INTERNATIONAL ، في جنيف ، سويسرا ، جمعه إبراهيم أحمد الباواني ، وقدم له خورشيد أحمد ، على نفقة رابطة علماء العالم الإسلامي . (المترجم) .

(١) ولد اللورد هدلي الفاروق (السير رولاند جورج ألسون) عام ١٨٥٥ م ، وكان عضواً قيادياً في مجلس اللوردات البريطاني ، وسياسياً بارزاً ، ومؤلفاً مرموقاً . تلقى علومه في جامعة كيمبريدج . أصبح عضواً في مجلس اللوردات عام ١٨٧٧ م . خدم في الجيش برتبة نقيب ، ثم ترقى إلى رتبة مقدم في فرقة رماة شمال مينستر الرابعة . ومع أنه درس العلوم ، وتخرج مهندساً ، إلا أنه كان يتمتع بموهبة أدبية وذوق رفيع . شغل منصب الناشر في «جريدة ساليسبري» فترة من الزمن . ألف عدة كتب ، أشهرها : «يقظة غربية على الإسلام» . اعتنق اللورد هدلي الإسلام في ١٩١٣/١١/١٦ م . وتسمى بالاسم المسلم «الشيخ رحمة الله الفاروق» . وكان اللورد كثير الترحال ، زار كثيراً من الأقطار الغربية والشرقية ، ومنها الهند عام ١٩٢٨ م .

(٢) نسبة إلى أثانازيوس ، أسقف الإسكندرية في القرن الرابع ، وقد تبنت هذا المذهب كنيسة الروم الكاثوليك ، والكنيسة الإنكليزية . (المترجم) .

(٣) ولد محمد ليوبولد أسد (ليوبولد فايس) في ليفاو ، النمسا ، عام ١٩٠٠ م ، وقام بأول زيارة له للشرق الأوسط وهو في الثانية والعشرين من عمره . وقد أصبح فيما بعد مراسلاً أجنبياً بارزاً لصحيفة «فرانكفورتر» . وبعد اعتناقه الإسلام ، طوّف وعمل عبر العالم الإسلامي ، من شمال إفريقيا غرباً إلى أفغانستان شرقاً ، وبعد سنوات من الدراسة الجادة والبحث العميق ، أصبح في عداد أعلام الإسلام البارزين في عصرنا . وإثر قيام دولة باكستان ، عيّن مديراً لمكتب إعادة بناء الإسلام ، غربي البنجاب ، ثم أصبح ممثلاً مناوباً لباكستان في الأمم المتحدة . له كتابان هامان : «الإسلام على مفترق الطرق» و«الطريق إلى مكة» . كذلك فقد أنشأ صحيفة شهرية اسمها «عرفات» . وهو اليوم (١٩٧٩ م) يعمل في ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم .

(٤) منطقة جبلية في وسط آسيا ، بين أفغانستان وسمرقند ، ترتفع بصورة وسطية ٥٠٠٠ متر عن سطح البحر ، يبلغ عدد سكانها ٢٠,٠٠٠ نسمة ، تسمى عند الجغرافيين «سقف العالم» . (المترجم) .

(٥) ولد محمد ألكسندر رسل وب عام ١٨٤٦ م ، في هدسن ، ناحية كولومبيا ، ولاية نيويورك . برز ككاتب عالج المقالة والقصة القصيرة . كما عمل في الصحافة وشغل منصب الناشر في صحيفة «سان جوزيف» و«الجمهوري الميسوري» . ولما كان عام ١٨٨٧ م ، عيّن قنصلاً للولايات المتحدة في مانيلا ، الفيليبين . وخلال مهمته هذه ، أتيح له أن يدرس الإسلام ، ثم دخل تحت لوائه . وبعد اعتناقه الإسلام ، طاف في أنحاء كثيرة من أنحاء العالم الإسلامي ، ووقف سائر حياته على الدعوة للإسلام . كما أصبح رئيساً لجماعة الدعوة الإسلامية في الولايات المتحدة . توفي في ١٩١٦/١٠/١ م .

(٦) مذهب مشيخي كهنوتي سائد في اسكوتيا ، وانتشر في مناطق أخرى من بلاد المسيحية على نطاق محدود . (المترجم) .

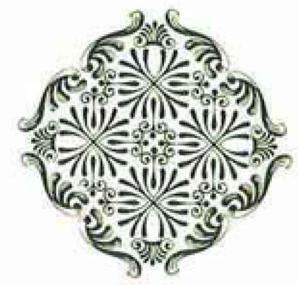
(٧) كل هؤلاء ، كما قد لا يخفى ، من رجال الفكر وأعلام الفلسفة الحديثة البارزين في الغرب ، الذين تناولوا بالبحث ، فيما تناولوا ، مسائل المعتقد ، والوجود ، والزمن ، والإنسان ومصيره ، دون أن يصلوا إلى أية نتائج يقينية قاطعة من شأنها أن تكفل الطمأنينة للوجدان والعقل كليهما معاً . (المترجم) .

(٨) كاتب هذه الرسالة مفكر إنجليزي ومصلح اجتماعي كبير ، كان له دور مرموق في تنشيط حركات الخدمة الإنسانية العامة في بلده ، وكان لإسلامه وما كتبه عنه أثر عميق في نفوس الفئة المثقفة خاصة من الإنجليز . (المترجم) .

(٩) فيلسوف يوناني ، أسس المدرسة الفلسفية التي عرفت بمدرسة ستويك . ازدهرت أفكاره حوالي عام ٣٠٠ ق . م . ، وحملت عنه هذه الأفكار ــ التي تتمثل في تحكيم الإنسان عقله ، وقهر نزعاته ، واللامبالاة لا بالمتعة ولا بالألم ــ طائفة كبيرة من تلامذته من بعده . (المترجم) .

(١٠) ترجمة ج . م . رودويل للقرآن الكريم تعود إلى عام ١٨٦١ م ، وهي ومقدمتها والتعليقات في حواشيها مشحونة بالعيوب والمآخذ التي لم تكد تخلو منها ترجمة لمستشرق غربي . (المترجم) .

(١١) سيدة إنجليزية بارزة ، عرفت في مجتمعها بسداد الرأي وبعد النظر . أسلمت وأسهمت في الدعوة إلى الإسلام بين أفراد بيئتها ، وتركت في نفوسهم أثراً عميقاً وإجلالا كبيراً لهذا الدين . (المترجم) .





● الكتاب: العلاقات الدولية.

● المؤلف: جوزيف فرانكل.

● المترجم: غازي عبد الرحمن القصيبي.

● الناشر: تهامة ـ جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

هذا الكتاب من المؤلفات الثقافية العامة التي لا غنى عنها لأي أحد، طبع للمرة الأولى سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، وفيه نرى مادة طيبة لكل شاد يتطلع إلى معرفة ما يدور حوله ـ علمياً ـ على المستويين السياسيين الداخلي والخارجي للدولة، وإلى الوفاء بالرغبة في فهم الطبيعة المتخصصة للقومية عندما تؤثر في البشرية بعامة، وفي تحديد الولاءات المحلية والدولية، ثم في نشأة الدولة وتشكيل حكوماتها على قاعدة توفير السيادة.

والمعروف أن تلك السيادة تتعارض ـ غالباً ـ مع فكرة الضبْط الدولي، حتى وإن كان على قاعدة توازن القوى، كما هو حاصل الآن بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.

وإذا كان المترجم ـ وهو سياسي شاعر مفكر ـ قد نجح في رأينا في تقديم أفكار جوزيف فرانكل مؤلف الكتاب «العلاقات الدولية» فإن نجاحه هذا راجع إلى أمرين:

١ ـ أنه يتقن الإنجليزية مثلما هو متقن للعربية، فكان من السهل عليه أن يعرّب، وإن يكن يعترف في المقدمة الموجزة للترجمة بأنه احتاج أحياناً إلى أن يستبعد من النص بعض الكلمات ويضيف ما لا يخلّ بأفكار المؤلف، حتى وإن يكن يخالفه في بعضها.

٢ ـ أن الكتاب نفسه جماع خبرات عميقة في العلاقات الدولية، ومن هنا بدا وجبة شهية تفيدنا ـ ونحن من الدول النامية ـ في التعرف على طريق واضحة وملائمة لنا نحو التقدم والارتقاء.. مستغلين الأدوات الاقتصادية ـ إن في السلم وإن في الحرب ـ بما يجعل لتلك الأدوات أهمية سياسية على نحو ما، وبما يؤكد وجودنا الحرّ في التجارة الدولية، وذلك عندما ننجح في قصر التبادل السلعي على ما لا نستطيع إنتاجه محلياً، ومن ثم يتحقق ما نسميه بأليق الترتيبات الاقتصادية وأكفنها!.

والكتاب بعد ذلك، وبعد مقدمة المؤلف التي يحذر فيها من وجود المجتمع الدولي دائماً في حالة إنذار بحرب عامة (ص ١٤) ينقسم إلى ثمانية فصول يصعب فضُّ أفكارها ـ ولو المحوري منها ـ على صفحة أو صفحتين من هذه المجلة، ولهذا سنكتفي بالإشارة إلى أهم محور من محاور كل فصل من تلك الفصول.

فأما الفصل الأول وعنوانه «الدول كوحدات في المجتمع الدولي» (ص ص ١٥ ـ ٤٠) فيشير إلى ضرورة التنظيمات السياسية بدءً بتنظيم الدولة، وأقدم تلك التنظيمات ظهر في الرافدين ووادي النيل ثم في وديان الأنهار العظمى في الصين، ولحاجات مختلفة وقع التصادم بين هذه الدولة بين الآشوريين مثلاً والمصريين، وبين الفرس واليونان قبل غزو الإسكندر المقدوني للشرق.. وينظر إلى الحرب العالمية الثانية على أنها دفاع عن النظام الأوروبي ضد خطر أعدائه، وهذا النظام لا يزال مجتمعاً من دول إقليمية ذات سيادة، وتكون عناصر الدولة بطبيعة الحال هي: الشعب، الإقليم، الحكومة، السيادة غير المطلقة لارتباطاتها الخارجية.

على أنه ثمة المزيد على تلك العناصر الأربعة ـ في نظر بعض الدارسين ـ وهو الترابط القومي، ومنذ الثورة الفرنسية صارت القومية أهم قوة عاطفية وروحية تتدعم بها الدولة.. ومع ذلك يبدو المجتمع الدولي اليوم في حالة تميّع، ولجأ إلى وسائل تنظيمية خاصة كالمحالفات والكتل والمنظمات الدولية.

وأما الفصل الثاني الذي عنوانه «صنع السياسة الخارجية» (ص ص ٤١ ـ ٥٩) فيبين ما يأتي:

أ ـ السياسة الخارجية يصنعها رئيس الحكومة ووزير خارجيته، ولا نجد للسلطات التشريعية صلاحيات برلمانية في الشؤون الخارجية مثلما نجد





★ د. غازي عبد الرحمن القصيبي ★

في الشؤون الداخلية .

ب ـ التوسع الهائل في حجم العلاقات الدولية أدى اليوم إلى تمييع الحدود الإقليمية بين الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية .

جـ ـ إدارة السياسة الخارجية لا تعتمد على الدبلوماسيين فحسب ، وإنما كذلك على القوات العسكرية والعلماء والاقتصاديين على أساس أن الجميع يؤمنون بأن المصلحة الوطنية هي المفتاح الأساسي في السياسة الخارجية .

د ـ كثيراً ما تكون العلاقة المتبادلة بين الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية غائمة .

وأما الفصل الثالث «السياسات الخارجية لبعض القوى الكبرى» (ص ص ٦١ ـ ٨٧) فتحليل دقيق للعوامل المهمة في السياسة الخارجية في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية والهند ، ولا نعدو الحق إذا قلنا إن التفسير العام للمسائل الأساسية في السياسة الخارجية عند كل دولة من هذه الدول متعارض ، وتصبح الشعارات التي تصدرها كل دولة ـ كشعار التعايش السلمي ـ غير قابلة للاستهلاك على طول الخط .

وأما الفصل الرابع «التفاعل فيما بين الدول وقوى الدولة» (ص ص ٨٩ ـ ١١١) ، فمناقشة سياسية اقتصادية للعلاقات الدولية التي تحكمها طبيعة الدول من ناحية وطبيعة المجتمع الدولي من ناحية أخرى ، علماً بأن ذلك المجتمع ـ وسيناقشه المؤلف بتوسع في الفصلين السادس والسابع ـ لا يمارس أية سلطة على أية دولة ، وإن يكن يرسم للدول كافة قواعد للسلوك .. ونتيجة لهذه الجدلية يقع الكثير بين الدول من ضروب النزاع والمنافسة والتعاون ، ويظهر عامل القوة إلى حد صنفت فيه الدول إلى قوى عظمى وقوى صغرى ، ولهذا العامل ـ فيما يجب أن نعرف ـ عناصر «تلعب دورها ضمن مجموع معقد من عوامل تكون قوة الدولة ، ولا نستطيع فهم عناصر القوة إلا في إطار هذه الخلفية» . وهذه العناصر تكون بإيجاز ديموجرافية وجغرافية واقتصادية وتنظيمية وسيكولوجية اجتماعية واستراتيجية دولية .

وأما الفصل الخامس فبعنوان «أدوات وتقنينات التعامل بين الدول» (ص ص ١١٣ ـ ١٣٨) ويشكل مجموعة من القضايا الواردة «لا توجد في التفاعل بين الدول حدود واضحة فاصلة بين الأصدقاء والأعداء ، وبين الإقناع والقمع ، وفي أكثر الحالات تحتوي العلاقات على عناصر مختلفة بل ومتعارضة .. فالتهديد بالقمع يظهر أحياناً في أكثر العلاقات ودية ، كما أنه حتى أشد الأعداء الأيديولوجيين تطرفاً قد يجد نفسه قادراً على إعطاء تنازلات في مسائل التجارة» ، وإذن لا بد من مراعاة أسس الدبلوماسية وكذلك الدعاية وأدوات الاقتصاد والقوة العسكرية .

فإذا أتينا إلى المجتمع بمشكلاته الراهنة وأدوات وكالاته المتعددة ـ في الفصلين السادس (١٣٩ إلى ١٦١) ، والسابع (١٦٣ إلى ١٨٨) ـ نجد مجموعة من أهم القضايا النابعة من طبيعة النظام الدولي ومبدأ توازن القوى من حيث هو تجديد مهم في تاريخ البشرية وثنائية القوى العملاقة وما يصاحبها من الحروب الباردة التي تشمل جميع الظواهر المتعلقة بالنزاع بين الأيديولوجية الشيوعية والأيديولوجية الديمقراطية ، وبين حاملي لوائيهما : الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

بجانب القوى الأخرى التي تقاوم الاستعمار والإمبريالية وتروج للقومية بعلائقها الاقتصادية في المحل الأول ، والقانون الدولي الذي يعمل في محتوى اجتماعي معين وشديد الخصوصية ، وينكره بعض رجال القانون .. لكن يُظهر التحليل السوسيولوجي أن قواعد القانون الدولي تختص بثلاث فئات هي : القوة ، التبادل ـ وأكثر قواعد القانون الدولي تنتمي إلى هذه الفئة ـ الجماعة الدولية ومن قبيل هذا القانون تنظيم تجارة الرقيق والأنهار الدولية وحسن الجوار الاقتصادي .

أما الفصل الثامن والأخير وعنوانه «توقعات المستقبل» فربما يكون كلام جوزيف فرانكل التالي دليلاً على مضمونه «إن نزاعات





★ محمد الثبيتي ★

القوة والنزاعات الأيديولوجية التي تتضمنها الحرب الباردة خطيرة في الوقت الحاضر، غير أنها قد تغيّر من طبيعتها في القريب. هناك فجوة حقيقية بين الديمقراطية الغربية والشيوعية السوفييتية، غير أن هذه الفجوة آخذة في الضيق لا في الاتساع».

إنه أمل، وكثيراً ما تتحقق الآمال، أفلا نجد كلّ يوم التزاماً من الدول الكبرى الغنية بتقديم العون المادي للدول الأقل حظاً من الثراء؟.



● الكتاب: تهجيت حلماً تهجيت وهماً (ديوان شعر).

● المؤلف: محمد الثبيتي.

● الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

عندما يقول الشاعر، بعد أن عرف حدود عالمه الخاص ووضع علاقاته السحرية حيث يصدم المنطق الظاهري الذي ألفنا:

كقامة العملاق
تمد هذه المسافة لاهثه
شوقها يعبر الحلم
يفجأ صمت المسافات
والأمد السرمدي

عندما يقول محمد الثبيتي ذلك، لا بُدّ أن تثب إلينا قضية الخيال الشعري، وماذا يمكن أن تكون عند أي شاعر محدث يعرف - ولو حدساً - مكانة الخيال بين قوى الإدراك البشري، ويحدد - فنياً - دوره المبدع، بالقياس إلى العقل الذي يتحكم في كل من الإدراك الحواسي والإدراك العقلي.

وقديماً وضع الفلاسفة المسلمون للخروج من مأزق الخيال الشعري، ما أطلقوا عليه «قوة المخيلة» في موضع وسط بين الخيال والعقل، مدفوعين إلى غاية خطيرة هي تفسير «صور» الشاعر، وربط قيمتها المعرفية بقدر على التجريد بين الحسّ والتخيّل والعقل!.

ويقدم لنا محمد الثبيتي في ديوانه «تهجيت حلماً تهجيت وهماً» تحقيقاً أو تطبيقاً شاعرياً لتلك النظرية الجافة.. فهو أولا يمتلك قدراً طيباً من التخيل القادر عادة على الإبداع من أسباب الحسّ بعد إعادة ترتيب علاقاته، ويقترب أو يبتعد بقدر ما يحتاج من المعرفة اليقينية.

وقد ظهر من هذا الديوان أنه لا يبحث عن تلك المعرفة - فهو لم يزل في أول طريقه وليس يعنيه أن يكون التخيّل أدنى مرتبة عنده من التفكير العقلي - وإنما يريد من منطلق قاعدة رومانسية أن يجعل الشعر تصويراً لخيال مناطه الشعور.. وفي هذه الحال تصير رؤيته - أو بالأحرى رؤياه - معاناته الخاصة التي لا يحتكم فيها إلى منطق ولا إلى معرفة منطقية.

على أن انتفاء المعرفة المنطقية - على ذلك النحو - لا يعني سقوط كل معرفة.. إذ تظل له المعرفة الفنية النسبية، وفي حالة تبلورها تفرض نفسها فلسفة أو وجهة نظر في الحياة.

ومن هنا ينبغي ألا نحاسب محمد الثبيتي في الأسطر الشعرية التي استهللنا بها هذا العرض النقدي حساب الرياضيين أو الفلكيين أو الذرائعيين أو الموقفيين ومن لفّ لفّهم، وإلا لو فعلنا لانهارت البنية الفنية - عنده - بكل إشعاعاتها.

ولتكن المفازة الممتدة مثل قامة العملاق، لأن العملاق الذي يراه الثبيتي ليس هو الرجل التلفزيوني الأخضر، ولا عوج بين عُنُق، ولا السيكلوبس.

إنه عملاقه هو.. أكبر من المفازة عنده، وأكبر من كل ما اعتاد أن يراه بحواسه.

إنه يتخيله يملأ الفضاء والأرضين، ويتخيّل في المقابل شوق المفازة الممتدة اللاهثة قوة أو شيئاً أو وهماً - أو حتى حلماً - يفاجئ صمت المسافات والأمد السرمدي.. فالمطلق هاهنا ليس مطلقاً، وإنما هو مجرد مادة.. أي مجرد شيء مُحسّ، ولنا أن نستكنه صمت

المسافات بأي وسيلة ـ وهذه عبقرية الشاعر عندما تنفخ في نفس المتلق ـ فنتصور بطريقة ما الأمد السرمدي وهو يفاجأ بشوق المفازة اللاهثة!.

محمد الثبيتي في هذا الديوان يشكّل رؤى مغايرة لواقعنا، ويستغل عناصر بيئته الصحراوية ـ وليس دائماً تكون الصحراء قاحلة قاتلة ـ في تخيّلاته التي يذلّ لها السديم والسرمد والمسافات والمدى والمجرة والمدار (ص ص ١١، ٢٧، ٣٢، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٧٦، ٧٩، ١٠٣، ١٠٧) مثلما تذل الرمال (ص ص ٢٢، ٣٢، ٤٢، ٥٦، ٦١) والحقول والقوافل والنخيل، فيقول:

وفوق الرمال
تموج ضفائرك الساحليه
مجدولة
بالعواصف والريح
منسوغة من دم النبع ...
من وجع الدمع
من رحلة الاشتياق الطويله
....
غداً يهطل الضوء
تهمي لياليك
يا أنت
يا كروان الشواطئ
يا وهج الحلم العبقري
غداً
يتوشح ليلك بالياسمين
وتنمو على شالك البدوي
حقول العنب!

ثم من الصعب علينا إزاء من يجعل للرمل وللطين ذاكرة (ص ص ٤٢، ٣١)، وللغدائر ليلى غيمة يتوضأ هو فيها (ص ٢٧)، وللسفينة في بعضه مرافئ (ص ٣٠)، وللمدارات ـ كالسديم ـ طريق يلج الغيب، يرهق خاصرة المستحيل (ص ٥٠)، ولساعده خصوبة تورق الجدب ويخضر في ظله مولده (ص ٧٥).

نقول من الصعب ـ ونحن نقدّم في عجالة موجزة ديوانه الذي يحتوي على أربع عشرة قصيدة بعضها عمودي ـ أن نقدم تجربته الشعرية لنحكم عليها الحكم المنصف المعلّل.

غير أنه من المؤكد أن بعضنا قد يرفض مخيلته أو تخيّلاته للسبب الذي قدّمناه: وهو تعارض رؤيته مع الواقع. وعلى الرغم من ذلك يحس الجميع أنهم أمام شاعر له لغته وإيقاعاته، وله أيضاً ثقافته التي يمثل التراث فيها جانباً مرموقاً، ولعل قصيدتيه «أيا دار عبلة عمت صباحاً» (ص ٦٧)، و«ليلة الحلم وتفاصيل العنقاء» (ص ٧٧)، من الشواهد البارزة ومما يقرر أننا بين يدي شاعر حقيق مطبوع.



● الكتاب: العالم إلى أين.. والعرب إلى أين؟.

● المؤلف: د. بهاء بن حسين عزي.

● الناشر: تهامة ـ جدة، سلسلة الكتاب العربي السعودي، رقم ١٠٢، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

هذا الكتاب يتجه به مؤلفه إلى شتى الأمم النامية، بعد أن لجت طويلاً في ليل التخلف، وتحاول جهدها أن تطفو على السطح وتسبح من أجل الوصول إلى برّ الأمان.

هذا الكتاب أحد المصادر المبسطة للتكنولوجيا من ناحية، واقتراح السبيل ـ من ناحية أخرى ـ أو السبل المفضية إلى مستقبل تُحلّ فيه معظم مشكلات التنمية في ضوء الإفادة من القدرة التي تمتلكها الدول الصناعية الكبرى، لا من أجل القفز إلى ما يسمى في العرف الاقتصادي بمجتمعات ما بعد الصناعة، وإنما للوصول تدريجياً ووفق خطط





★ د. بهاء بن حسين عزي ★

مدروسة إلى تلك المجتمعات عبوراً بإنجازات المجتمعات الصناعية المتقدمة.

إن ذلك شيئاً يبدو كالحلم: لأن دولة كالمملكة مثلاً - وقد سبقتها دول نامية كمصر في مجال التصنيع - لا يمكن أن تعوّل كثيراً على قدراتها الحالية، لأنها بصراحة القول والرأي تحتاج إلى سنوات طوال في مجال التمرس على التكنولوجيا لتصل إلى ما وصلت إليه الهند على سبيل المثال، ولا نقول تشيكوسلوفاكيا أو حتى إسبانيا، ولا نقول أمريكا - الولايات المتحدة - واليابان وكندا والسويد التي رشحت فعلاً من قبل فلاسفة الاقتصاد إلى مجتمع المابعد صناعي كما يثبت الدكتور بهاء عزي مؤلف الكتاب الذي نعرضه.

ويرى الدكتور بهاء أيضاً في ضوء ما استقاه من الدراسات الاقتصادية أن هناك دول أوروبا - ما عدا السويد - وإسرائيل والاتحاد السوفييتي تحاول اليوم أن تصل إلى مستوى المجتمع الأمريكي.. وذكر إسرائيل في هذا المجال مما يبعث على القلق، ولعل هذا القلق يتضاعف إذا قرأنا أنه مقدر لإسرائيل بعد ثلاثين عاماً فقط أن تمتلك تقنيات القوة التي تمتلكها أمريكا ويمتلكها الاتحاد السوفييتي على حد سواء!!.

وأكبر الظن أننا إذا جارينا هذه الآراء، فقد يصبح من الضروري أن نراجع - بصدق وبمناهج علمية - أوراقنا وكلّ حساباتنا، بشرط أن نحسب حساب القوة الرادعة التي ستكون وحدها هي الفيصل في حماية أرضنا - نحن العرب والمسلمين - ومبادئنا ومعتقداتنا.. ولا ينبغي أن يفت في عضدنا أي شيء، ولا حتى المقارنة بيننا نحن وبين أميريكا بدعوى أنها خارج تصوّرنا.

ويقرر مؤلف الكتاب أننا - نحن العرب - إذا ظللنا نردد أن إسرائيل «تستمد قوتها من الغرب ومن الولايات المتحدة بالذات» فلن نحقق شيئاً «لكن العقل يقول إنه إذا كانت إسرائيل قد كسبت منا خمسة حروب (هي ثلاث فقط في الحقيقة) وسلبت منا الأرض والمجد وهي الآن تهددنا صبح مساء... فماذا سيحدث عندما تمتلك خلال العقود الثلاثة القادمة ما تمتلكه الآن من قوة تقنية؟» (ص ٢٠).

وعبثاً يقال لا بد من امتلاك القنبلة النووية، ولكن يجب أن يقال لا بد من إدراك «أن القدرة الذاتية للعرب تفتقر إلى واحد من أهم عناصرها في هذا الزمن التقني العجيب، وهو عنصر حيازة التقنية بكل أوجهها وبمفهومها الصحيح» (ص ٢١)، ولا يتخلف هذا عن ضرورة صنع الوسائل التي تضمن الرّدْع ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم﴾ صدق الله العظيم.

وفي المجال نفسه - وقد حدده المؤلف بأحد أقسام الكتاب الثلاثة - عرض للحلقة المفقودة في التصنيع العربي بعد حديث علمي عن الخواء التكنولوجي وأسلوب حسمه.. وكان مما قاله ويلفت النظر هو رفضه أن نكون - مرحلياً - مستعملين من الدرجة الأولى لما تنتجه القواعد الصناعية في الشرق والغرب من معدات (ص ٤١)، وأولى من ذلك قيام التصنيع العربي الفعّال، وذلك باستثمار الموارد الطبيعية التي تتوفر في البلاد العربية كافة، وبتحديد محور للتصنيع مع تبني أساليب غير تقليدية نركز بها «على إقامة نوع من الصناعات الرائدة عبر تخطيط معيّن وطويل المدى، وعبر تنفيذ مرحلي دقيق» (ص ٤٥).

هنالك تتحقق فكرة القدرة الذاتية تماماً، وبالقدر نفسه تتوفر القدرة المتمكنة المستمدة من تلقي العلوم والتمرس على تشغيل المصانع وصيانتها، وإلا فلن تعطي التقنية أية قوة فعلية.. ويعني هذا بالضرورة الاستحواذ الجاد على التقنية وخلق المناخ الملائم لها.

وأما القسم الثاني من الكتاب فقد جعله قائماً على محاضرة ألقاها «حول التغلّب على العقبة التكنولوجية» وذلك في جامعة البترول والمعادن بتاريخ ١٤٠٣/٥/٢٣هـ، الموافق ١٩٨٣/٣/٨م، وهي تعنى بالدرجة الأولى بطرح علمي لحلّ يستهدف امتلاك أسباب التكنولوجيا بما درج على

تسميته بالقدرة أو بالقوة الذاتية .

ولقد نجد أحياناً ترددات وتوجهات لما سبق طرحه في القسم الأول ، غير أننا مع ذلك نجد غناء كبيراً في إبراز الحقيقة التالية : إن أساس التقنية الصناعية الوطنية الذاتية هو عصب القدرة الذاتية برمتها .

وثمة وسائل تقليدية تحقق ذلك ـ مرّ عليها المحاضر أو المؤلف سريعاً ـ وبجانبها وسائل غير تقليدية لها محاذيرها ، ومن ثم يجب الحذر والأناة .. وعقب على ذلك ببيان مراحل النمو التقني الخمس : الإدارة ، والتشغيل ، وإجراء الأبحاث التجريبية ، والإصلاح والصيانة وصنع بعض الأجزاء المهمة وتطويرها ، وأخيراً الانطلاق بكل أولئك إلى مجال الصناعة الأرحب «وإذا دخلنا هذه المرحلة الخامسة قبل السنة العشرين نكون قد استكملنا بناء القاعدة التقنية والصناعية» (ص ٧٣) .

والسنوات العشرون التي ذكرها هي الفترة المحددة وفق خطته للعبور بالمملكة إلى مجتمع الصناعة في مناخ تقني مناسب . وضرب مثلاً لذلك بإعداد صناعة النقل البحري الشاملة ، من حيث إنها ذات قدرة على تذويت Internalization عملية التنمية الصناعية والاقتصادية (ص ٧٦) .

وقد شرع بعد ذلك ببيان مراحل التنفيذ المرحلي لتلك الصناعة ، من منطلق الخلفية التي قدمها ، وعلى أساس أهمية السفينة أو الناقلة .

وإذا تركنا التفصيلات التي يجب أن يطلع القارئ بنفسه عليها ـ بالرسوم الإحصائية المواتية ـ يقابلنا المؤلف بالقسم الثالث والأخير من كتابه ، وهو نقاش في جامعة البترول والمعادن ومعهد العلوم بجامعة ويلز وجريدتي «الندوة» و«المدينة» السعوديتين حول امتلاك التقنية .. فهو إذن من باب الشرح والحوار الكاشف عن «فلسفة» المؤلف في هذا الموضوع الخطير ، وكم نرجو أن يقبل القارئ بنفسه على كل أولئك ؛ ففيه الفائدة المرجوة والأمل الذي ننشده في عالم لا يرحم الضعيف ويزدري المتخلف ! .

* * *

صداقة

شعر : ياسين الفيل

أنا إن ظمئتُ .. فإن فيك رحيقي
وإذا مللتُ الناسَ .. كنتَ رفيقي
وإذا جلستُ إليك أنشدُ راحتي
مدَّ الهدوء يداً .. فأذهبَ ضيقي
وإذا الحقيقة في الزحام تساقطت
والتفّت الظلمات حول طريقي
وكرهت زيفاً لم يزل يغتالني
ويشل نبضَ الصدق بين عروقي
آتيك مشتاقَ الجوانح ، عاشقاً ..
فإذاك أروع ما تكون صديقي
وإذاك نبعٌ لا يغيض ، وعالمٌ
متوهجٌ ، يغري على التحليق
وإذا أنا عبر الدهور محلقٌ
أمتص من شفة الزمان رحيقي



دراسة ميدانية

لمشكلات الشباب الخليجي

بقلم : د. عبد الرحمن العيسوي

تستهدف هذه الدراسة ، التي أضع أهم نتائجها بين يدي القارئ الكريم ، التعرف عما إذا كان الشاب الخليجي المعاصر يعاني من أية مشكلات ، وكذلك التعرف على نوعية هذه المشكلات ، في حالة وجودها ، ومقدار انتشارها ، ثم التعرف على مرئيات الشباب حيالها ، واقتراح البرامج الكفيلة بعلاجها والوقاية منها ، لا سيما وأن هذا الجزء الغالي من وطننا العربي يخوض غمار معركة حامية من أجل التطوير السريع والتنمية الشاملة : اجتماعياً واقتصادياً وعلمياً وتكنولوجياً ، ويسعى لنقل تقنيات العصر وعلومه وأنظمته ، في مجالات الإنتاج ، إلى الأرض العربية لأول مرة . ومن شأن هذا التطوير السريع في شكل الحياة الاجتماعية والمهنية والصناعية والتعليمية ، وكذلك الانفتاح على كل حضارات العصر أن يتولد عنها بعض المشكلات ، ومن أجل ذلك أجريت هذه الدراسة الميدانية ، التي لا تعدو أن تكون مجرد صيحة للفت الأنظار لتوجيه مزيد من الرعاية والاهتمام نحو شبابنا الخليجي الناهض .

والدراسة ، وإن كانت قد أجريت على عينة معيّنة من الشباب ، إلا أنها تنطبق على كثير من أجزاء وطننا العربي ، إن لم يكن كله ، وذلك بحكم التشابه الكبير في مقومات الحياة الحاضرة على الأرض العربية . ومع ذلك فإننا نبدأ بالتسليم بأن هناك مشكلات بعينها قد توجد في بقعة من عالمنا العربي ، ولا توجد في غيرها على وجه الإطلاق أو قد توجد ، ولكن بدرجات متفاوتة من الشدة . فالمشكلة الاقتصادية التي يعاني منها بعض الشباب لا توجد بشكل ظاهر في بعض أجزاء وطننا العربي كما هو الحال في المجتمع السعودي .

وتستهدف الدراسة التعرف على أثر عامل التقدم في السن ، وكذلك نوع التخصص الدراسي والتفوق العلمي ، والمدة التي يكرسها الطالب للاستذكار ، وأثر

دراسة ميدانية

لمشكلات الشباب الخليجي

كل من هذه العوامل على معاناته من المشكلات . هذه هي أهداف الدراسة ، أما منهجها فيلخص فيما يلي :

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة الحالية على « **التقدير الذاتي** » Self-Zatung لما يفصح عنه الشاب نفسه من المشكلات التي يعاني منها في الوقت الحاضر ، وذلك من بين قائمة احتوت اثني عشرة مشكلة . كان عليه أن يحدد أولا عما إذا كانت المشكلة توجد عنده أو لا توجد . وفي حالة وجودها كان عليه أن يحدد مقدار شدتها أو كثافتها أو وطأتها عليه ، وذلك بدرجات تتراوح ما بين ١ ــ ١٠ درجات ، فمثلا إذا كانت المشكلة شديدة جداً عليه أعطاها الدرجة عشرة ، وإن كانت أقل شدة أعطاها الدرجة ٩ ، وهكذا حتى يصل إلى الدرجة ١ ، لتعني وجود المشكلة بشكل بسيط جداً . كما طلب منه أن يصف بأسلوبه ماهية هذه المشكلة وفحواها .

وإلى جانب ذلك احتوت الاستمارة المصممة لهذا الغرض على بيانات عن التخصص العلمي للشاب ، ومقدار تفوقه دراسياً أو عدم تفوقه وسنه . وعلاوة على ذلك طلب منه أن يحدد عدد الساعات التي يخصصها للاستذكار يومياً . وبالإضافة إلى ذلك أعطي للشاب سؤال مفتوح النهاية ليعبر عن اقتراحاته وآرائه ومشاعره الحرة في حل مثل هذه المشكلات . وكفلت السرية التامة للعينة ليعطوا استجاباتهم بأمانة وصدق ، ولذلك طلب منهم عدم كتابة الاسم على الاستمارة حتى لا يشك في إمكانية التعرف على شخصياتهم .

وبالفعل أظهرت العينة اهتماماً بالغاً بالدراسة وتجاوباً كبيراً واستجابوا بأمانة وصدق وصراحة وسعدوا بوجود من يهتم بمشكلاتهم .

وتناولت الدراسة عينة من الشباب يبلغ عددها ٣٩٠ شاباً ممن تتراوح أعمارهم ما بين ١٨ و ٢٥ عاماً وبمتوسط عمر قدره ٢١,٥٤ عاماً .

ويشرح لهم المقصود بكل مشكلة من المشاكل المعروضة في الدراسة وأمثلة منها ، فالمشاكل الجسمية تعني الأمراض أو الضعف العام والهزال أو قصر القامة أو وجود العاهات والتشوهات وكل ما يتصل بالجسم من متاعب . والمشاكل النفسية تشير إلى الآلام النفسية كالقلق والتوتر والاكتئاب والسرحان وشرود الذهن والعجز عن التركيز والسيان وما إلى ذلك ، وهكذا بالنسبة لبقية المشكلات تم تعريف كل منها للعينة قبل أن يشرعوا في الإجابة .

عرض النتائج وتحليلها

المستوى العلمي للعينة : ويبدو في تحليل الجدول الآتي :

جدول رقم (١)

يوضح النسب المئوية لتوزيع العينة حسب التقديرات الأكاديمية التي حصلوا عليها من آخر امتحان أدوه :

التقدير	٪
١ ــ راسب	صفر
٢ ــ مقبول بمواد (مادة أو اثنتين)	٣٨,٥
٣ ــ مقبول	١٢,٨
٤ ــ جيد	٤١
٥ ــ جيد جداً	٧,٧
٦ ــ ممتاز	صفر
المجموع	١٠٠

الغالبية العظمى من الطلاب من الحاصلين على تقدير « جيد » ٤١٪ من مجموع أفراد العينة ، يلي ذلك المقبولون بمادة أو بمادتين ، وتبلغ نسبتهم ٣٨,٥٪ ، أما الحاصلون على جيد جداً أي الطلاب المتفوقون ، لم تزد نسبتهم عن ٧,٧٪ ، بينما بلغت نسبة الحاصلين على تقدير مقبول ١٢,٨٪ . وليس هناك من بين أفراد العينة من كان راسباً أو من حصل على تقدير ممتاز . ويشير هذا إلى أن العينة في جملتها من متوسطي القدرة التحصيلية .

مدى انتشار المشكلات : جدول رقم (٢)

يوضح النسب المئوية للمشكلات المنتشرة بين أفراد العينة ككل مرتبة حسب كثرة الانتشار ، وكذا متوسط عدد المشكلات التي يعاني منها الفرد ، ونسب وجود المشكلات موزعة على كبار وصغار السن وفرق العمر :

نوع المشكلة	النسب المئوية	كبير السن	صغير السن	الفرق السني
١ ــ [illegible]	٧١,٤	٨٧	٦٢	*٢٥
٢ ــ [illegible]	٦٩,٣	٧٠	٦٩	١
٣ ــ جنسية	٤٩,٢	٣٧,٥	٦٠	*٢٢,٥
٤ ــ [illegible]	٤٣,٦	٣٩	٥٠	*١١
٥ ــ مشكلة متعلقة بقيادة السيارة	٣٥,٩	٣٧,٥	٣٣,٣	٤,٢
٦ ــ مواصلات	٢٨,٥	٣٠	٢٥	٥
٧ ــ اقتصادية	٢٥,٩	٢٢	٣١	*٩
٨ ــ عائلية	٢٠,٥	٢٢	١٩	٣
٩ ــ روحية	١٨	١٦,٦	٢٦,٧	١٠
١٠ ــ أخلاقية	١٥,٤	٢٢	٦	*١٦
١١ ــ [illegible]	١٥,٤	١٣	٢٥	١٢
١٢ ــ سكنية	٩,٧	—	١١	*١١
متوسط عدد المشكلات	٤	٤	٤,١٩	٠,١٩

* لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪ .

كشفت الدراسة على أن المتوسط الحسابي لعدد المشكلات التي يعاني منها الطالب هو أربع مشكلات من مجموع المشكلات المعروضة البالغ عددها ١٢ مشكلة . **ويدعونا هذا إلى المطالبة بضرورة توفير مزيد من الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية والتربوية والمالية للطلاب** . وإذا أخذنا في الاعتبار طبيعة العينة التي أجري عليها البحث ، وهي من الشباب والطلاب الأسوياء والمتوسطين في التحصيل العلمي ، ومع ذلك كان الطالب يعاني ، في المتوسط ، من أربع مشكلات ، إذا أخذنا هذا في الاعتبار لتوقعنا أن نجد هذه المشكلات أكثر

انتشاراً بين طوائف أخرى من أبناء المجتمع كالعمال أو الموظفين أو الشيوخ وكبار السن الذين تلق عليهم الحياة بأعباء ومسؤوليات أكثر مما يتحمل هؤلاء الطلاب . **الأمر الذي يدعو إلى ضرورة توفير الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين لجميع التجمعات البشرية في مجتمعنا العربي** الذي يخوض معركة حاسمة مع التحديث والتطوير ، ويدخل عالم التكنولوجيا من أوسع أبوابه ، ويعتمد في نهضته على السيطرة على العلم وأدواته وعلى ثروته البشرية .

حجم المشكلات الدراسية : تكشف النسب المئوية لانتشار المشكلات ، أن المشكلات الدراسية أو التعليمية هي التي تحتل مكان الصدارة الأول ، وتنتشر أكثر من غيرها بين أفراد العينة ، إذ بلغت نسبة انتشارها ٧٤,٤٪ من مجموع الشباب . ومن أمثلة هذه المشكلات التخلف الدراسي ، أو عدم تمشي الدراسة مع ميول الطالب ، أو صعوبة المناهج والمقررات أو طولها أو قلة المصادر أو المراجع العلمية أو عدم رضا الطالب عما يحصل عليه من تقديرات ... إلخ .

حجم المشكلات النفسية : وتحتل المكانة الثانية ، إذ بلغت نسبتها ٦٩,٢٪ من مجموع الطلاب ، مما يؤكد انتشارها بصورة كبيرة تدعو إلى ضرورة توفير **الرعاية النفسية** ، وقاية وعلاجاً للطلاب بل للشباب والمراهقين عامة . من هذه المشكلات : **السرحان ، شرود الذهن ، وعدم التركيز ، والقلق ، الاكتئاب ، الخوف ، عدم الثقة بالذات** ، وما إلى ذلك .

المشكلات الجسمية : احتلت المرتبة الثالثة ، إذ بلغت نسبتها ٤٦,٢٪ من مجموع الطلاب ، وهي أيضاً نسبة كبيرة ، إذ تقترب من نصف الطلاب الذين يعانون من المشكلات الجسمية سواء الأمراض أو العاهات أو الضعف أو قصر القامة وما إلى ذلك .

المشاكل العاطفية : وتأتي في المكانة الرابعة ، وقد بلغت نسبة انتشارها ٤٣,٦٪ من مجموع الطلاب ، وهي نسبة عالية تستحق الانتباه . وتبدو هذه النتيجة معقولة في ضوء أن العينة ممن هم في مرحلة الشباب . والمعروف أن مرحلة الشباب هي مرحلة التأجج العاطفي . كما تتسم العاطفة في هذه السن بالتذبذب وسرعة التغير مما يجعلها مثاراً للمشكلات والمعاناة .

مشكلة قيادة السيارات : أما المشكلة التي تأتي في المرتبة الخامسة ، فهي تلك المتعلقة بقيادة السيارات ، وهي نسبة عالية نسبياً (٣٥,٩٪) أي ما يزيد عن ثلث المجموعة . وتتركز هذه المشكلة في القيادة المسرعة أزيد من اللازم ، وعدم الالتزام بقواعد المرور وآدابه ، مما يعرض الشباب للخطر وللشعور بالخوف . وإذا كان هذا هو إحساس الشباب وتقديرهم ، **فإنهم في حاجة إلى برامج مكثفة للتوعية بآداب السلامة وقواعدها** . أما بقية المشكلات فتراوحت نسبة انتشارها من نحو ٧,٢٨٪ من مجموع الطلاب ، ولم يكن هناك مشكلة من المشاكل المعروضة في الدراسة غير موجودة على وجه الإطلاق ، إنما جميع المشكلات كانت موجودة ، وإنما بنسب متفاوتة ، كان أقلها **المشاكل الإسكانية** وبلغت نسبتها ٧,٧٪ . أما **المشاكل العائلية** فتوجد عند نحو خمس (١/٥) العينة ، أما **الاقتصادية** فتوجد عند ربع العينة (١/٤) . وتكشف النسبة القليلة جداً لمن يعانون من المشاكل الإسكانية عن توفر الإسكان الملائم للطالب ولأسرته ، الأمر الذي يعكس اهتمام المجتمع اهتماماً عظيماً بحل مشكلة الإسكان ، وتوفير المساكن اللائقة لأبناء المجتمع ، وذلك بتقديم الأراضي والقروض المريحة ، وتوفير المواد الخام والأيدي العاملة ، وتشجيع الناس على إقامة المساكن الخاصة وعدم تحديد القيمة الإيجارية تحديداً تعسفياً تشجيعاً للاستثمار العقاري . وينفرد المجتمع الذي توجد فيه عينة البحث بهذه الميزة الطيبة .

وتدل مقارنة هذه النسب بعضها مع بعضها الآخر ، على أن المشكلة الاقتصادية ليست مشكلة أساسية بين أفراد هذه العينة ، إذا ما قورنت بالمشاكل الدراسية والنفسية ، مما يدل على أن المشاكل النفسية أكثر أهمية وانتشاراً عن المشاكل الاقتصادية والمادية . ولعل هذا انعكاس لما يلقاه الطالب من العون المادي السخي في مجتمع العينة . على أية حال هناك ثماني مشكلات توجد عند خمس العينة فأكثر .

فرق عامل السن : هل يؤثر عامل التقدم في السن فيما يعانيه الشباب من المشكلات ؟ .

لقد تم تحليل المعطيات في الدراسة الحالية وفقاً لعامل السن ، وتم تقسيم العينة إلى مجموعتين : هما صغار السن ممن تتراوح أعمارهم من ١٨ ــ ٢١ عاماً ، وكبار السن ممن تتراوح أعمارهم ما بين ٢٢ ــ ٢٥ عاماً . وجدول رقم ١ يعرض هذه النتائج . ولمزيد من معرفة أثر عامل السن ، تم تحليل المشكلات النوعية لدى مجموعة كبار السن وصغار السن . وكشف هذا التحليل عن معاناة صغيري السن أكثر من المتقدمين في السن من المشاكل : الجسمية والاقتصادية والإسكانية والعاطفية والاجتماعية والزواجية . أما كبار السن فنسبتهم تزيد في المشاكل الأخلاقية والدراسية والمشاكل المتعلقة بالسيارات . أما عن متوسط عدد المشكلات ككل ، فكان أربع مشكلات لدى كبار السن و ٤,١٩ لدى صغار السن . وترجع قلة المشكلات لدى كبار السن إلى اكتسابهم مزيد من الخبرة وإلى نضوجهم وإلى ابتعادهم عن سن المراهقة وتوتراتها .

دراسة أوزان المشكلات النوعية : المشكلات التي قد توجد لدينا يعاني منها كل بدرجات تختلف في شدتها أو كثافتها من فرد إلى آخر . ولذلك فإن مجرد التقرير بوجود المشكلة لا يكفي بل لا بد من معرفة مقدار حدتها أو شدتها أو وطأتها على صاحبها . ولقد قدر أفراد عينة هذا البحث هذه الشدة بدرجة أقصاها عشرة وأقلها واحد صحيح لكل مشكلة . ولقد تم حساب المتوسطات الحسابية لوزن كل مشكلة بالنسبة لأفراد العينة ككل ، وفيما يلي هذه المشكلات مرتبة حسب شدة المشكلة وفقاً لمتوسطها الحسابي :

جدول رقم (٣)

المشكلة	المتوسط الحسابي لوزنها
١ ــ الإسكانية	٧,٥
٢ ــ العاطفية	٦,٧
٣ ــ الزواج	٦,ــ
٤ ــ العائلية	٥,٩
٥ ــ المواصلات	٥,٦
٦ ــ قيادة السيارات	٥,٦
٧ ــ الاقتصادية	٥,٤
٨ ــ النفسية	٥,١
٩ ــ الاجتماعية	٥,ــ
١٠ ــ الجسمية	٤,٧
١١ ــ الدراسية	٤,٢
١٢ ــ الأخلاقية	٣,٧

دراسة ميدانية

لمشكلات الشباب الخليجي

وتأتي المشكلات المتعلقة بالسكن في المحل الأول من حيث شدتها على صاحبها، ويليها في ذلك المشكلات العاطفية، فمشاكل الزواج ثم العائلية، بينا كانت المشكلات الجسمية والدراسية والأخلاقية أقل المشكلات وطأة؛ فالمشكلات الإسكانية، رغم عدم انتشارها لدى أناس كثيرين، إلا أنها، إذا وجدت، فإنها توجد بصورة حادة.

وهناك تسع مشكلات متوسط ثقلها أزيد من خمس درجات.

وزن المشكلات ككل: لقد رُئي التعرف على الوزن أو الثقل الكلي لما يعانيه الشاب من المشكلات الاثني عشرة المدروسة. ومن المعروف أن الشاب أعطى لكل مشكلة درجة من عشر، وبذلك تصبح الدرجة القصوى لوزن هذه المشكلات ١٠ × ١٢ مشكلة = ١٢٠ درجة. وتم حساب المتوسط الحسابي لأفراد العينة ككل، ووجد مساوياً ٢٣ درجة، حيث كانت أقل درجة حصل عليها هي ٣ وأعلى درجة هي ٥٥، وكانت الدرجة القصوى ١٢٠ درجة. ولكن هل يختلف هذا الوزن باختلاف السن؟.

لقد تم حساب المتوسط الحسابي لكبار السن وصغار السن ووجد كالآتي:

كبار السن ١٤,٥٨ وصغار السن ٢٦,ــ والفرق = ١١,٤٢

ولهذا الفرق دلالة إحصائية وفقاً لمقياس (ت)[1] الإحصائي. ويؤكد هذا أن صغار السن أكثر معاناة من المشكلات عن كبار السن، وأن الشاب كلما تقدمت به السن، كلما خفت وطأة المشكلات التي يعاني منها. **ومؤدى ذلك أن صغار السن من الشباب في حاجة أكثر للرعاية النفسية والاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية ... إلخ.**

أثر عامل الاستذكار: يختلف الطلاب في كم ما يكرسونه من وقت للاستذكار العلمي، ولا شك أن عادة الاستذكار من العادات الذهنية الطيبة التي يتعين تشجيعها في الطلاب. ولقد رئي التعرف على تأثير هذا العامل في كم وكيف ما يعانيه الشاب من المشكلات:

جدول رقم (٤)

يوضح النسب المئوية لتوزيع عدد ساعات الاستذكار، وكذا المتوسط الحسابي لهذه الساعات بالنسبة للعينة ككل:

الساعات	٪
١	٣٨,٥
٢	١٠,٢
٣	١٢,٨
٤	٢,٦
٥	٧,٧
أقل من ساعة	٢٨,٢
المتوسط الحسابي «م»	١٠٠م = ١,٦ ساعة.

يلاحظ أن الغالبية من أفراد العينة تخصص للدراسة بالمنزل ساعة واحدة يومياً، وتبلغ نسبة هؤلاء الطلاب ٣٨,٥٪ من مجموع أفراد العينة، أما الذين لا يخصصون للدراسة إلا فترة تقل عن الساعة فتبلغ نسبتهم ٢٨,٢٪ من مجموع الطلاب. وبلغت أكبر فترة زمنية مخصصة للاستذكار خمس ساعات، ولكنها عند ٧,٧٪ من مجموع الطلاب. ويكشف المتوسط الحسابي لعدد الساعات المخصصة لهذا الغرض لدى أفراد العينة ككل، وهو ١,٦ ساعة، عن ضآلة الوقت الذي يخصصه الطالب للاستذكار في منزله. يضاف إلى هذا أن نسبة كبيرة من هؤلاء الطلاب قررت أنها لا تستأنف الدراسة إلا قبيل الامتحان بفترات قليلة تتراوح ما بين أسبوع واحد وشهرين. وتكشف هذه النتيجة عن اتباع عادات سيئة في الاستذكار، وعدم اتباع ما يوصي به علماء النفس من ضرورة توزيع جهد الطالب على فترة زمنية طويلة يتخللها فترات من الراحة والاستجمام تؤدي إلى ثبوت المعلومات ورسوخها في ذهن[2] المتعلم. **الأمر الذي يدعو إلى ضرورة توجيه الطلاب وإرشادهم نحو الأسلوب الجيد في التحصيل، ويمكن أن يقوم بهذه المهمة المرشد النفسي أو المرشد الاجتماعي.**

جدول رقم (٥)

يوضح النسب المئوية لعدد المشكلات لدى قليلي الاستذكار وكثيري الاستذكار:

عدد المشكلات	يذاكر قليلاً من صفر ـ ساعة واحدة ٪	يذاكر كثيراً أكثر من ساعة ـ ٥ ٪	الفرق
١	٤	٢١,٤	-١٧,٤
٢	٨	٧,١	+٠,٩
٣	٢٤	٢١,٤	+٢,٦
٤	٢٨	١٤,٣	+١٣,٧
٥	١٦	١٤,٣	+١,٧
٦	١٦	—	+١٦
٧	—	١٤,٤	-١٤
٨	٤	—	+٤
٩	—	—	—
١٠	—	٧,١	-٧,١
م	٤,١	٤	

لقد رئي التعرف على أثر عامل «عدد ساعات الاستذكار» على عدد ما يعانيه الطالب من المشكلات ، وكشف تحليل هذا العامل عن أن المتوسط الحسابي للمشكلات لدى قليلي الاستذكار هو (٤،١) وعند كثيري الاستذكار (٤) أربع مشكلات ، وليس لهذا الفرق دلالة إحصائية ، فالطالب إذا كان يستذكر دروسه قليلاً أو كثيراً فإن ذلك لا يؤثر على ما يعانيه من المشكلات بصورة واضحة . وفيما يتعلق بالفرق الذي يرجع إلى عامل الساعات التي يخصصها الطالب للاستذكار على وزن ما يعانيه من «مشكلات ككل» وجد أن المتوسط الحسابي لقليلي الاستذكار هو ٢٢،٢ في مقابل ٢٤،٩ لكثيري الاستذكار بفارق قدره ٢،٧ . وقد يرجع ذلك إلى اتخاذ الطالب المثقل بالمشكلات الاستذكار كوسيلة تعويضية عما يعانيه من مشكلات .

الاستذكار والمشكلات النوعية : هل تختلف المشكلات النوعية لدى كثيري الاستذكار عنها لدى قليلي الاستذكار ؟ . والجدول الآتي يعرض نتائج تحليل المعطيات وفقاً لهذا العامل .

جدول رقم (٦)

يوضح النسب المئوية لانتشار المشكلات النوعية لدى قليلي وكثيري الاستذكار :

المشكلات	يذاكر قليلاً	يذاكر كثيراً	الفرق
جسمية	٤٤	٥٠	٦
نفسية	٦٤	٧٨	١٤
اقتصادية	٨	٦٤،٣	٥٦،٣
عائلية	١٦	٢١،٤	٥،٤
إسكانية	١٢	—	١٢
مواصلات	٣٢	٢١،٤	١٠،٦
أخلاقية	١٢	٢١،٤	٩،٤
عاطفية	٤٤	٤٢،٩	١،١
دراسية	٧٢	٧٨	٦
اجتماعية	٨	٤٢،٩	٣٤،٩
زواج	١٢	٣٥،٧	٢٣،٧
سيارات	٢٤	٥٧،١	٣٣،١

ودل تحليل عدد المشكلات لدى من يستذكر كثيراً ومن يستذكر قليلاً أن المشاكل الأربع الأكثر انتشاراً لدى أفراد المجموعتين كالآتي .

يستذكر قليلاً	يستذكر كثيراً
١ ـ دراسية ٧٢٪	١ ـ نفسية ٧٨٪
٢ ـ نفسية ٦٤٪	٢ ـ دراسية ٧٨٪
٣ ـ جسمية ٤٤٪	٣ ـ اقتصادية ٦٤،٣٪
٤ ـ عاطفية ٤٤٪	٤ ـ قيادة سيارات ٥٧،١٪

ويتضح أن المشاكل الدراسية تحتل مكان الصدارة في الانتشار بين أولئك الذين لا يستذكرون كثيراً ، إذ تبلغ نسبة انتشارها بينهم ٧٢٪ أي ما يقارب ثلاثة أرباع المجموعة ، يلي ذلك المشاكل النفسية والجسمية والعاطفية على الترتيب . أما الذين يستذكرون كثيراً ، فتحتل المشاكل النفسية مكان الصدارة بينهم ، إذ تصل نسبة انتشارها إلى ٧٨٪ ، وتأتي في المرتبة الثانية المشاكل الدراسية أما المشكلتان الأخرتان فهما الاقتصادية وقيادة السيارات .

وكشف تحليل الفروق في هذه المعطيات عن زيادة نسبة المشكلات الآتية لدى كثيري الاستذكار : الجسمية ـ النفسية ـ الاقتصادية ـ العائلية ـ الأخلاقية ـ الدراسية ـ الاجتماعية ـ الزواجية ـ وقيادة السيارات ، أما المشكلات التي تنتشر بصورة أكثر لدى قليلي الاستذكار فهي كالآتي : الإسكانية والمواصلات .

وتشترك في المجموعتين المشكلات النفسية والدراسية ، مما يؤكد أهميتها وانتشارها حتى بين المجدين دراسياً .

أثر عامل التفوق الدراسي : كشف تحليل انتشار المشكلات بين المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً عن أن المشكلات الثلاث الأكثر انتشاراً لدى كل فئة كالآتي :

المتفوقون دراسياً	غير المتفوقين
١ ـ المشكلات الدراسية ٨٠٪	١ ـ المشكلات النفسية ٧٣،٧٪
٢ ـ المشكلات النفسية ٦٥٪	٢ ـ المشكلات الدراسية ٦٨،٤٪
٣ ـ مشكلة قيادة السيارات ٥٠٪	٣ ـ المشكلات الجسمية ٤٧،٤٪

ومن الغريب أن المشكلة الدراسية تحتل مكان الصدارة في الانتشار بين الطلاب المتفوقين ، وقد يرجع ذلك إلى أن نضجهم الدراسي يجعلهم أكثر إحساساً عما يتعرضون له من مشكلات دراسية . وتأتي في المرتبة الثانية المشكلات النفسية ، وفي المرتبة الثالثة المشكلات المتعلقة بقيادة السيارات .

أما غير المتفوقين ، فإن المشكلات النفسية تحتل مركز الصدارة في الانتشار بينهم ، يلي ذلك المشكلات الدراسية . وبذلك تقع المشكلات الدراسية بين المشكلات الثلاث الأكثر انتشاراً لدى أفراد المجموعتين . وتأتي في المرتبة الثالثة المشكلات المتعلقة بالأحوال الجسمية والصحية .

ويكشف هذا التحليل عن وجود فروق في نسب هذه المشكلات ، حيث تزيد نسبة قليلي التفوق في المشكلات النفسية بفارق قدره ٨،٧٪ ، والمشكلات الاجتماعية بفارق قدره ٦،١٪ ، وكذلك المشكلات المتعلقة بالزواج وتكوين الأسرة بفارق قدره ١١،٣٪ ، ولهذه الفروق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪ وفقاً لمقياس «النسبة الحرجة»[٣] .

وتزيد نسبة المتفوقين دراسياً في المشكلات العائلية بفارق قدره ٩،٢٪ ، والمشكلات الدراسية بفارق قدره ١١،٦٪ ، ومشكلة قيادة السيارات بفارق كبير بلغ ٢٨،٩٪ ، وقد يرجع ذلك إلى نضجهم العقلي وإحساسهم بهذه المشكلة وتقدير عواقبها أكثر من قليلي التفوق الدراسي .

جدول رقم (٧)

يوضح النسب المئوية لانتشار المشكلات النوعية لدى المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً ، والفرق بينهما في كل مشكلة :

المشكلات	متفوق %	قليل التفوق %	الفرق %
١ ــ جسمية	٤٥	٤٧,٤	٢,٤
٢ ــ نفسية	٦٥	٧٣,٧	٨,٧
٣ ــ اقتصادية	٢٥	٢٦,٣	١,٣
٤ ــ عائلية	٢٥	١٥,٨	٩,٢*
٥ ــ إسكانية	١٠	٥,٣	٤,٧
٦ ــ مواصلات	٣٠	٣١,٦	١,٦
٧ ــ أخلاقية	١٥	١٥,٨	.٨
٨ ــ عاطفية	٤٥	٤٢,١	٢,٩
٩ ــ دراسية	٨٠	٦٨,٤	١١,٦*
١٠ ــ اجتماعية	١٥	٢١,١	٦,١
١١ ــ زوج	١٥	٢٦,٣	١١,٣*
١٢ ــ سبورت	٥٠	٢١,١	٢٨,٩

* فد الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

تم إيجاد عدد المشكلات التي يعاني منها كل من الطلاب المتفوقين وغير المتفوقين دراسياً ، ووجد أن المتوسط الحسابي لعدد المشكلات لدى المتفوقين هو ٤.٥ مشكلات ، بين كان ٣,٦ عند قليلي التفوق ، وذلك بفارق قدره ٠.٩ ، ولهذا الفارق دلالة إحصائية وفقاً لمقياس (ت) مما يؤكد أن المتفوقين دراسياً أكثر حساسية وأكثر شعوراً بالواجب ، ومن ثم أكثر معاناة من المشكلات :

عدد المشكلات	متفوق %	قليل التفوق %	الفرق %
١	ــ	٢١,١	٢١,١
٢	١٠	٥,٣	٤.٧
٣	٢٠	٢٦,٢	٦,٢
٤	٣٠	١٥,٧	١٤,٣*
٥	١٠	٢١,١	١١,١*
٦	١٥	٥,٣	٩,٧*
٧	١٠	ــ	١٠
٨	٥	ــ	٥
٩	ــ	ــ	ــ
١٠	ــ	٥,٣	٥.٣
١١	ــ	ــ	ــ
١٢	ــ	ــ	ــ
** عدد المشكلات	٤,٥	٣,٦	.٩
الفرق =	٤,٥	ــ ٣,٦	.٩

* عند الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

** = المتوسط الحسابي

كشف تحليل وزن المشكلات ككل بالنسبة للمتفوقين دراسياً (الحاصلين على تقدير عام جيد فما فوق) ، ولغير المتفوقين (الحاصلين على تقدير مقبول وما دونه) عن زيادة وزن المشكلات لدى المتفوقين دراسياً عن غيرهم ، حيث كان متوسطهم الحسابي ٢٤,٨ في مقابل ٢١,٥ لغير المتفوقين ، وذلك بفارق قدره ٣,٣ ، ولهذا الفرق دلالة إحصائية وفقاً لمقياس T الإحصائي .

وفي تفسير ذلك نستطيع أن نقول إن من يتفوق في دراسته يكون شديد الحساسية نحو أداء الواجب وشديد الحرص على النجاح حتى لا يتعرض لانتقادات أحد . ومن هنا فإنه يعاني أكثر من غيره من المشكلات .

على كل حال ، كان هذا التحليل قائماً على أساس الوزن الكلي لثقل المشكلات ككل ، ولكن يختلف المتفوق عن غير المتفوق في المشاكل النوعية التي يعاني منها كل منهم كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

فرق عامل التخصص : تم تحليل عدد المشكلات بالنسبة لدارسي علم الاجتماع ، ودارسي علم النفس كل على حدة ، ودل هذا التحليل على أن طلاب علم النفس لديهم عدد أكبر من المشكلات عن طلاب علم الاجتماع ، حيث كان المتوسط الحسابي لعدد المشكلات لدى أرباب التخصص الأول هو ٤,٧ وبالنسبة للمجموعة الثانية ٣.٣ بفارق قدره ١,٤ .

ولمزيد من التحليل تم إيجاد المتوسط الحسابي لوزن المشكلات الكلية ، وتأكد من خلال هذا التحليل نفس الاتجاه الذي تتخذه المعطيات ، حيث كان المتوسط الحسابي لطلاب علم النفس هو ٢٨,٤٣ ، بينما كان هذا المتوسط بالنسبة لطلاب قسم الاجتماع ١٧,٢٨ بفارق قدره ١١,١٥ مؤكداً معاناة طلاب علم النفس من المشكلات ، وهذا الفارق دال إحصائياً . وقد يرجع ذلك إلى ميل دارسي علم النفس إلى تحليل دواتهم أكثر من غيرهم . أو أن هذه الدراسة تجذب أصلاً فئة من الشباب تمتاز بحساسية أو المعاناة من المشكلات وجاءت لدراسة هذا التخصص لعلها تجد به فهماً لمشاكلها الذاتية .

وبالنسبة لعدد المشكلات فإن الجدول الآتي يعرضها :

عدد المشكلات	طلاب علم النفس %	طلاب علم الاجتماع %
١	٩,٥	١١,١
٢	٤,٨	١١,١
٣	١٤,٣	٣٣,٣
٤	١٩	٢٧,٨
٥	١٩	١٦,٧
٦	١٤,٣	صفر
٧	٩,٥	صفر

٨	٤،٨	صفر
٩	ـ	صفر
١٠	٤،٨	صفر

ف = ٤،٧ ـ ٣،٣ = ١،٤

متوسط عدد المشكلات لدى دارس علم النفس أكثر منها عند زميله دارس علم الاجتماع (٤،٧ في مقابل ٣،٣ بفارق قدره ١،٤).

دراسة العلاقة الارتباطية بين متغيرات البحث : لقد رئي التعرف عن مدى ما يوجد من ارتباط أو استقلال بين عدد المشكلات التي يعاني منها الفرد، وبين شدة هذه المشكلات أو وزنها، ولذلك تم حساب معامل ارتباط **بيرسون**، ووجد مساوياً ٨٥، ، ومؤدى هذا أنه كلما زاد عدد المشكلات التي يعاني منها الفرد زاد وزنها أو ثقلها، والعكس صحيح ؛ بمعنى أنه كلما قل عدد المشكلات قل وزنها أو شدتها. هذا، ولقد كان هذا الارتباط دلالة إحصائية عالية وفقاً لجداول **جاريت**[٤] الإحصائية.

ويقودنا تحليل المعطيات إلى التعرف على مدى ترابط المشكلات الجسمية والاقتصادية ... إلخ، المشكلات بعضها بالبعض، بمعنى ميل الفرد إلى المعاناة من المشاكل الأخرى إذا كان يعاني من مشكلة معينة. وللتحقق من هذا الفرض تم حساب قيمة مقياس **كاي**[٢] بين المشكلات الاثنتي عشرة المدروسة ككل. وذلك على اعتبار عدم وجود فروق بين التكرارات التجريبية الملاحظة، والتكرارات المتوقعة في حالة عدم وجود علاقة بين كل مشكلة وغيرها من المشكلات. ولقد حسبت قيمة كاي[٢] ووجدت مساوية ١٢٧،٢، وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عالية. تشير إلى الترابط بين هذه المشكلات وميل الفرد للمعاناة من أكثر من مشكلة إذا كان يعاني من واحدة.

ولقد رئي حساب العلاقة الثنائية بين المشكلات المدروسة، وذلك باستخدام مقياس كاي[٢]، ووجدت على النحو الآتي :

المشكلات	قيمة كاي[٢]
اقتصادية × عائلية	٤،١١*
دراسية × نفسية	صفر
نفسية × جسمية	١،٢٨
دراسية × عاطفية	صفر
نفسية × عاطفية	،٠٧
دراسية × عائلية	،٦٣
جسمية × دراسية	،٧٧

وتفشل العلاقة بين المشكلات في الوصول إلى حد الدلالة الإحصائية فيما عدا المشكلات الاقتصادية والعائلية، حيث يبدو أنها يترابطان أي يوجدان معاً أو يختفيان معاً.

واستمراراً في بحث العلاقات الارتباطية بين المشكلات المدروسة، رئي استخدام مقياس إحصائي أكثر دقة وحساسية، وهو **معامل ارتباط بيرسون**، وتم حساب معاملات الارتباط بين كل زوج من المشكلات الآتية :

المشكلات	قيمة معامل الارتباط
جسمية × دراسية	،٣١
دراسية × عائلية	،٢٦
نفسية × عاطفية	،٣٧
نفسية × دراسية	،٢٧
نفسية × جسمية	،٨٨

ولهذه المعاملات[٥] دلالة إحصائية تفوق مستوى ثقة ٩٥٪، وتؤكد هذه النتائج ارتباط المشكلات بعضها ببعض. وتفسير ذلك أن الإنسان إذا كان يعاني من علة نفسية، كان أميل إلى أن يعاني من علة أو علل جسمية والعكس صحيح. وبمثل فرد الشباب كلما زادت معاناته من المشاكل النفسية زادت معاناته من المشاكل الدراسية. كما أن الشباب الذي يعاني من المشاكل النفسية يميل إلى المعاناة من المشاكل العاطفية. وكلما زادت مشاكل الشباب العائلية زادت مشاكله الدراسية، كما يتضح أن المشاكل الجسمية تنعكس على المشاكل الدراسية والعكس صحيح ومؤدى هذا كله أن الإنسان وحدة جسمية نفسية عقلية روحية عاطفية اجتماعية ... إلخ، متكاملة ومتفاعلة أي يؤثر بعضها في البعض. مثل هذه النتيجة تجعلنا ندعو إلى أن **تكون الرعاية التي يوفرها المجتمع لأبنائه الشباب متكاملة متناسقة وشاملة لكافة عناصر شخصيته الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والخلقية والاجتماعية والعلمية والمهنية والعائلية ... إلخ.**

الدراسة الإكلينيكية : كانت الدراسة السابقة قائمة على أساس المعطيات الكمية والموضوعية، ولذا خضعت للتحليل الإحصائي الرقمي. ولكن الدراسة الميدانية اشتملت كذلك على التعبير الحر والطليق لمشاعر الشباب وعواطفهم وانفعالاتهم وآمالهم وطموحاتهم بشكل يمكن أن نطلق عليه الدراسة الإكلينيكية الوصفية لمشاعر الشباب :

١ ـ المشاكل النفسية : من المشاكل النفسية التي عبّر عنها الشباب، السرحان واللامبالاة، وعدم التكيف مع الآخرين، والشعور بالقلق وضيق الصدر، وكثرة التفكير والتوتر العصبي. وأوضح بعض الشباب أنهم يعانون من المشاكل النفسية عندما يفشلون في امتحاناتهم الدراسية، بمعنى أن الفشل الدراسي يقودهم إلى المعاناة النفسية. كذلك فإن المشاكل النفسية، ككثرة التفكير والإرهاق والأرق والسهاد، قد ترجع للمعاناة من مشاكل عائلية. وهناك من عبّر عن خوفه من المستقبل، وهناك من يعاني من الاضطراب النفسي بسبب معاناته من صعوبات في النطق والكلام، أو عندما يصبح عليه أن يقود سيارته في الكلام. ومن المشاكل النفسية الشائعة تشتت الذهن. ومن أكثر المشاكل شيوعاً التوتر والقلق وسرعة الانفعال والنسيان والعجز عن التركيز، ولا سيما في أثناء المحاضرات. وهناك من يعاني من أحلام اليقظة ومن التلعثم في الكلام، كما أن هناك من يعاني من شرود الذهن، وهناك حالات قليلة عبرت عن معاناتها من الكبت العاطفي. ومن الأسباب الشائعة لقلق الشباب الامتحانات. وهناك من يشعر بالقلق بسبب مشكلة وقت الفراغ، ومن يعاني من الشعور بأنه غير مرغوب فيه والعجز عن الكلام بطلاقة وإبداء الرأي. وهناك حالات قليلة تعاني من الاكتئاب وضيق التنفس.

٢ ـ المشاكل الجسمية : كشف الوصف الإكلينيكي لمعاناة الشباب عن وجود مشاكل كضعف الإبصار وضعف السمع والتهابات بالقصبة الهوائية والضعف الجسمي والميل الشديد للنوم والنحافة، أو وجود مشاكل بسيطة كوجود قشر في فروة

الرأس ، وقصر القامة والروماتزم أو صعوبة تحريك بعض أعضاء الجسم ، وقلة الوزن عن الحد المطلوب ، وبعض الأمراض كالتهابات القولون ووجود آلام في الساق أو القدم أو حموضة المعدة .

٣ ـ المشاكل الاقتصادية : تأخر استلام الرواتب الشهرية مما يدفع البعض إلى الاستلاف من الزملاء ، والاعتماد الكلي على الراتب وحده ، والمعاناة من الديون بسبب الزواج ولنقص ما يحصل عليه الشاب من الأهل ممن تقود عن حاجته ، ومنهم من كانت حالته الآن ميسورة ، ولكنه يخشى من المستقبل المالي .

٤ ـ المشاكل العائلية : منها بعض الخلافات العائلية أو المعيشة مع زوجة الأب ، أو شجار الوالد مع الوالدة ، أو وجود الانشقاقات الأسرية أو انفصال وتشتت الأسرة ، وهي ولله الحمد مشاكل قليلة في مجتمع العينة . ومن المشاكل العائلية مرض الوالد منذ أكثر من عشرين عاماً .

٥ ـ مشاكل المواصلات : ومنها بعد السكن عن الجامعة وطول المسافة التي على الشاب أن يقطعها يومياً ، أو زحمة المرور ، أو عدم توفر وسيلة مواصلات خاصة لدى الشاب أو معاناته من قيامه بتوزيع إخوته وأخواته على مدارسهم قبل الحضور للجامعة .

٦ ـ المشاكل الإسكانية : ومن أمثلتها أن السكن الجامعي غير مناسب ، أو ضيق المسكن أو بعد السكن عن مقر الدراسة .

٧ ـ المشاكل الأخلاقية : ومن هذا النوع من المشاكل الشعور بالذنب من عدم تأدية الصلاة في أوقاتها في بعض الأحيان ، أو الانحراف بعض الشيء أحياناً ، وهناك من يعاني من قلة المودة بينه وبين الأصدقاء أو قلة الولاء أو الإحساس بعدم معاملة الوالدين بالبر والإحسان ، وهناك من يعاني عندما يرى الآخرين يتصرفون تصرفاً غير لائق .

٨ ـ المشاكل العاطفية : ومنها هجر الزوجة للشاب بعد زواج عن حب ، أو الفشل في إقامة علاقات عاطفية والخوف من الفشل في الزواج ممن يحب الإنسان ، وزواج الفتاة من شخص آخر ومعاناة البعض من مشاعر الغيرة .

٩ ـ المشاكل الدراسية : عدم رضا الشاب عن بعض المواد الدراسية ، وعدم الرضا عن الدرجات التي يحصل عليها من الاختبارات ، وإهمال الدراسة طوال الفصل إلا قبيل عقد الاختبار أو عدم كفاية الشرح في قاعة الدرس ، أو طول أسئلة الاختبار عن الزمن المقرر للاختبار ، وكثرة عدد المحاضرات اليومية ، وشعور الطالب بالضعف الشديد في بعض المواد كاللغة الإنجليزية ، وأن بعض المواد معقدة أزيد من اللازم وصعبة الفهم ، وعدم قدرة الطالب على الاستذكار لمدة طويلة ، وازدحام جدول المحاضرات الأسبوعي أو الانقطاع عن مواصلة الدراسة بعد الثانوية العامة ثم العودة للجامعة أو عدم تلقي العون الكافي من المدرس أو عدم تفهم المدرس للطالب ، أو بعد مقر الدراسة عن محل إقامة الطالب . ومنها شعور الطالب بالضيق إذا ما بدأ الإمساك بالكتاب ، أو تفاوت مستوى تحصيل الطالب في المواد المختلفة ، والعجز عن الاستذكار والعجز عن الفهم من أول قراءة أو عدم توفر الكتب الدراسية الجيدة ، وبعد بعض المواد عن تخصص الطالب .

١٠ ـ المشاكل الاجتماعية : الشعور بالذنب من جراء التقيد بصحبة الرحم ، أو عدم الرضا عن بعض الأشياء الموجودة بالمجتمع ، أو وجود خلافات مع بعض الناس ، أو الإحساس بأن الأب غير متفهم ، أو المعاناة من حقد الآخرين .

١١ ـ مشاكل زواجية : الرغبة في الزواج من فتاة معينة ، وصعوبة تحقيق هذه الرغبة أو الرغبة في الزواج ، وعدم إمكان تحقيق ذلك إلا بعد الانتهاء من الدراسة . ومن المشاكل الأساسية المتعلقة بالزواج ارتفاع المهور ، أو رفض أهل الفتاة الموافقة على زواجها منه . ومن ذلك أيضاً عدم الإلحاح من قبل الأهل على الزواج أو رفضهم لذلك إلى ما بعد الدراسة .

١٢ ـ مشاكل قيادة السيارات : ويختص هذا النوع من المشكلات في «التفحيط» ، والتهور في القيادة ، وقيام صغار السن بقيادة السيارات ، والسرعة الزائدة ، وعدم الإلمام بأنظمة المرور ، ومن ثم عدم احترامها ومخالفتها والاستهتار بها والتألم من كثرة حوادث المرور القاتلة . وهناك من يشعر بالخوف من السرعة ، ومن يشعر بالتعب والإرهاق بعد القيادة لفترة ، أو العجز عن القيادة في الظلام بسبب ضعف الإبصار .

اقتراحات الشباب

ومن اقتراحات الشباب ، تعديل جداول المحاضرات وتعديل خطط الدراسة لتتفق مع التخصصات العلمية ، وتطبيق نظام الساعات المعتمدة ، وتوثيق العلاقة بين الطالب والأستاذ . ويطالب الشباب بعلاج مشكلاتهم وتوضيحها ، ويرغب الشباب في الاستفادة من الأستاذ الكفء واسع الاطلاع ، مع المطالبة بتوفير وسائل للترفيه ، وتيسير اشتراك الشباب في الأندية والمعسكرات الصيفية ، وإشراكهم في معسكرات العمل الصيفي ، وفي الرحلات والأنشطة الكشفية . ومن اقتراحاتهم حول الدراسة نفسها ، إفساح مجال وسع أمامهم لوصف مشكلاتهم وشرحها شرحاً وافياً .

هذه صورة لما يدور في أذهان عينة من شبابنا الخليجي ، وبعد هذه الرحلة عبر مشاعر الشباب نستخلص منها أن توفير الرعاية لهذا الشباب المتوثب أمر واجب على كافة الأصعدة ، ومن أهمها الإيمان بالله تعالى وبرسوله وبكتابه الكريم ، وبالتعاليم الإسلامية الغراء وبالسنة النبوية المشرفة إيماناً قلبياً وعملياً ، مع رعاية الشباب جسدياً وعلمياً وفكرياً وأسرياً وتعليمياً وخلقياً ، بحيث نحرره مما يكبل طاقاته من أغلال المشاكل التي تمتص فائض طاقته ، وبحيث ينطلق بكل طاقاته نحو الإبداع والإنتاج والنضال والكفاح في سبيل رفعة الوطن ونموه وازدهاره .

هوامش البحث

(١) د . السيد محمد خيري «الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية» ، القاهرة .

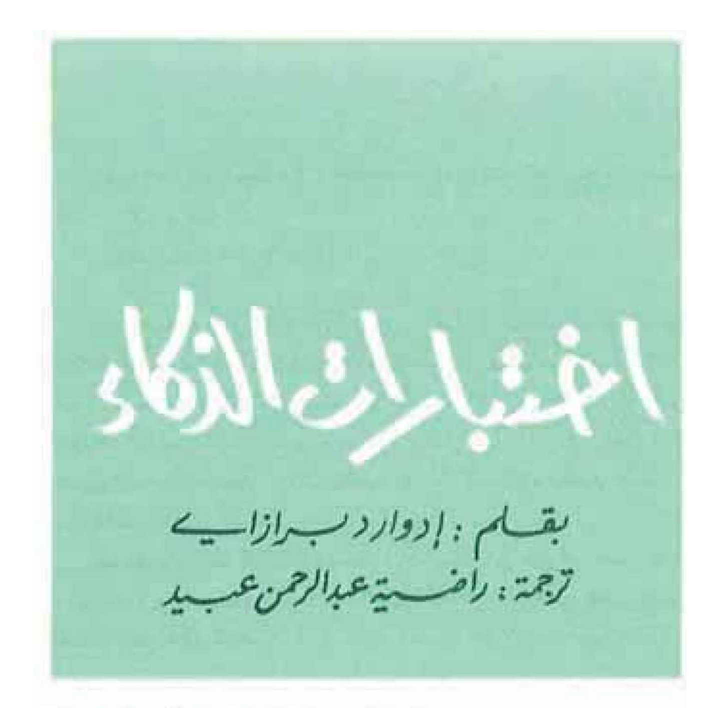
(٢) د . أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس .

(٣) د . فؤاد البهي السيد «الإحصاء وقياس العقل البشري» ، القاهرة

(٤) راجع هذه الجداول في كتب الإحصاء في باب مقاييس الدلالة الإحصائية .

(٥) لمعرفة استخدام مقياس كاي²، راجع كتاب الباحث ، في علم النفس والإنسان ، دار المعارف بمصر .

(٦) معامل الارتباط مقياس إحصائي لتحديد كم وكيف العلاقة بين متغيرين أو أكثر كالعلاقة بين الطول والوزن أو الذكاء والتحصيل .



إن الاختبارات التي تنشر في مطلع هذا القرن ، أرادت أن تقيس ملكة يصعب تحديدها : إنها ملكة الذكاء . وقد ذاعت اختبارات الذكاء في الغرب من المدرسة إلى المؤسسة دون أن ننسى الألعاب في الصحف والمجلات .

وها هو إدوارد برازاي (Edward Brasey) يوضح مصادرها وطرقها ويبين مواضع أسرارها ومواطن نقدها عن طريق بحث حول إيجابيات وسلبيات هذه الاختبارات .

غزت الاختبارات اليوم المجتمعات الغربية والتكنولوجية . ففي **الولايات المتحدة الأميركية وفي شمال أوروبا** ، يبدو من العبث أن يوجه طالباً أو نرفع سلاحاً استعلامياً دون اللجوء إلى الاختبارات .

والنفس هي الفضل وسيلة لمعرفة أي شخص ، وذلك عن طريق غرائزه وطموحاته وذوقه . وهكذا ، فلكل مظهر من مظاهر الشخصية البشرية يوجد نوع من الاختبار يسلط عليه الضوء ويقيّمه ويمنحه درجة .

تعدّ الاختبارات بالآلاف ، فركز علم **النفس التطبيقي** بعرض وحده أكثر من ستمائة اختبار : (اختبارات الذكاء ، واختبارات الكفاءات المهنية ، واختبارات الشخصية أو الإسقاط . . .) . ووسط هذه الغابة يتحتم علينا تحديد الاختيار حتى لا نتيه . في هذا البحث سنتناول إذن اختبارات الذكاء فحسب .

كلّ شخص كانت أو ستكون له يوماً ما فرصة اجتياز اختبارات الذكاء ، في المعهد أو في الجيش أو في مكاتب التوظيف وموازاة هذه الطفرة في ميدان الاختبارات ، نشأ أدب لوصفها أو التشهير بها أو لتسليط الضوء عليها أو لمجرد مساعدة القارئ على التكيّف معها والاستئناس بها .

وبين اختبارات الذكاء والألعاب الذهنية لا توجد سوى خطوة واحدة خطتها المجلات وكتب « الجيب » ، والفرصة مهيئة دوماً لاختبار الذكاء والترفيه عن النفس .

الألغاز الذهنية

عمّ يبحث هاوي الألغاز الرياضية بالضبط؟ أعن التسلية أم عن إثبات تفوّقه الذهني ؟ . وفي لعبة الذكاء ، تكون الحوافز دوماً مضطربة ، ولعلّ هذا هو السبب في كون الاختبارات موضوع انبهار غريب ، بل لا تدع أي شخص غير مبال بها .

بالنسبة لأنصار الاختبارات ، لا وجود لآلة أكثر موضوعية وأكثر ديمقراطية لاكتشاف إمكانات الشخص مهما يكن مستواه الاجتماعي والثقافي ، وعلى العكس بالنسبة للمعادين والمشكّكين ، فإن الاختبارات تسلّطٌ على حياة المرء الخاصة وتدخّلٌ غير شريف فيما هو شخصي تماماً ، وتعني بذلك مخ الإنسان ، بالإضافة إلى مظهر الاختبارات شبه العلمي الذي يسمح بتبرير الخرافات الأكثر عتيّة والأكثر عنصرية .

إذن ، هل ينبغي أن نقبل أم نرفض هذه الاختبارات وأول نقطةٌ للتوضيح هي : ما هو الذكاء ؟ .

الذكاء

تعطي القواميس تعريفات غامضة بينما يتناقض الفلاسفة فيما بينهم حول هذا المفهوم ، فبالنسبة إلى **الذهنيين** ، يلتبس الذكاء مع الفهم الذي يعني القدرة على المعرفة والحكم على الأشياء . وبالنسبة إلى « **ديكارت** » ، فإن الفهم يلتبس مع الحكمة . ولكن « **كانت** » ، و « **هيجل** » لا يوافقانه .

إن تعريفات الذكاء تتجزأ وتتعدد تعدّد الأذهان التي تمليها ، ولعلّ من الذكاء القدرة على تقديم تعريف جديد للذكاء .

ولئن كانت الأولية التي يتقلّدها الذكاء ليست وليدة الأمس القريب ، فإن فكرة قياسه لم تظهر إلا متأخرة في عصر الوضعية والعلمية المتفوقة ، أي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، وبداية القرن العشرين الميلادي .

إن اختبارات الذكاء هي وليدة العصر ، وأوّل سنٍّ لقياس ملكة الذكاء هو من عمل عالمين نفسيين فرنسيين هما . « **ألفريد بيني** **Alfred Binet** » و « **ت . سيمون** » .

يا للصدفة ! سنّ « بيني » و « سيمون » يظهر سنة ١٩٠٥ م ، أي بعد سنتين من اكتشافات « **بافلوف** » المتعلقة بالارتكاسات الشرطية .

ومع بداية القرن العلمي والتقني والصناعي ، برزت حملة عفوية من « العلوم » الجديدة لإنقاذ الإنسانية من مشاكلها الحادة وتحدّدت مفروضات الشرطة للكشف عن المجرمين عن طريق شكل الجمجمة .

لكي نفكّر جيداً ، ينبغي أن نفكّر باستقامة ، فاختبارات الذكاء هي أيضاً خاصية من خصائص العودة إلى « قرن الأنوار » (أي القرن الثامن عشر الميلادي) ، ولكن مع مزيد من الوزن والقياس . غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هو : كيف نقيّم كميّاً وبدقة ملكة من أكثر الملكات تغيّراً وغموضاً مثل الذكاء ؟ هل نقيّم مثلاً ما بحجم القارورة التي تحتوي عليه ؟ .

إن الغرض الأولي لاختبارات الذكاء هو البرهنة على أن الذكي هو الذي يعثر في وقت محدد على الأجوبة المضبوطة للأسئلة المطروحة . ولكن كما يقال : لسؤال بليد جواب غبي .

وهكذا فحتى يكون المرء ذكياً حسب سنّ « بيني » Binet في سنة ١٩٠٨ م ، ينبغي أن تكون له نظرة إرادية في سن ثلاثة شهور ، وأن يعبّر عن حاجاته الطبيعية وعمره سنتان ، وفي سن ست سنوات ، يميّز بين الصباح والمساء ، وفي سن الاثنتي عشرة ، يجد أكثر من ٦٠ كلمة في ثلاث دقائق .

هل نعتبر هذا ذكاء أم ثقافة أم سلوكاً اجتماعياً أم مجرّد رقم قياسي ؟

على كل حال ، كان « بيني » على وعي تام بحدود سلّمه ، وعن سؤاله : ما الذكاء ؟ أجاب بمكر : « هو ما نقيسه اختباراتي » . إن هدف « بيني » كان بيان



شذوذ الذكاء أكثر من قياسه واختباراته مجرّد آلة سريرية وتربوية فهو يعلّم في مختبره الواقع في مدرسة ابتدائية بباريس كيف تميّز غباء المتخلفين ليس إلا .

ولكن من المغري جداً أن نستعمل مقياساً عالمياً ، فإن كانت الاختبارات قد أثبتت تبيان الأغبياء ، فلم لا نستعملها لإبراز الذكاء الخارق .

لا ينكر « ريمي شوفان » Remy Chauvin شيئاً . لمنذ سنة ١٩٠١ م ، في الولايات المتحدة الأميركية ، وسنة ١٩٠٦ م ، في اليابان انكبّ المختصّون على غربلة المهارات الذهنيّة لدى الأطفال ، وأنشأوا من أجلهم المدارس الأولى للموهوبين ، وبفضل مفهوم « الحاصل الذكائي » الذي عوّض منذ سنة ١٩١٢ م ، مفهوم « المستوى العقلي » لدى « بيني » ، وزعت درجات على العقول الفريدة ماضياً ومستقبلاً ، فقد حصل مثلاً « جان جاك روسو » على (١٤٠) درجة ، وحصل « فولتير » على (١٨٠) درجة ، و « غوته » على (١٩٠) درجة ، علماً بأن معدّل الشعب هو (١٠٠) .

وقد بلغ إيمان الأميركي « ترمان » Terman باختبارات الذكاء أنه تعاطى في سنة ١٩٢١ م ، « دراسات علميّة وراثية » عن العبقرية وتتمثل طريقته في انتقاء الأطفال الموهوبين في المدارس الابتدائية والعليا عن طريق اختبارات جماعية وهؤلاء الأطفال يُختارون على أساس « حاصل ذكائي » أعلى من (١٤٠) — وهكذا اختار ١٤٢٧ طفلاً ولكن يا للخيبة ، لقد ذاب هؤلاء « العباقرة » عندما بلغوا سن الكهولة ولم يلمع منهم سوى واحد هو « أورسن والس » Orson Welles .

تُعدّ سنة ١٩١٧ م ، تاريخاً هاماً في قصة الاختبارات حين رأت الولايات المتحدة الأميركية — وهي في حالة حرب — نفسها مضطرة لانتداب جيش بسرعة مفرطة واستخلاص كوادر منه . . ما العمل ؟ الأمر بسيط بفضل اختبار جماعي وغير شفوي حتى لا تقل فرص الأميين والأجانب المهاجرين ، (إذن تعطى التعليمات بالحركات والإيماءات) وفي لحظة تم تجنيد مائة ألف .

هذا النوع من الاختبار الطريف يبدو ممكناً وسريعاً ليصبح معتمداً بصورة نهائية من قبل الجيش الأميركي ، إنها إشارة البدء : في الثكنات أو في المدرسة ، في المؤسسات أو في مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية ، أصبحت الاختبارات هي الدواء والآلة التي تمكّن من التمييز بين العباقرة والمعتوهين ، ومن انتداب العاملين على الهاتف والمهندسين .

تُعدّ اختبارات الذكاء بالمئات وفي طليعتها الاختبارات التي تقيس « الحاصل الذكائي » معبّرة على مجموع السكّان وتسمح بتصنيف الأشخاص في خصائصهم داخل جيلهم علماً بأن « الحاصل الذكائي » يحسب مثلاً كالتالي :

« الحاصل الذكائي » لطفل في سن السابعة وعنده ذكاء طفل في التاسعة = $\frac{٩}{٧}$ × ١٠٠ = ١٢٨

ومن الاختبارات أيضاً ، اختبار « وشلر بالفو » Wechsler-Bellevue وهو اختبار فردي يحدّد الحاصل الذكائي لدى الكهول أو الأطفال . وتوجد أيضاً اختبارات العامل (ج) أو الذكاء العام لصاحبه ر . ب . كتال R.B. Catell . إنها غير كلامية وتجرى جماعياً وفي منزلة ثانية ، بعض اختبارات العامل (ج) منتشرة : لعب الورق والدمينو .

وأخيراً اختبارات « بونّردال » Bonnardel وهي شفوية وتقوم على فهم الجمل والكلمات فهماً تركيبياً .

— كيف رُكّبت هذه الاختبارات ؟

تحتوي طريقة « وشلر بالفو » على أحد عشر اختباراً ، مهمّتها تقدير مجموع الذكاء ، معلومات عامّة : (ما هي ألوان علم بلد ما . . .) ، والفهم العام : (لماذا أغلب الأشخاص الصمّ ولادة لا يقدرون على الكلام ؟) ، والتفكير الحسابي والمماثلات : (فيم تتّفق البرتقالة والتفاحة ؟) ، وتكميل الصور : (ماذا ينقص هذه الصورة ؟) ، وتنظيم الصور : (رتّب الصور التي تبيّن قصة !) ، وتجميع الأشياء : (المكعّبات للحصول على شكل) .

وقد تمّت مراجعة اختبارات « وشلر » لتلائم الأسئلة التي على نحو : من كتب « البؤساء » ؟ ومن أين يأتي الدّباغ ؟ قد عوّضتها أسئلة مثل : ما الذي يجعل الحديد يصدأ ؟ ولماذا يحتفل الفرنسيّون في ١٤ يوليو (تموز) ، والأطفال من مواليد ١٩٦٠ م ، ينبغي لهم أن يحلّوا اللغز الآتي : لماذا يجب إنقاذ النساء والأطفال أولا في حالة الغرق ؟

ومواليد ١٩٨٠ م ، حسبهم أن يجيبوا عن سؤال : ما مزايا الأشرطة بالنسبة للأسطوانات ؟

ولا يكتفي كتاب « وشلر » بإعطاء الأسئلة بل يعطي أيضاً الإجابات الجيّدة والرديئة . . مثلاً ، إذا أجاب طفلك عن هذا السؤال : « ما هو الجاسوس » ؟ بأنه عون سرّي ، فامنحه درجتين ، ولكن إذا قال : إنه من يخون وطنه ، فهو لا يستحق أكثر من صفر .

وعن سؤال : « ما فائدة الدّعاية » ؟ ، إذا كان الجواب : إنها تحشو أدمغتنا ، فالدرجة صفر وإذا كان الجواب : إنها تصلح للاستهلاك وتعلّمنا كيف نستعمل البضائع فالدرجة كاملة .

وأخيراً بالنسبة إلى سؤال : « لماذا يقال ، يحسن عادة أن تعطى النقود للجمعيات الخيرية المعروفة عوضاً أن تعطى للشحاذ » ؟

— الإجابة الرديئة : لإنقاذ الناس ومساعدتهم .

— الإجابة الجيّدة : الشحاذون قد يكونون مزيّفين ، فهم أحياناً أغنياء .

إن كل عالم نفسي ليجد نفسه في حيرة الاختيار لتكوين مجموعة روائزه ، لأن الاختبار المنعزل لا معنى له (باستثناء طريقة « وشلر » المكوّنة وحدها من أحد عشر اختباراً مختلفاً) . وهكذا ، فإن اختبار الدمينو مثلاً تكمله الاختبارات الشفوية .

ميادين اختبارات الذكا

في كل مرحلة من مراحل الحياة : في المدرسة ، في الجيش ، في العمل ، اختبارات الذكاء تلاحق الفرد وتصنفه .

ما هي ميادين تطبيق اختبارات الذكاء ؟ إنها عديدة ومتنوعة ولكن أهمها هي : التوجيه المدرسي وانتقاء الشباب المدعوين لخدمة العلم أثناء القيام بالواجب العسكري والانتداب المهني .

في المدرسة ، وفي السنة التوجيهية ، يتقدم المستشارون أولا ثم الموجّهون . ومستشارو التوجيه ، بحكم تخصصهم ، لهم كامل الحرية في تحديد طريقة توجيههم والحال أنه توجد قطيعة واضحة بين المستويين ، ففي القمة دفاع عن الاختبارات ، وفي القاعدة طرحها للمناقشة .

تقول إحدى مستشارات التوجيه : إن رفض استخدام الاختبارات — بالنسبة إلى الكثير منا — يتطابق مع رفض لتصنيف الأشخاص إلى طبقات أو للتعاون مع أساليب الانتقاء . فأنا لا أكاد أستعمل الاختبارات ، بل أفضل أن أجمع الأطفال في

سنة التوجيه لمرات عديدة بغية مساعدتهم على وعي ما يزمعون القيام به مستقبلاً . المهم هو الحافز وليس « الحاصل الذكائي » .

وتعتبر مستشارة التوجيه هذه اختبار « وشلر » عدوّ الأطفال اللدود . وقد تعمد إلى اختبارات « بياجي » Piaget المبنية على مراحل تطوّر الذكاء التدريجي . وبما تقوله : « إن الأطفال شديدو التأثر أحياناً فيما يخص مستقبلهم فيكفي مسلسلة تلفزيونية عن أبطال الطيران لتجدهم طيارين . أحاول أن أساعدهم على أن يفهموا أنفسهم أكثر ، فإن لاحظت ميلاً عند الطفل للفنون التشكيلية أو للعمل اليدوي غير أن أباه يريد أن يجعل منه محامياً ، فكثيراً ما أتولى الدفاع عن الطفل ولكن ليس ذلك بالأمر الهيّن » .

وتمر السنوات ويجري طفلنا بنجاح كل الامتحانات المعدة لتوجيهه . ها قد بلغ العشرين ربيعاً وعليه أن يتوجه إلى الخدمة العسكرية .

وفي خلال الأيام الثلاثة التي يعبر فيها انتقاء الوحدات ، يتلقى الفحوصات الطبية و . . . الاختبارات الموسومة لتقدير « مستواه العام » . تتوزع نتائج الاختبارات على سلّم مكوّن من عشرين درجة ، كل درجة تمثل ٥ ٪ من الشعب ، فإن حصل المجنّد على ٢٠ من ٢٠ فإنه يصنف ضمن الخمسة بالمائة الأوائل من الشعب وإن حصل على درجة واحدة من عشرين ، فإنه يكون من بين الخمسة بالمائة الضعاف من الشعب .

بعد إمضاء اثني عشر شهراً في ظل الرّايات ، يخرج الفرد من الخدمة العسكرية ويبدأ البحث عن شغل ولعلّه سيواجه الاختبارات ثانية إذ تمثل مكاتب التشغيل نوعاً من التقهقر لفائدة اختبارات « الشخصية » و « دراسة الخط » ــ ما السبب ؟ إن معرفة ما إذا كان المرشح سيتحاور مع زملائه ورؤسائه أهم من معرفة مآثره الذهنية ، هذا ما يعتقده « تياري موبليون » (Thierry Mobillion) المختص بانتداب الموظفين إذ يقول : « إن بعض المؤسسات لا تقبل أن تنتدب من يقلّ حاصله الذكائي عن ١٣٠ وليس هذا مقياساً للاختيار ولا هو بالاختيار الخطر بل بالعكس إذ بالنسبة للمرشحين الذين تنقصهم الثقة بالنفس ، فإن الإعلان عن حاصل ذكائي مرتفع له مفعول ديناميكي ، إنه ــ نوعاً ما ــ حقنة الماء المقطّر التي ترفع من معنويات المريض » .

إن الحاصل الذكائي قد أهملته اليوم مكاتب التشغيل إهمالاً كلياً ، وبالمقابل ، فقد سرى استعمال مجموعات الروائز القائمة على النموذجية : (علم النماذج البشرية منظوراً إليها من حيث العلاقات بين الطبائع العضوية والذهنية) .

لم يعد الذكاء إذن يُضبط إجمالياً ويُصنّف في نظام الحاصل الذكائي الصارم ، بل أصبح يُدرس دراسة كيفية . هل يتعلق الأمر بذهن تحليلي أم بذهن تركيبي ؟ هل يتعلق الأمر بالمنطق الرياضي أم الشعبي ؟ هل يتعلق الأمر بفكر سريع وسطحي أم بطيء ومركّز ؟

ترى السيدة « لفوجي » Lavoegie مديرة مكتب تجنيد أن الإرشادات التي تحصل عليها عن طريق نموذجية معينة لا تُزاحم إذ تقول : « إننا نهتم كثيراً بانتداب الكوادر : مهندسين ومبرمجين وكذلك بامتحانات الترقية ، فالاختبارات التي تجرى شخصياً أمام عالم نفسي تسمح أكثر من « حساب الذكاء » بالحكم على طريقة عمل المرشحين فهناك الاستكماليون والسريعون والمركّزون ، فمن الأساسي أن نعرف إلى من نتوجّه لأن المبرمج والإداري لا يعملان بنفس الطريقة » .

وبالنسبة إلى مدير انتداب بمجموعة هامة فرنسية ــ عالمية ، فإن اختبارات الذكاء ليس لها سوى دور « مبرّز اتّفاقي » يقول : « نحن نستخدم اختبارات الذكاء ولكن لمجرّد بيان النقائص الذهنية والثغرات الهامة ، فإذا كان المعدّل في هذه الاختبارات ٦ من ١٠ فإنّنا لا نمنح تفضيلاً للمترشح الذي حصل على ٨ أو ٩ من ١٠ ولكننا نستبعد من لم يحصل إلا على ٢ أو ٣ من ١٠ » .

وفي حالة امتحان الترفيع الوظيفي ، لم يعد لاختبارات الذكاء أي دخل ، المهم هو الشخصية والطّباع . وإذا كانت اختبارات الذكاء قد تقهقرت بوضوح في ميدان التجنيد الوظيفي ، فإنها مع ذلك لم تهمل تماماً ، خاصة فيما يخص الكوادر التي تبحث عن وظيفة أولى ، لهذا السبب يوجد أدب متكامل القصد منه « التهيئة » للاختبارات .

وتدرُّب جيّد على سير الاختبارات يمكّن من تحسين الرقم القياسي للفرد ولكن إلى حدّ ما ، فنحن لا نعدّ امتحاناً نفسياً ولكننا نستطيع أن نستعدّ له .

ومن المقبول أن للحصر النفسي والفزع والحافز القوي جداً أو الضعيف جداً أهمية جازمة في سير اختبار ذكاء ، إذاً من الأفضل التعوّد مسبقاً على المكعّبات ولكن يكون من العبث حفظ حلول المشاكل .

هل يمكننا أن نغش في اختبارات الذكاء ؟ هل ينبغي أن ندينها أم لا ؟ هل ينبغي أن نستبرها أم نعتبرها مجرّد تسلية ذهنية ؟

لكل رأيه ولكن شيئاً واحداً مؤكد وهو أن اختبارات الذكاء مبنيّة مبدئياً على أسئلة مغلقة ولا يوجد سوى جواب واحد جيّد ، إن هذا المنطق يجمّد الأمزجة الخلاّقة والمتعودة على الأسئلة المفتوحة .

والحال أنه في عهد الحاسب الآلي والذكاء الاصطناعي ، فإن الحاسب العظيم ، أو بطل المنطق الشكلي ، يرى فجأة أن دوره قد اغتصب وأن صيته قد انخفض ، ومن هنا فصاعداً سيفضلون عليه الأمزجة الخلاقة وسيتم تعويض الحاصل الذكائي بالحافز .

وبما لا شك فيه هو أن مفهوم الذكاء قد تغيّر منذ ثلاثين سنة ولم يعد في الواقع أيّ دور لاختبارات الذكاء .

إن اختبارات الذكاء لا يمكن أن تكون مستقلة عن الثقافة التي أفرزتها ، كما لا يمكن أن تكون ديمقراطية تماماً ، ولئن كانت قد لقيت نجاحاً كبيراً في شمال أوروبا والولايات المتحدة الأميركية ، فإنها تفقد كثيراً من وزنها في الشرق وإفريقيا ، وكل حضارة تفرز القيم الخاصة بها وكذلك مقاييس الحكم المتعلقة بها ، فإن كان رجل الغرب في القرن العشرين يمنح مثل هذه الأولوية للذكاء ، فذلك لا يعني بالذات تفوقاً على الشرقي أو الهندي اللذين يعظّمان أكثر فأكثر الحكمة وضبط النفس .

في قرن الإعلامية والرجل الآلي وعلم التوجيه كيف لا نعتقد أمام وجود آلات « أذكى » منّا ، سريعة ومصطنعة .

إن آداب علم الخيال مليئة بقصص حيث تعوّض العقول البشرية والعقول الاصطناعية بعضها البعض فتتواجه وتتداخل ولا يمكن التمييز بين ذكاء الرجل العادي والرجل الآلي .

وعلى كل ، يوجد فرق أوضحه الفلاسفة بتعريفاتهم المتناقضة : خلافاً للذكاء الاصطناعي (ذلك الذي تدّعي اختبارات الذكاء قياسه) **فإن الذكاء البشري غير جامد . إنه حي ويتطور دون توقف عبر القرون وحسب الحضارات والظروف الاقتصادية** ، وتاريخ الذكاء يبيّن أن الذكاء من ضمن التاريخ : متحرك ، متقلب ، نسبي متعدد الأشكال ومتناقض .

إن الذكاء خاصية لا تخضع بطبيعتها إلى قواعد الإحصاء المحضة ومن يدري بأي نوع من الذكاء سيوهب أبناء سنة ٢٠٠٠ م ؟

لا شك أن اختباراتنا البالية يمكن أن تستبدل باختبارات جديدة أكثر ملاءمة ، ولكن لعل الناس يفضلون الاستغناء كُلّياً عن كل نوع من أنواع الاختبارات !

●● عن مجلة « الرأي الفرنسية » ــ العدد ٨١ .



بدايات

الإيروسول

هو علبة ، تحتوي على غاز سائل تحت ضغط عال ، ومعه المادة المراد رشها . وعند الضغط على غطاء العلبة ، ينفتح صمام صغير بداخلها ، فيندفع الغاز السائل - بفعل الضغط - إلى خارج العلبة ، حاملاً معه المادة المراد رشها في جزيئات متناهية الدقة .

أقرب تشبيه لفكرة الإيروسول هو **الضباب** الذي تسبح فيه جزيئات الماء في الهواء .

أول ابتكار له كان **بالولايات المتحدة الأميريكية** عام ١٩٤١ م ، وأول ظهور له بالأسواق - كمنتج تجاري - كان في خمسينات هذا القرن .

هناك طريقتان لعمل الإيروسول :

١ - بتحليل الأجزاء الصلبة الكبيرة ، أو بتشتت السائل .

٢ - بتكوين مركب من الجزيئات الصغيرة للمادة المراد رشها .

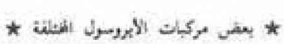
ومن أمثلة الطريقة الأولى ، إيروسول **المبيدات الحشرية** ، وغيرها من المنتجات التي يندفع فيها المحلول بواسطة ضغط الهواء أو الغازات الأخرى .

ومن استخدامات الطريقة الثانية ، الدخان الناتج من غاز **الأمونيا** ، وغاز **كلوريد الهيدروجين** .

تتمثل أهمية استخدام الإيروسول في **دراسات الطقس ، وتكوّن الضباب ، والأمطار** ، كما يعتمد **علاج تلوث الهواء** - في جزء منه - على إزالة الإيروسولات (أي المواد الصلبة السابحة في الهواء) من **دخان المصانع** وغيرها .

هذا ، وتستخدم الإيروسولات بشكل واسع في الزراعة ، باعتبارها منتجاً جيد المردود والفعالية في رش المبيدات الحشرية ومبيدات الأعشاب .




★ بعض مركبات الأيروسول المختلفة ★





القول البلاغ في تحقيق البلاغ عند علماء الدراية والرواية

بقلم: د. محمد عبداللطيف صالح الفرفور

من أمانة العلم وميثاقه الذي أخذه الله على أهل العلم أن يبيّنوه للناس ولا يكتمونه، وجدتني أمام واجب ديني علمي لا بد لي من بيانه وجلاء اللّبس فيه، وذلك أني قرأت في صفحات هذه المجلة الزاهرة مقولاً لباحث يزعم أن طرق التحمل في علم مصطلح الحديث تسعة لا ثمانية، والتاسع الذي زاده هو (البلاغ). ثم يذهب فيشرح البلاغ بأنه (علامة من علامات التسميع) ويحيل إلى كتاب كبير من كتب هذا الفن وهو التدريب للإمام السيوطي شارح التقريب للإمام النووي، ثم يذهب فيعزو ذلك على لسان السيوطي إلى الخطيب البغدادي.

وتوقّفت مليّاً عند هذا الاستدراك والتعقيب الذي قام به هذا الباحث على باحث سبقه فكتب في طرق التحمل الثمانية ولم يزد عليها شيئاً، لأنه لم يجد من زاد عليها فهي ثمانية منذ ولادة هذا الفن إلى يومنا هذا لم يقل أحد لا الخطيب البغدادي، ولا السيوطي، ولا النووي، ولا ابن الصلاح بغير ذلك أبداً.

وذهبت أنقّب في الكتب والمراجع الكبيرة، واتّهمت ذاكرتي وما درسناه على أشياخنا رضوان الله عليهم في مقدمة ابن الصلاح والتدريب والنخبة وشروحها، وقلت في نفسي (الذاكرة خؤون)، و (لعل هنالك في خفايا العلوم وثنايا الكتب ما قصّر عنه فهمي) وقلت لنفسي (وفوق كل ذي علم عليم) وذهبت، أطلب العلم ثانية، ويعلم الله أني لا أستنكف من طلب العلم والاستفادة ما حييت... وهذا شرف لي دونه كل شرف.

ولم أترك كتاباً قديماً ولا حديثاً ولا متناً ولا شرحاً ولا حاشية إلا نظرت فيه فلم أجد ما يؤيد ما ذهب إليه الباحث الفاضل من أن البلاغ من طرق التحمل وهو طريق تاسعة فوق الثمانية، لكني وجدت أن البلاغ حسبما شرحه هو (علامة من علامات التسميع)، كما ذكره الإمام السخاوي في فتح المغيث بصورة واضحة، ووجدتُ كذلك البلاغ من مباحث اصطلاحات الأداء ــ لا التحمل ــ تعبيراً عن الوجادة عند تأدية الحديث وليس عند تحمله، وكذلك هو أيضاً من اصطلاحات المحدثين في الحديث المعضَل، يقول معضِل الحديث (بلغني عن فلان).

قلت فأين هذا الذي نص عليه علماء الفن مما ذهب إليه الكاتب الفاضل؟ وهل يجوز أن نخترع نحن أو نزيد من عقولنا شيئاً على مصطلح الحديث الذي اصطلح عليه الجهابذة الأقدمون وفرغوا منه؟.

ولزيادة التأكيد على أمانة العلم فأنا سأسوق في هذه المقولة النصوص العلمية بين يدي القارئ الكريم من مصادرها مع العزْو الأمين ثم أتوصل إلى النتيجة العلمية الصحيحة، وسأجعل بين يدي البحث مدخلاً لغوياً يزيده وضوحاً إن شاء الله تعالى.

البلاغ .. في لغة العرب

١ ــ قال الفيروزآبادي في القاموس:



[البلاغ كسحاب ؛ الكفاية ، والاسم من الإبلاغ والتبليغ ؛ وهما الإيصال][1] .

٢ ــ وقال **ابن منظور** في لسان العرب : [بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً ؛ وصل وانتهى . . . وتبلّغ بالشيء : وصل إلى مراده ، والبلاغ ما يُتبلغ به ويُتوصّل إلى الشيء المطلوب . والبلاغ ، ما بلّغك ، والبلاغ الكفاية ، وبلّغت الرسالة ، والبلوغ ؛ الإبلاغ ، والإبلاغ ؛ الإيصال ، وكذلك التبليغ ، والاسم منه البلاغ][2] .

٣ ــ وقال **الزمخشري** في أساس البلاغة : [وبلّغتُ ببلاغ الله : بتبليغه . . . وتبلغ بالقليل اكتفى به][3] .

٤ ــ وقال **المطرزي** في المغْرب : [من بَلّغْتُ به المكان إذا بلّغته إياه][4] .

قلت : وعلى هذا يكون البلاغ مشتركاً لفظياً بين معنيين ؛ الأول منها : اسم مصدر من التبليغ بمعنى الإيصال والانتهاء إلى الشيء ، والثاني منها مصدر من تبلّغ بالشيء بمعنى اكتفى به بمعنى (البُلْغَة) ، وقد يأتي بمعنى الاقتراب من الوصول كما في التنزيل (فلولا إذا بلغت الروح الحلقوم)[5] .

عند علماء أصول الحديث

كل باحث في علم أصول الحديث يعلم أن مراجع هذا الفن على درجات متفاوتة ، فمنها الأصول ، ومنها الشروح والحواشي والمختصرات وهي الأمهات ، ومنها كتب تأتي في الدرجة الثالثة بعد ما تقدّم وهي كتب الدراسات .

فمن الأصول ؛ المحدّث الفاصل بين الراوي والسامع **للإمام الرامهرمزي** ، والكفاية في علوم الرواية **للخطيب البغدادي** ، وعلم الحديث **لابن الصلاح** المعروف (بالمقدّمة) ، ومعرفة علوم الحديث **للحاكم النيسابوري** ، والمدخل في أصول الحديث له أيضاً . . رحم الله هؤلاء الأئمة ورضي عنهم ونضّر وجوههم .

ومن الأمهات ؛ ما كان شرحاً لما تقدّم أو اختصاراً أو نظماً ؛ فمن ذلك ؛ محاسن الاصطلاح **للبلقيني** اختصر به مقدمة ابن الصلاح ، مع التهذيب والزيادة ، وكتاب الإرشاد للإمام **النووي** اختصر به كتاب ابن الصلاح ثم اختصر هذا الكتاب في كتابه (التقريب) ، وجاء **السيوطي** فكتب على التقريب هذا شرحاً حافلاً جامعاً لعلوم الحديث سماه (التدريب) ، ونظم **الإمام زين الدين العراقي** علوم الحديث لابن الصلاح في ألفيته مع زيادات نافعة وشرحها بشرحين مطول ومختصر ، وشرّح **الإمام السخاوي** ألفية العراقي في كتاب سماه (فتح المغيث في شرح ألفية الحديث) شرحاً وافياً ، وكذلك اختصر **الحافظ ابن كثير** مقدمة ابن الصلاح بكتابه (اختصار علوم الحديث) ، وكذلك فعل **الطيبي** في (الخلاصة في علم الحديث) ، **وعلاء الدين الماريديني** ، ونظم السيوطي كذلك مقدمة ابن الصلاح في ألفيته ، وشرح الحافظ العراقي المقدمة بشرح نفيس سماه (التقييد والإيضاح لما أطلق وأُغلق من كتاب ابن الصلاح) ، ويُسمّى أيضاً (النكت) ، وشرح المقدمة **البدر الزركشي ، والحافظ ابن حجر العسقلاني** في (الإفصاح على نكت ابن الصلاح) . ومن هذه الأمهات أيضاً ما جاء ملخصاً لعدة مسائل ومباحث من علوم الاصطلاح مثل (نُخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر) **للحافظ ابن حجر العسقلاني** وشرحها (نزهة النظر) للمصنِّف ، وعلى هذا الشرح حاشية نفيسة **للعدوي** اسمها (لقط الدرر) ، وحاشية للمنلا علي القاري .

ومن أبرز كتب الدرجة الثالثة ؛ المنظومة البيقونية وشروحها وأهم هذه الشروح (شرح **الشيخ محمد الزرقاني**) وعليه حاشية **للشيخ الأجهوري** ، وقصيدة غرامي صحيح وأحسن شروحها شرح **الشيخ عبد القادر الإسكندراني** الدمشقي المعاصر وشروح شيخ شيوخنا **الشيخ محمد بدر الدين الحسني** عليها ، وتوجيه النظر إلى أصول الأثر **للشيخ طاهر الجزائري الدمشقي** ، وقواعد في علوم الحديث **للتهانوي** ، وقواعد التحديث **للشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي** ، وشرح **الشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي** المعاصر على البيقونية[6] ، وهنالك أيضاً كتاب (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار) **للعلامة الأمير الصنعاني** رحمهم الله تعالى وأجزل ثوابهم جميعاً .

الأقاويل المنقولة

وإني سأختار من الأصول والأمهات التي ذكرت كتباً توفرت لديَّ في مكتبتي المتواضعة أنقل عنها ما ورد في شأن البلاغ لدى علماء هذا الفن .

(١) علوم الحديث للإمام ابن الصلاح (المقدمة) ؛ في النوع الحادي عشر (معرفة المعضَل) قال : [وذكر **أبو نصر السجزي الحافظ** قول الراوي **« بلغني »** نحو قول مالك (بلغني عن أبي هريرة أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** قال : للمملوك طعامه وكسوته . . . الحديث) ؛ وقال : أصحاب الحديث يسمونه المعضَل][7] ، قلت ومثل ذلك في كتاب (توجيه النظر إلى أصول الأثر) للشيخ طاهر الجزائري الدمشقي الذي هذّب مقدمة ابن الصلاح وزاد عليها زيادات ذات بال[8] .

(٢) **التدريب شرح التقريب للسيوطي** : في النوع الحادي عشر (المعضَل) ، ذكر أولا قريباً من كلام ابن الصلاح ثم قال : [فائدة : صنَّف ابن عبد البر كتاباً في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل ، قال : وجميع ما فيه من قوله (**بلغني**) ومن قوله : (عن الثقة) عنده مما لم يسنده ؛ أحد وستون حديثاً كلها مسنَدة من غير طريق مالك إلا أربعة لا تُعرف][9] ثم ذكر الأربعة .

وقال في النوع الخامس والعشرين (كتابة الحديث وضبطه ، وفيه مسائل) المسألة التاسعة ؛ (والكلام مزيج من متن التقريب للنووي وشرحه التدريب للسيوطي) .

[ينبغي في كتابة التسميع أن يكتب الطالب بعد البسملة اسم الشيخ المسمع ونسبته وكنيته ، قال الخطيب : وصورة ذلك حدثنا أبو فلان فلان بن فلان الفلاني ، قال حدثنا فلان ، ثم يسوق المسموع على لفظه ، ويكتب فوق البسملة أسماء السامعين وأنسابهم وتاريخ وقت السماع أو يكتبه في حاشية أول ورقة من الكتاب أو آخر الكتاب أو موضع آخر حيث لا يخفى منه ، والأول أحوط . **قال الخطيب** ، وإن كان السماع في مجالس عدة كتب عند انتهاء السماع في كل مجلس **علامة البلاغ**[10] . . .] .

(٣) **فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي** ؛ للحافظ السخاوي ، قال عند مبحث كتابة التسميع ؛ في شرح قول الحافظ العراقي ؛ (ويكتب اسم الشيخ بعد البسملة والسامعين قبلها مكمَّلة) (مؤرخاً أو جنبها بالطرة أو آخر الجزء وإلا ظهره) .

[وكذا يحسن تسمية المسموع إن كتب التسميع بمحل غير مسمَّى فيه خوفاً من انفراد الورقة فيصير الواقف عليها في حيرة ، وأن ينبِّه حيث كانت الكتابة بالأثناء على محلها أول المسموع ، فقد رأيت شيخنا يفعله فيقول مثلاً : « فرغه سماعاً فلان والطبقة بالمكان الفلاني » ويعلِّم بالهوامش عند انتهاء كل مجلس بأن يقول مثلاً : « **بلغ السماع في الأول على فلان** » لأجل من يفوته بعضها أو يسمع بعضها][11] .

(٤) **الزرقاني على البيقونية** ؛ قال في النوع التاسع عشر من أقسام الحديث (المعضَل) .

[قال العراقي : وقد مثل أبو نصر السجزي المعضل بقول مالك **بلغني** عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (للمملوك طعامه وكسوته . . .)][12] .

(٥) **قواعد في علوم الحديث للتهانوي الهندي** ؛ قال :

[قلت : ويدخل في هذا الفصل **البلاغ** أيضاً ، **فبلاغات الثقات** من القرون الثلاثة مقبولة عندنا مطلقاً ، كالإمام مالك وأبي حنيفة والشافعي ومحمد بن الحسن وأبي يوسف وأمثالهم ، وبلاغات مَن دون هؤلاء إن كان يرويها الثقات كما رووا مسندة كالبخاري وأحمد وغيرهما فالقبول اتفاقاً إذا كان بصيغة الجزم ، وإن كان يُرسل عن الثقات وغيرهم فلا يُقبَل اتفاقاً ، على أنهم قد ذكروا كما في (رد المحتار) وغيره ، أن بلاغات محمد مسنَدة[13] ، كذا في التعليق الممَجَّد ، وقال محمد بن عبد الباقي الزرقاني في (شرح الموطأ) إنَّ بلاغ مالك ليس من الضعيف ، لأنه تُتبِّع كلُّه فوُجد مسنَد من غير طريقه][14] .

(٦) **منهج النقد في علوم الحديث : للدكتور العتر** ؛ قال في شأن العبارة عن **الوجادة** : [وله أن يقول : « قال فلان » وكذا « ذكر فلان » و « **بلغني عن فلان** »][15] .

تصنيف البلاغ

بعد هذه الجولة المباركة في رياض علوم الحديث ، وحدائقها الغنَّ وجدتُني بحاجة إلى توقف أصنِّف فيه ما قرأت لك من هذه النصوص في شأن البلاغ عند علماء الفن : فأقول وبالله التوفيق :

اصطلح علماء علوم الرواية من علوم الحديث على أن يريدوا بكلمة البلاغ أحد معانٍ ثلاثة :

★ **الأول** : اصطلاح من اصطلاحات الأداء لمن تحمَّل بالوجادة ، وجَمْعُه **بلاغات** .

★ **والثاني** : علامة من علامات كتابة الحديث ويعبرون عنها عادة **بعلامة البلاغ** .

★ **والثالث** : أن يكون اصطلاحاً من اصطلاحات التعبير عن الحديث المعضَل الذي سقط منه اثنان على التوالي .

فالأول لا يأتي مستقلاً في الأغلب بل مضافاً إلى من عُزِي إليه فتقول مثلاً : (بلاغات مالك في الموطأ ، بلاغات محمد بن الحسن في روايته عن مالك ، بلاغات أحمد في المسنَد . . . إلخ) . فالبلاغات هنا هي إشارة إلى الأحاديث التي رواها الإمام المذكور بالوجادة عندما يؤديها لتلاميذه أو يكتبها في مصنَّفاته ، فليست هي الوجادة ، بل هي من اصطلاحات أداء الوجادة مثل (ذكر فلان) ، و (قال فلان) ، و (وجدتُ في كتب فلان) إلا أنها تلميح وليست بتصريح ، وندر أن يُقال لدى علماء هذا الفن (بلاغات) فقط دون إضافتها إلى أصحابها .

وأما الاصطلاح الثاني ، فهو لا يعدو أن يكون علامة من علامات كتابة الحديث ، وضبط مجلس الحديث وهو ما يُسمّى بـ (**التسميع**) وذلك أن الطالب لفن الحديث كما ذكره السخاوي في فتح المغيث والسيوطي في التدريب نقلاً عن الخطيب البغدادي ونوّه به من نقلت عنهم آنفاً : إذا انتهى مجلس التحديث يأمره شيخه أن يكتب التسميع فيكتب على حاشية نسخته اسم شيخه ولقبه وكنيته وأسماء الحاضرين والقابهم ، وهو ما يُسمّى أيضاً بالطبقة أو الطباق ، ثم يكتب في نهاية ذلك اسمه ولقبه ، ويختم ذلك كله بكتابة علامة البلاغ أي لفظ (بلغ) مع تاريخه حتى يُعرف في قادمات الأيام من حضر كل الكتاب ومن حضر قسماً منه على الشيخ كي لا يدّعي من لم يحضر أنه حضر أو يُحرم من حضر من ثمرات الحضور ، ويكتب الشيخ تحت ذلك كله شهادته وتوقيعه غالباً مثل (صح) أو (صحيح) ، و (كتب فلان بن فلان خادم الحديث الشريف) . فالبلاغ هنا اصطلاح من اصطلاحات التسميع يُعرف به حدود الدرس الماضي والدرس الجديد ومن حضر في المجلس السابق ، ويُسمّى التسميع (سماعاً) ويُجمع على (سماعات) ، أما قول بعض المحدثين (قرأ عليّ البلاغ) أي [كتب تلميذي فلان التسميع وقرأه عليّ مثلما كتبه على نسخته في الحاشية أي الجانب الأيمن والأيسر من فراغات النسخة ، فأقررت ما فيه من أسماء الأشخاص وألقابهم وعلامة البلاغ وتاريخها مثلما قرأها عليّ وأنا أشهد على ذلك] .

وربما أراد الشيخ من ذلك كله **علامة البلاغ** فقال : (قرأ عليّ البلاغ) أي العلامة التي تشير إلى حدود الدرس السابق بلفظ (بلغ) ، ويكون مع تاريخه غالباً .

وأما الاصطلاح الثالث بأن يكون البلاغ تعبيراً عن الحديث المعضل كما ذكر الحافظ ابن الصلاح ومن مشى معه فليس مما ذكر الكاتب في شيء ولا علاقة له بما قال .

وأما أن يُراد بالبلاغ إضافة طريق من طرق التحمل جديد[16] إلى الطرق الثمانية المعروفة ، فلم يقل به أحد من علماء الفن القدامى ولا المعاصرين والله تعالى أعلم .

وبعدُ ، فأُحب أن ألفت نظر الإخوة الباحثين إلى الدقة في البحث العلمي والكتابة فيه لا سيما في علوم الحديث ، ولعل في هذا المثال تذكرة في ذلك ، كي نتجنّب التسرُّع ، ونسأل أهل الذكر والتخصص إذا أشكل علينا الأمر ، قال تعالى ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ (سورة النحل ، الآية ٤٣) ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

مصادر البحث

- الأجهوري (عطية) . حاشية على شرح الزرقاني على البيقونية .
- البلقيني (سراج الدين عمر) محاسن الاصطلاح ، بهامش مقدمة ابن الصلاح بتحقيق د . بنت الشاطئ .
- التهانوي (ظفر أحمد) . قواعد في أصول الحديث تعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة .
- ابن عابدين (محمد أمين) . حاشية رد المحتار على الدر المختار ، ط بولاق سنة ١٢٧٢ هـ .
- الجزائري (طاهر) توجيه النظر إلى أصول الأثر .
- الزرقاني (محمد) . شرح البيقونية .
- السخاوي (شمس الدين محمد) . فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي .
- سراج الدين (عبد الله) . شرح البيقونية .
- السيوطي (عبد الرحمن) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي
- الزمخشري (محمود) : أساس البلاغة .
- ابن الصلاح (تقي الدين أبو عمرو) علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) ، تحقيق د . نور الدين العتر ، ط المكتبي .
- العتر (د . نور الدين) : منهج النقد في علوم الحديث ، ط ٣ ، ومعجم المصطلحات الحديثة .
- العراقي (الحافظ) : ألفية الحديث (التبصرة والتذكرة) .
- الفيروزابادي (محمد بن يعقوب) القاموس المحيط
- ابن منظور (ابن المكرّم) لسان العرب
- المطرزي (ناصر الدين) المغرب في ترتيب المعرب ، ت فاخوري ومختار
- النووي (يحيى بن زكريا) التقريب والتيسير
- مجلة « الفيصل » .

الحواشي

(١) القاموس المحيط ، جـ ٣ ، ص ١٠٣ ، في مادة (ب ل غ) باب الغين فصل الباء .

(٢) لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٤١٩ وما بعدها

(٣) أساس البلاغة ، ص ٢٩ .

(٤) المغرب في ترتيب المعرب ، جـ ١ ، ص ٨٥ .

(٥) القاموس الفقهي ، ص ٤٦ .

(٦) قلت وقد تطفلت على موائد الكرام فنظمت منظومة وسط في مائة وتسعة أبيات في علوم الاصطلاح سميتها (فتح الفتاح ونثر النرجس الفوائح في علوم الاصطلاح) ، أرجو الله تعالى أن يقيض له من أبنائي البررة من طلبة العلم من يشرحها . وهنالك كتاب قيّم في هذا الباب صدر حديثاً للزميل الدكتور نور الدين العتر هو (منهج النقد في علوم الحديث) .

(٧) مقدمة ابن الصلاح بتحقيق د . نور الدين العتر ، ص ص ٥٤ و ٥٥ .

(٨) ر . توجيه النظر ، ص ١٦٨ ، و ١٦٩ ، و ١٧٠ ، ط المكتبي في المدينة المنورة .

(٩) التدريب ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ وما بعدها

(١٠) التدريب ، جـ ٢ ، ص ٨٩ ، طبعة دار الكتب الحديثة تحقيق الشيخ الفاضل عبد الوهاب عبد اللطيف .

(١١) فتح المغيث ، جـ ٢ ، ص ص ١٩٤ و ١٩٥ ، الطبعة الثانية في المطبعة السلفية بالمدينة المنورة .

(١٢) الزرقاني على البيقونية بحاشية الأجهوري ، ص ٥٤ وما بعدها ، ومثله في شرح البيقونية للشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي المعاصر ، ص ٨٦ وما بعدها .

(١٣) ر . رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) ، للعلامة ابن عابدين ، جـ ٢ ، ص ٥٧٦

(١٤) قواعد في علوم الحديث للتهانوي ، ص ١٦٣ وما بعدها .

(١٥) منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين العتر ، ص ٢٢٦ ، ط ٣ ، قلت : وفي معجم المصطلحات الحديثة تصنيف الزميل الدكتور العتر في ص ٢٢ (حرف الباء) ، ما يلي : [(بلغني عن فلان) الرقم المتمم (24 ن) علوم الحديث (158) ، في التقريب والتدريب (62, 63/2) ، وفي منهج النقد (ن 43 ,226)] اهـ

(١٦) مجلة « الفيصل » العدد (٧٦) ، ص ١٥٠ ، تحت عنوان (منهج المحدثين) .



رحلة في كتاب: أسلمة المعرفة

بقلم: د. إسماعيل راجي الفاروقي

عرض: محمد فكري أنور

أن يصدر كتاب جديد يحمل مرئيات محددة ومدروسة لمشكلة ما، فهو أمر طيب يستأهل الاهتمام. وأن نختلف مع بعض ما يقول به الكاتب من آراء، فتلك ظاهرة حيوية.. تقوم على أصالة اعتقادنا بما نحمل من أفكار. فلا ننزلق إلى هوّة التعصب، التي تصدنا عن قراءة الجديد وفهمه، حتى ولو اختلفنا حول بعض جزئياته.

ولكن عندما يحمل كاتب مسلم ـ من بلاد السند المسلمة ـ قلمه كالسيف.. شاهراً إياه في وجه الجهل والفقر والمرض، ثم ضارباً ـ بالسيف أيضاً ـ في تلك المساحة المتخدرة من فكر بعض المسلمين حول ماضي الاحتلال وحاضر التخلف، فهذا هو ما يستوجب منا التحية والتقدير، حتى بفرض اختلافنا معه في شيء من مبالغاته أو لو أشحنا بالنظر بعيداً عن بعض الصور القاتمة التي يعرضها علينا.

فإنه يبقى في النهاية أن إنساناً مسلماً قرأ ودرس ووعى وفهم، ثم فكر وكتب، فجاءت كلماته سيوفاً باترة أحياناً، وظلالا قاتمة أحياناً أخرى، وأفكاراً استراتيجية مستقبلية الرؤية في أغلب الأحيان، وهذا هو ما فعله الأستاذ إسماعيل راجي الفاروقي، مدير المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، في كتابه «أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل» الذي نعرض له اليوم.

شهد النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة صحوة كبرى شملت معظم أرجاء الأمة الإسلامية.. صحوة استعادت بها الأمة وعيها بذاتها، فبدأت حركتها التاريخية للتحرر من ربقة الاستعمار، وسطوة السيادة والتدخل الأجنبيين في شؤونها.

وبرغم هذه الصحوة، فقد شهدت الأمة الإسلامية ـ في نفس الحقبة ـ ظاهرة سلبية تمثلت خطورتها في تهافت المسلمين على **تقليد الحضارات** غير الإسلامية، ومع أن هذه السلبية لم تؤت ثماراً إيجابية ملموسة من ما تمثله وتجسده تلك الحضارات من تقدم علمي أو ارتفاع في نسبة التعليم الإلزامي أو الرعاية الصحية أو التقدم الصناعي والتجاري والاجتماعي عموماً، فإنها تمخضت ـ على العكس ـ عن ابتعاد قاعدة كبيرة من المسلمين عن القواعد الراسخة للمجتمع الإسلامي الأصيل، كما تمثلت في ضعف معنويات قطاع آخر كبير من أبناء الأمة. ومن ثم توارت الصورة الإسلامية وراء ضبابية كثيفة هي تلك الرؤية الغربية التي جلبها إلينا الغزاة المستعمرون.

أما الآن، وبعد رحيل الاستعمار عن أغلب بقاع العالم الإسلامي، فإن هذه البقاع ذاتها لم تستطع التحرر من ربقة تلك التأثيرات الأخلاقية والاجتماعية؛ فعجزت في العودة بسلام إلى قواعدها الإسلامية الصحيحة. تجسد ذلك مثلاً: في الكليات والمعاهد المستوردة من الغرب، وانتشار تعلم واستخدام اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وانتهاجهم الخطوط المعمارية الغربية في مكاتبهم وبيوتهم ومدنهم وبرامجهم الترفيهية، وفي الأحزاب السياسية والاقتصادية التي ينتمون إليها، بل وفي آرائهم الذاتية حول الحقيقة، والطبيعة، والإنسان، والمجتمع الذي ينتسبون إليه. وهكذا أصبح هناك ما يسمى بالمدارس «الحديثة»، والمدارس «الإسلامية».

هذا، ويستشهد المؤلف بتجربتين رائدتين حاول المسلمون من خلالها إصلاح نظام التعليم الإسلامي، وذلك من خلال محاولات كل من **السيد أحمد خان والشيخ محمد عبده**، وأثمرت عن تحويل **الأزهر**



أسلمة المعرفة

ـ أعظم قلاع التعليم الإسلامي ـ إلى جامعة حديثة في عام ١٩٦١م .

لقد اعتمدت هذه الجهود ، وجهود ملايين المسلمين ، على افتراض أن المواد الحديثة ليست شيئاً ضاراً بالضرورة ، بل هي تدعم المسلمين وتشد أزرهم ، غير أن حصادهم كان شحيحاً في مجالات الدراسات الإنسانية ، والعلوم الاجتماعية والطبيعية ، وأفكارهم عن الحقيقة والحياة والكون والتاريخ . وبنفس القياس ، فقد كانت معلوماتهم متواضعة حول العلاقة الدقيقة والهامة التي تربط بين المناهج الدراسية التي تعالج تلك المبادئ ، والأفكار الخاصة بالحقيقة والمعرفة ، وبين نظام القيمة في العالم غير الإسلامي . ولهذه الأسباب لم تؤت جهودهم الثمار المرجوة . فمن ناحية ، ظل نظام التعليم كما هو لم تمسه يد التغيير ، ومن ناحية أخرى لم يؤد التعليم المستحدث إلى إبراز أي تفوق يمكن قياسه بما تحقق في البلاد الغربية الأم .

ثم ينتقل الكاتب إلى القول بما نصه : « إن الشيء الوحيد الذي يُعرف عن العالم الإسلامي هو معاناته من المشكلات الداخلية ، والتجزئة ، والاضطرابات ، والتناقضات . وإن الحروب التي « يخوضها » إنما تهدد سلام البشرية . وهو معروف كذلك بإفراطه في الثراء والفقر ، والمجاعة ، ووباء الكوليرا » .

ولئن كان الماضي القريب « لبعض » بلدان العالم الإسلامي يعترف « بجزء » مما ورد في ما ينقله الكاتب من تصور للغرب عنه ، فإن ذلك الماضي القريب « لمعظم » بلدان العالم الإسلامي ، والواقع المعاش الآن ، والغد الواعد ترفض الكثير من هذا « التشخيص » القاتم الظلال ، سواء بالنسبة للماضي القريب أو الحاضر المعاش أو المستقبل المرتقب .

وإذا كانت هذه العجالة لا تتسع لمناقشة قضية شاسعة المساحة كهذه ، فإننا نوجز رأينا في **أن ما تم تنفيذه فعلاً من خطط التنمية في معظم أرجاء العالم الإسلامي ، وما هو في حكم التنفيذ منها ، وما تخططه سواعد المسلمين الشابة وعقولهم المستنيرة وإمكاناتهم على اختلاف أحجامها ... كل ذلك يجعلنا نتفاءل موقنين بأن المسلمين قد عرفوا طريقهم ، في كافة المجالات** ، وبأنهم ـ بالفعل ـ قد بدأوا خطواتهم الواثقة تلك على طريق هم أول من يعرفون بأنه يلتحف حمماً من المصاعب والعذابات التي تنشرها الصهيونية والإمبريالية في طريقهم لتعطيل تقدمهم .

المشكلة وطرق الحل

يمنهج الكاتب موضوعه وفقاً لعدد من النقاط ، ويفرد لكل منها واحداً من فصول الكتاب الأربعة وهي :

أولا : المشكلة .
ثانياً : خطة العمل .
ثالثاً : المنهاج .
رابعاً : الخطوات العملية .

أما **المشكلة** فيحددها الكاتب ـ حسب مرئياته ـ من عدة زوايا نعرض منها ما يلي :

١ ـ **مرض الأمة** : وقد أوردنا تشخيصه له في صدر عرضنا للكتاب .

٢ ـ **التأثيرات الجوهرية لمرض الأمة** : والتي يرى الكاتب أنها تمثل مكامن الداء في جسد الأمة :

فعلى **الجبهة السياسية** ، زرع الاستعمار بذور الفرقة والانقسام بين أقطار الأمة الإسلامية . ففي البداية قسمها إلى دول ودويلات اختلق فيما بينها حدوداً هي ـ في واقعها ـ ألغام تنذر بالانفجار بين الحين والآخر . ثم إنه ـ أي الاستعمار ـ زرع داخل تلك الدول وهاتيك الدويلات توزيعات سكانية ، وتصنيفات ، وعقائد ، واتجاهات سياسية واقتصادية متضاربة تعمل جميعها على تكريس الفرقة والانقسام ، ومن ثم تؤدي ـ هي الأخرى ـ وظيفتها كألغام جاهزة للانفجار في أي وقت . وبالإضافة إلى هذه وتلك ، فقد عمد الاستعمار ـ إبان استعداده للرحيل ـ إلى استحداث أحزاب سياسية تتبنى مصالحه ، وتكون مفوضه غير المعلن ، وتحمل واجهات الوطنية وتتشدق بشعاراتها . وفي المساحة التي لا تستطيع ظلال تلك الأحزاب الوصول إليها ، فقد تبنى الاستعمار ـ وبنفس الدوافع ـ بعضاً من قادة الجيوش التي تظل متحفزة إلى فرصة تقتنص بها السلطة على أراضيها وتحكم من خلالها المسلمين بقوة السلاح ، دون أن تتوفر لديهم رؤية محددة لماهية الهياكل السياسية القادرة على إدارة الحكومة ، أو تهيئة الجماهير للمقاومة ، أو قيادتهم إلى العمل السياسي البنَّاء ، أو ـ ببساطة ـ امتلاك ذلك القدر من التفاهم الذي يستطيعون به التعامل بشيء من الألفة مع أية حكومة عسكرية مشابهة في أية دولة إسلامية أخرى .

بهذه الطريقة يتفرق المسلمون أشتاتاً في الأرض وتتبعثر تطلعاتهم بعيداً عن السعي إلى البناء ، متجهة ـ كما القوة الآلية الموجهة ـ إلى شن



★ الشيخ محمد عبده ★

الحروب العقيمة ، أو أداء دورها كقواعد لخدمة الاستعمار إذا ما فكر في إعادة احتلال البلاد مرة أخرى أو تسييرها في فلكه لتحقيق مصالحه الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية .

وعلى **الجبهة الاقتصادية** ، تعاني الأمة من انتشار التخلف والأمية في معظم أرجائها ، إلى جانب قصور إنتاجها من السلع والخدمات عن الوفاء باحتياجات المسلمين . وليت الأمر اقتصر على ذلك ، بل إنه امتد إلى احتياجات الحياة الاستراتيجية ، والمواد الغذائية ، والكساء ، والطاقة ، والصناعات المعدنية . وطبيعي أن تكون هذه هي ثمرات البذور التي زرعها الاستعمار في تربة الأمة الإسلامية .

وعلى **جبهة الثقافة الدينية** ، أدت فترات التخلف إلى انتشار الأمية والفقر والانحلال الخلقي . ولقد جاهد الاستعمار الغربي لتكريس **« تغريب »** الوجدان والسلوك الاجتماعي والفردي لدى أبناء الأمة الإسلامية ، وذلك بأن زرع في الناس مظاهر العلاقة بين الإنتاجية والطاقة الغربيتين وبين آراء الغرب حول الله والإنسان والحياة الطبيعية والعالم والزمن والتاريخ . . ومما يجب الاعتراف به ـ وبأسف ـ أن الاستعمار كان بارعاً في تكريس تلك الأمور بحيث لم يستطع أبناء الأمة الإسلامية اكتشافه إلا بعد مرور ردح من الزمن . على أن الأمر لم يقتصر على ذلك ، بل إن عملاء الاستعمار ـ بين أفراد الأمة الإسلامية ـ أخضعوا كل شيء في العالم الإسلامي إلى النقد ، والهجوم أحياناً . ومن بين ما تعرَّض لحملات النقد الهدام تلك ، كانت وحدة النص القرآني الشريف ، وعبقرية **الرسول (صلى الله عليه وسلم)** ، وعظمة السنة الشريفة ، وكمال الشريعة الغراء ، وأمجاد المسلمين في مجالي الثقافة والحضارة .

ووصولا إلى تحقيق هذه الأهداف الدنيئة ، أصبحت الجرائد والكتب والمجلات والإذاعة والتلفاز والسينما والمسرح والمسجلات وأشرطة الكاسيت وإعلانات الشوارع وواجهات النيون بمثابة أدوات تعمق زوايا الاستعمار في تعتيم رؤية المسلمين ومحاولة البلوغ بهم ـ حاشا لله ـ إلى الضلال عن الطريق .

● ثانياً ـ خطة العمل : وهنا نجد **اللبنة الأولى في صرح إسلامية المعرفة** ، وتنقسم إلى :

ـ إصلاح نظام التعليم :

يجب أن يكون لنظام التعليم رسالة ، وهذه الرسالة لا يمكن أن تنأى عن التسلح بالرؤية الإسلامية التي يتوجب علينا إزاءها التحصن بالرغبة والإصرار على تحقيقها في زمان ومكان محددين . ومن ثم يتحتم على الأمة الإسلامية إنفاق أموال طائلة على التعليم ، وباعتمادات مالية تزيد عن ما يُرصد له حالياً . وهذا يضمن لنا اجتذاب أفضل العقول المسلمة التي تستطيع المساعدة في الحفاظ على تلك النعمة الكبرى التي أسبغها الله تعالى على المسلمين بوصفه إياهم بأنهم **« أهل العلم »** و **« الراسخون في العلم »** .

وطبيعي أن تتوخى هذه المناهج الدراسية تحقيق الوحدة الغائبة بين كل من **« التعليم الدنيوي والعلم الديني الإسلامي »** ، وبشرط أن **يستهدف ذلك « التوحيد » الحد قدر الإمكان من السلبيات المحتملة ، التي يجسدها ـ في النظام التقليدي ـ تلك الكتب المدرسية الركيكة ، والمدرسون محدودو الخبرة ، ومثالية النماذج الدنيوية** .

ب ـ إدخال الرؤية الإسلامية :

وهي تعني صهر تدريس المواد الدينية والمواد الدنيوية في بوتقة واحدة . وذلك يتحقق بالإجراءات التالية :

١ ـ **التدريس الإجباري للحضارة الإسلامية** ، ومن خلاله تُفرض على الشاب المسلم دراسة مستفيضة لعلوم الدين والأخلاق والقانون والتاريخ والثقافة الإسلامية أياً كان تخصصه ، نظرياً كان أو عملياً ، وبهذه الطريقة وحدها نستطيع تحصين الأجيال الجديدة من أبناء الأمة في مواجهة الغزو الفكري الأجنبي الذي يتمثل فيما عرضنا من أفكار



ومبادئ وتقاليد يقوم الغرب بتصديرها إلى الأمة الإسلامية بطرق وأساليب شتى .

٢ ــ **أسلمة المعرفة الحديثة** ، وهي أكثر الإنجازات فعالية ونبلاً ، **وأسلمة المعرفة هي إعادة تحديد ، وإعادة تنظيم الحقائق والمعلومات ، وإعادة تقييم النتائج ، وإعادة تحديد الأهداف** . ولبلوغ هدف عظيم كهذا **يجب إحلال وحدة الحقيقة ، ووحدة المعرفة ، ووحدة الإنسانية ، ووحدة الحياة ، وإدراك كنه الخلق ، وتسخير المخلوقات للإنسان ، وخضوع الإنسان للخالق سبحانه وتعالى** . كل ذلك يجب أن يحل محل الشعارات والأفكار الغربية وأن يحدد مفهوم الحقيقة وكيفية التعامل معها .

● **ثالثاً ــ المنهاج :** في البداية يحدد الكاتب مواطن الضعف في المنهاج التقليدي للدراسات الإسلامية في رؤوس موضوعات نوجز منها :

●● **الفقه والفقهاء ، أو الاجتهاد والمجتهدين** .. قائلاً إن الفقهاء الأوائل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعين وتابعيهم ، كانوا على دراية تامة بكافة الجوانب ذات الصلة والتأثير في حياة المسلمين .

●● **تعارض فكرة الوحي مع العقل** .. والتي تعتبر من أكثر الجوانب مأساوية في التاريخ الفكري للأمة . وهو يُرجع تلك السلبية إلى تأثر المسلمين بترجمات الفلسفة الإغريقية ، إلى جانب ما حمله المسيحيون واليهود ــ الذين دخلوا في الإسلام ــ معهم من أفكار .

●● **فصل الفكر عن الفعل** .. فحيث كان القائد الإسلامي ــ في عصور الإسلام المبكرة ــ هو المفكر ، والمفكر هو القائد ... **وحيث كان الفقيه هو الإمام والمجتهد والقارئ والمحدث والمدرّس والمتكلم والقائد السياسي والقائد العسكري والفلاح ورجل الأعمال والحرفي** ، في آن واحد ، فقد استبدل هذا الأنموذج الشمولي لشخصية الإنسان المسلم بذلك الموقف الذي يبدو المسلم فيه وكأنه قد فقد التوازن بين القيم الخاصة والقيم العامة .

●● **ازدواجية الثقافة والدين** .. ويتمثل في الاعتقاد الذي سرى في الأمة ــ سريان النار في الهشيم ــ ومؤداه أن أمام الإنسان طريقين هو مطالب بالسعي في كل منهما على انفراد : طريق الدنيا وطريق الآخرة . وهذا وهم خاطئ ، لأن على الأمة أن تربي أجيالها على السير في الصراط المستقيم الذي تقننه الشريعة السمحاء وتفسره السنّة الشريفة ، ثم يضع حلولا لمواطن الضعف هذه ، منها :

ــ وحدة الخلق .
ــ وحدة الحياة .
ــ وحدة البشرية .

وكلها تعتبر ردوداً عملية لمواجهة مواطن الضعف التي أشار إليها الكاتب من قبل .

● **رابعاً ــ خطة العمل** : وهي التي تنشد تحقيق الأهداف السامية التالية :

١ ــ الإلمام التام بالعلوم الحديثة .
٢ ــ الوعي المتكامل بالتراث الإسلامي .
٣ ــ تحديد نسبة ملموسة للدراسات الإسلامية في كافة مجالات المعرفة الحديثة .
٤ ــ البحث عن السبل الكفيلة بتحقيق التوافق البنّاء بين كل من التراث والمعرفة الحديثة .
٥ ــ وضع الفكر الإسلامي على الطريق الذي يصل به إلى تنفيذ التكليفات التي تحددها المشيئة الإلهية .

ولتحقيق هذه الأهداف يتوجب علينا اتخاذ عدد من الخطوات التي يحدد تسلسلها المنطقي أولويات ومدى أهمية كل منها .

★ **الخطوة الأولى** : **الاعتراف بريادة النظام الحديث** ، ثم تجزئته إلى مقولات ومبادئ ومناهج ومشكلات وموضوعات للنقاش . وهذه التجزئة سوف تتحول ، بدورها ، إلى « جدول محتويات » يمنح الكتاب المدرسي التقليدي ، محوّلا إياه إلى منهاج نظامي يستطيع تبويب المناهج الدراسية للطلاب . على أن هذه التجزئة لا بد وأن يستهدف بها تفسير المقولات والمبادئ والمشكلات والقضايا المعاشة .

★ **الخطوة الثانية** : **المسح النظامي** ، وهو إجراء عملية مسح لجميع النظم المطلوب التعامل معها وكتابة مقالات مستفيضة عن خطوطها العريضة ، ونوعية كل منها ، وتطورها التاريخي والمنهجي ، واتساع الرؤية أمامها ، والمجالات الرئيسية التي يمكن من خلالها الاستفادة بها . وحيث إن النظم قد أصبحت ، في الغرب ، مجالات مترامية الأطراف هذه الأيام نتيجة لانفجار المعرفة ، فمن الضرورة أن يتعلم الطلاب المسلمون ــ المتعاملون مع هذه النظم ــ كيف يستطيعون التلاحم مع قاعدتها

الأساسية، والاتفاق – فيما بينهم – على هوية وتاريخ وطوبوغرافيا، وحدود جهودهم صوب إسلامية المعرفة.

★ الخطوة الثالثة: **سيادة التراث الإسلامي (المختارات)**، ويقصد بها أن يكون التراث الإسلامي هو المنبع الأصيل الذي تستقي منه رؤانا الفكرية تجاه النظم التعليمية، خصوصاً وأن لأسلافنا العظام جهودهم الرائدة في هذا المجال. **وإذا نحن لم نعتمد تراثنا الإسلامي رائداً وهادياً لنا في جهودنا الساعية إلى أسلمة المعرفة فإن جهودنا ستظل أوهن من أن تثمر شيئاً ذا بال.**

إننا لا نستطيع تجاهل أن الدارسين المعاصرين يصادفون كثيراً من الصعوبات في هذا المجال نظراً لاختلاف المصطلحات المعاصرة عن تلك التي كان الأسلاف يستخدمونها، ولأنهم قد نشأوا وتعلموا عدم الارتكان كثيراً إلى تراثهم العريق، وبأنه ليس على تلك الدرجة من التصنيف والاعتيادية التي يتعذر في غيابها التعامل معه.

ولتجاوز هذه العقبات يجب، على سبيل المثال، **إعداد طبعات جديدة لعدد من القراءات – أو المختارات – التي تنتخب ما ورد بكتب التراث حول موضوع المناهج الدراسية والتي يستطيع** الباحث المعاصر الاعتماد عليها في تخصصه العلمي.

★ الخطوة الرابعة: **سيادة التراث الإسلامي (التحليل)**:
لا جدال في أن «المختارات» المقترح استخراجها من كتب التراث تعرض للمشكلات وفقاً لما كان متوفراً لكل منهم من رؤية إمكانات وفرص متاحة. ومن ثم يجب علينا القيام بتحليل تلك المختارات – من وجهة نظر معاصرة – وأن نتعلم منها **كيف توصل أسلافنا إلى تلك الأفكار، وكيف كان تحركهم عند تنفيذها، وكيف قاموا بترجمتها ومواءمتها لظروفهم الاجتماعية الخاصة – حالة كونها منقولة عن أصول فارسية أو إغريقية –، وكيف كان استخدامهم لها في إيجاد حلول للمشكلات التعليمية التي صادفتهم**. وعلى هذا الأساس يستطيع الأساتذة المسلمون الاستفادة من تراثهم العريق هذا في وضع الأسس الرئيسية للتعلم وتحديد المشكلات الجوهرية والموضوعات ذات الصبغة الاستمرارية التي يتحتم أن تكون هدف التعلم واستراتيجية البحث الإسلاميين المعاصرين.

★ الخطوة الخامسة: **التقييم النقدي للنظام الحديث** (حالة الفن والأدب):

بعد تناول كل من التراث الإسلامي والنظام الحديث، والتعرف على منهجية، ومبادئ، وقضايا، ومشكلات، وإنجازات، ومسح وتحليل كل منها، يحين الوقت لكي نخضع كلاً منها لعملية التحليل النقدي من وجهة النظر الإسلامية. ولكي نستبين طريقنا في عملية التحليل هذه، فإنه يلزمنا الحصول على إجابات للأسئلة التالية، فيما يتعلق بالنظام الذي يتراءى لنا الأخذ به، وصولا إلى **تحقيق إسلامية المعرفة**:

– هل يحقق النظام المقترح الرؤية التي يتطلع بها واضعه إلى أسلمة المعرفة؟

– هل يقوم بدوره في القضية الأساسية للبحث عن المعرفة، وهي تلبية احتياجات الإنسان؟

– أتراه يفي بالتوقعات المستقبلة للإنسان من حيث كونه جزءً من القضية الأساسية للإنسان المسلم؟

– هل يحقق آمال الإنسان فيه باعتباره جزءً من القضية الإنسانية العامة؟

وعلى أساس ما يتوفر لدينا من إجابات عن هذه الأسئلة نستطيع تحديد النقاط التي تحتاج إلى تصحيح أو تعديل أو إضافة أو حذف من وجهة النظر الإسلامية.

★ الخطوة السادسة: **حصر المشكلات الجوهرية للأمة**:

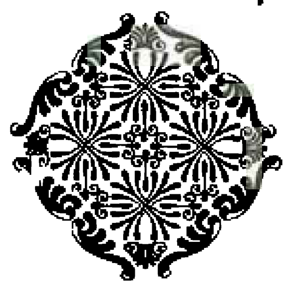
وهو تركيز الاهتمام على المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية والأخلاقية والروحية للأمة الإسلامية، وهو نضال إنساني وإسلامي لا بد من التصدي للنهوض به وبأرائه على أحسن ما يكون الأداء.

وبعد ذلك يضيف الأستاذ إسماعيل راجي الفاروقي، مدير المعهد الدولي للفكر الإسلامي بواشنطن عدداً من الخطوات نوجزها فيما يلي:

– حصر مشكلات الجنس البشري.

– إعادة النظر إلى المبادئ والأفكار والمقولات عامة في إطار العقيدة الإسلامية.

– نشر المعرفة الإسلامية.



مطالعات في الكتب

المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة

إعداد وتحقيق: **وليد الجعفري** ✪ عرض وتحليل: **عيسى الجراجرة**

كان من أبرز البنود الإيجابية في مبادرة الرئيس الأميركي رونالد ريغان الجديدة النص على أن واحداً من أسس ومبادئ حل النزاع العربي الإسرائيلي وقضيته المركزية - قضية فلسطين - هو تجميد الاستيطان، وإيقاف عمليات بناء المستوطنات الإسرائيلية في فلسطين والأراضي العربية المحتلة. ولما كان كتاب «المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة» يقدم إحاطة مناسبة، ويلقي أضواء كاشفة على الاستيطان الإسرائيلي، وعمليات بناء المستوطنات في فلسطين والأراضي العربية المحتلة، كوسيلة لتهويد الأراضي العربية أرضاً وسكاناً وسوقاً ووسائل إنتاج، لذلك رأيت أن أقدم عرضاً وتحليلاً لهذا الكتاب، لجلاء بعض جوانب هذه القضية الحيوية للقراء.

مؤلف الكتاب

الكتاب من إعداد وتحقيق السيد **وليد الجعفري**، أما الناشر فهي **مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت**. وهي مؤسسة عربية مستقلة، تأسست عام ١٩٦٣ م، غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني.

والمعروف أن ليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة عربية لا تتوخى الربح التجاري. وتعبّر الدراسات التي تصدر عن هذه المؤسسة في العادة عن قناعات مؤلفيها من غير أن تعكس بالضرورة حكم المؤسسة أو وجهة نظرها.

محتويات الكتاب

نظرية الاستيطان وتطورها: يتصدر الكتاب «تقديم» بقلم الأستاذ **إلياس شوفاني**، فيه خلاصة قيّمة لفكرة الاستيطان، وهي الفكرة المركزية في العمل الصهيوني لتهويد فلسطين والأراضي العربية المحتلة أرضاً وسكاناً وسوقاً، ووسائل إنتاج وعمل، بواسطة عمليات الاستعمار الاستيطاني وإقامة المستوطنات.

وتهدف الحركة الصهيونية والدولة الإسرائيلية من وراء ذلك: «لخلق حقائق جديدة على الأرض المحتلة، ولمحاصرة التجمعات السكانية والمدن الفلسطينية والعربية، وتقطيع أوصالها، لتحجيم أية مقومات أو عوامل لبناء الدولة الفلسطينية، **كما تهدف الحركة من إقامة المستوطنات إلى جعلها تشكل حاجزاً أمنياً وضارباً، لأي تحرك لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والأراضي العربية المحتلة، أو القيام بأي محاولة لوضع حد لاستمرار هذا الاحتلال».**

وقد كان الاستعمار الاستيطاني ولا يزال منطلقاً مركزياً في العمل الصهيوني، خصوصاً في شقه اليهودي الذاتي، إذ تم اعتماده سبيلاً لتجسيد المشروع الصهيوني في فلسطين. **فالصهيونية حولت اليهودية من رابطة دينية روحية شأنها شأن سائر الأديان، إلى رابطة قومية عنصرية، وادعت بأن «المسألة اليهودية» مسألة قومية، وبالتالي فقد طرحت لها حلاً قومياً يقوم على أساس بناء دولة قومية، زعمت أنها تنهي تلك المسألة**. أي إن الدولة القومية تحل المسألة القومية، ومثل هذه الدولة لا تقوم إلا بالاستيطان، لكون المجموعة البشرية التي تشكل العامل الديموغرافي فيها تنطلق من نقطة الصفر في العلاقة بالأرض المعنية التي تشكل العامل الجغرافي في الكيان السياسي المزمع إقامته.

ولئن كانت الفكرة الواهية القائلة بارتباط التراث اليهودي بفلسطين كقاعدة لإقامة المشروع الصهيوني، إلا أن موقع فلسطين الاستراتيجي في قلب العالم العربي كان هو العامل الحاسم في هذا الاختيار، وفي احتضان حركة الاستعمار العالمي للمشروع الصهيوني ككل.

ولأن الصهيونية حركة سياسية وعقائدية تعتمد مبدأ التخطيط في عملها، وتتبنى **البراغماتية** (ذرائعية: الغاية تبرر الواسطة) في نهجها، لذلك فقد أقامت مؤسسة خاصة

لتطبيق وتنفيذ نظرية الاستيطان الاستعماري ، وهي ما يعرف « بالصندوق القومي اليهودي » للقيام بمهمة تطبيق سياسة الاستيطان ، أي العمل على تهويد الأراضي العربية بنزع ملكيتها من أيدي أصحابها الأصليين العرب ، ونقل تلك الملكية إلى أيد يهودية ، وجعلها « وقفاً أبدياً للشعب اليهودي » لا يجوز بيعها من بعد أبداً ، كما لا يجوز تأجيرها أو السماح باستغلالها لغير اليهود .

وقد استعملت هذه المؤسسة والقائمون على إدارتها كل الوسائل الملتوية واللاأخلاقية ، وأساليب التضليل والاحتيال والقوة والتعسف والأسباب الأمنية لشراء الأراضي العربية والاستيلاء عليها ، واقتلاع الفلاحين الفلسطينيين من أراضيهم ، كما أقامت هذه المؤسسة والوكالة اليهودية مؤسسات الهجرة والاستيعاب لجلب المهاجرين لإعمار المستوطنات ، وإقامتها بعد تربيتهم على الأسس والمبادئ الصهيونية العنصرية .

ولكن بالرغم من حشد كل الجهود والعقول والأموال ، ووضعها تحت تصرف المؤسسات القائمة على تنفيذ الاستيطان مثل « الوكالة اليهودية » ، و « الصندوق القومي اليهودي » ، وعلى الرغم من الإغراق في تخطيط بناتها ، والدأب على عصرنة أجهزتها ، وتحديث أساليب عملها ، فإن هذه المؤسسات لم تستطع حسم الصراع في فلسطين ، وإنما تحملت عبء ذلك الآلة العسكرية الصهيونية ، وقامت به .

فالشعب الفلسطيني لم يترك بلده نتيجة نجاح « الصندوق القومي اليهودي » في إغراق البلد بالمهاجرين اليهود ، أو نتيجة تمكن المؤسسات الصهيونية الاقتصادية من الهيمنة على السوق في فلسطين ، بحيث اضطر أهلها إلى الجلاء عنها لضيق سبل العيش عليهم . وإنما كان نتيجة احتلال فلسطين ، وبالتالي فرض الواقع الراهن على شعبها ، قد تم بفعل العنف والإرهاب المسلحين ، اللذين مارستها وما زالت الآلة العسكرية الصهيونية .

وهكذا احتلت الآلة العسكرية الصهيونية دوراً متميّزاً في بناء وإقامة الدولة الصهيونية ، بحماية قاعدة الدولة وهي المؤسسات الاستيطانية وتأمينها وخلقها وتوسيعها ، وبذلك **كان للآلة العسكرية الإسرائيلية مهمة مزدوجة « استيطانية وعدوانية »** .

وكما فشلت نظرية الاستيطان وتطبيقاتها العملية بإقامة المستوطنات في تهويد الأرض العربية المحتلة أرضاً وسكاناً وسوقاً وإنتاجاً ، كذلك فشلت في استقطاب غالبية اليهود وتهجيرهم لتوطينهم في فلسطين والأراضي العربية المحتلة ليكونوا مادة الاستيطان والتهويد ، وبناء الدولة الصهيونية . وقد فشلت مؤسسات الاستيطان في استقطاب أكثر من ٢٠٪ من مجموع يهود العالم ، وحملهم على الهجرة للاستيطان في فلسطين والأراضي العربية . وقد كان هذا الفشل هو العائق الأساسي للنجاح في تهويد فلسطين والأراضي العربية المحتلة ، وهنا لجأ المخطط الصهيوني لمعالجة هذا الفشل الثاني باللجوء إلى الآلة العسكرية للقيام بتنفيذ الانتشار الاستيطاني القائم على اعتبارات سياسية أمنية ، أي بمحاولة نزع عروبة الأرض العربية بالاستيطان السياسي المتستر وراء الذرائع الأمنية ، وهذا أدى إلى انقسام القيادة الصهيونية إلى نصفين :

قسم يقول بالاحتفاظ بالأرض حالياً على نية التخلص من السكان مستقبلاً ، والقسم الثاني يرى التخلص من السكان العرب أولا ، على أن يستكمل تهويد الأرض مستقبلاً . **وقد بدأت القيادة الصهيونية ومنذ عام ١٩٦٧ م ، بزرع المستوطنات في المناطق العربية المحتلة ، وذلك وفق مخططات تعكس تصور القيادة الصهيونية لمستقبل بناء الدولة الصهيونية ، وتهويد الأرض العربية أرضاً وسكاناً وسوقاً ووسائل إنتاج .**

وقد جرى تقسيم الكتاب إلى **أربعة أقسام** رئيسية ، مهد لها بقراءة سريعة لمسار الاستيطان الإسرائيلي في المناطق المحتلة ، خلال عهدي **المعراخ والليكود** . كما أدرج في نهاية الكتاب ملحق يتضمن الخرائط الرئيسية التي تلقي ضوءاً على العمليات الاستيطانية في هذه المناطق .

وتناول المؤلف في القسم الأول **المستعمرات الاستيطانية التي أقيمت في الضفة الغربية حتى نهاية عام ١٩٨٠ م ، والمستعمرات الاستيطانية الجديدة التي لا تزال في قيد الإنجاز ، ولم ينته العمل فيها حتى أواخر عام ١٩٨٠ م . كما تناول في القسم الثاني المستعمرات الاستيطانية التي أقيمت في الجولان ،** بالإضافة إلى المستعمرات الجديدة التي لا تزال في قيد الإنجاز . وخصص القسم الثالث **للمستعمرات الإسرائيلية التي أقيمت في قطاع غزة** . أما القسم الرابع ، فيتعرض **للمستعمرات الإسرائيلية التي أقيمت في مشارف رفح وسيناء** ، قبل أن يتقرر تفكيكها ونقلها إلى أماكن جديدة بموجب نصوص اتفاقيات « كامب ديفيد » بين مصر وإسرائيل .

كان الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ م ، على رأس المهمات المركزية لحكومات « المعراخ » (**حكومات حزب العمل**) ، ثم حكومة **الليكود** المتعاقبة على السلطة حتى سنة ١٩٨٠ م . فقد أولته اهتماماً خاصاً كمصادرة الأراضي العربية وإقامة المستعمرات الاستيطانية عليها وتوسيعها وتدعيمها . وعلى الرغم من أن الاستيطان الإسرائيلي خلال تلك الفترة قد شمل المناطق العربية المحتلة كافة ، فإن زخمه قد اختلف من منطقة إلى أخرى ، تبعاً للاهية السياسية والأمنية ، وتبعاً لمواقف الحكومات الإسرائيلية من الحدود العربية المجاورة . **وقد بدأ النشاط الاستيطاني الإسرائيلي الفعلي مع حكومة ليفي أشكول العمالية سنة ١٩٦٧ م ، حيث أقيمت أول مستعمرة في الأراضي العربية المحتلة في الهضبة السورية (الجولان) بتاريخ ١٦/٧/١٩٦٧ م ، باسم « ميروم هغولان » ، وأقيمت المستعمرة الثانية في** الضفة الغربية بتاريخ ٢٥/٩/١٩٦٧ م ، باسم **« كفار عصيون »** قرب مدينة الخليل . **ولم يكد يمضي عام واحد على الاحتلال الإسرائيلي ، حتى كانت (١٤) مستعمرة استيطانية إسرائيلية قد أقيمت على الأراضي العربية المحتلة ، منها (٩) في الهضبة السورية ، و (٢) في غور الأردن و (١) في شمال سيناء .**

ويتحدث الكتاب باستفاضة عن الخطط الاستيطانية التي اقترحها ثلاثة من أبرز مهندسي الاستيطان وحماقة تهويد الأرض العربية المحتلة في عهد الليكود وهي :

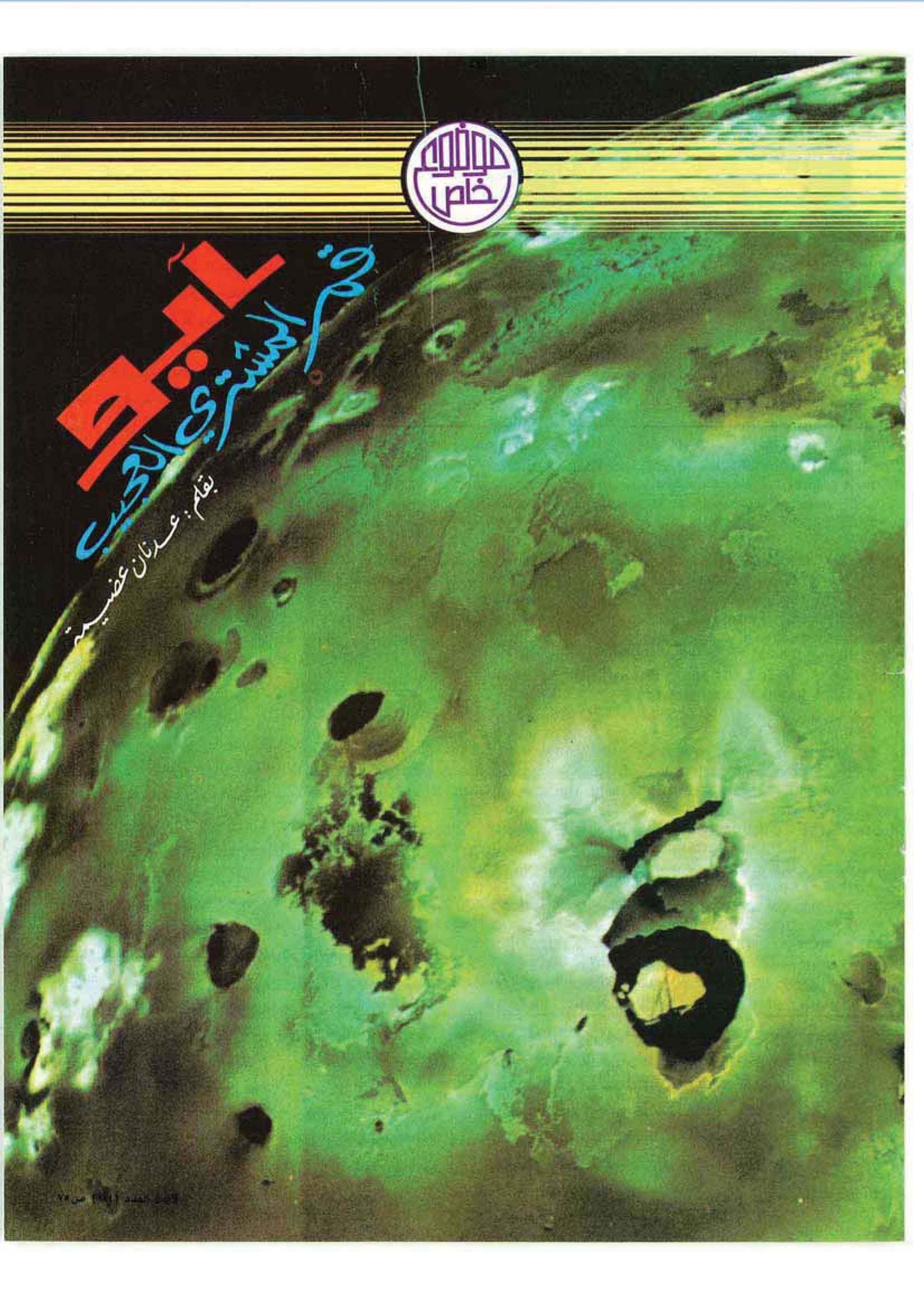
(١) **خطة شارون** وزير الدفاع المسماة بـ« **مشروع المحور المضاعف** » ، أو « **العمود الفقري المزدوج** » ، وهي تتضمن نشر الاستيطان الإسرائيلي في خطين متوازيين هما الشريط الساحلي والخط المقابل له ، تربط بينهما شبكة واسعة من الطرق الطولية والعرضية .

(٢) **خطة وزارة الدفاع** التي تبناها وزير الدفاع **عيزرا وايزمن** ، فتهدف إلى تجميع المستعمرات الصغيرة والمبعثرة في ستة مراكز مدنية استيطانية ضخمة ثلاثة منها حول القدس ، وثلاثة في شمال فلسطين .

(٣) **خطة متتياهو دروبلس** رئيس قسم الاستيطان وهي من **أخطر الخطط الإسرائيلية** ، لأنها تعمل على إقامة المستوطنات في فلسطين بأسرها ، مع الاهتمام باختيار مواقع المستوطنات في مواقع استراتيجية أمنياً ، وتساعد على فرض السيطرة على المناطق المحتلة كلها .

ويخرج القارئ لهذا الكتاب القيّم عن الاستيطان الصهيوني في الأراضي العربية والفلسطينية المحتلة ، ومن خلال استعراض مسار وعمليات الاستيطان الإسرائيلي في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ــ ١٩٨٠ م ، باستنتاج واضح يدق ناقوس الخطر ، ويدعو للقيام بعمل جاد ، لمنع إسرائيل من ابتلاع الأرض العربية ، وذلك أنه لا يوجد خلاف جوهري بين « الليكود » و « المعراخ » أي حزب العمل بشأن الاستيطان ، فكلاهما متفق على أهميته ودوره في رسم المستقبل السياسي للمناطق المحتلة . وكلاهما متفق على أن السيطرة على الأرض تعني السيطرة السياسية ، وعلى أن الاستيطان عامل أساسي من عوامل منع قيام دولة فلسطينية في الأراضي العربية المحتلة . ويتركز الخلاف في التفاصيل والأساليب المتبعة لتحقيق الهدف النهائي المشترك ، ألا وهو استكمال تحقيق المشروع الصهيوني فوق أرض فلسطين كلها ، فلو تفحصنا مسار الاستيطان من منظار « المعراخ » لوجدنا أنه قد هدف ــ بصورة محلية وعملية ــ إلى تحقيق شعار : « **أقل عدد ممكن من السكان ، وأكبر مساحة ممكنة من الأرض** » . أي إن « المعراخ » أراد أن يخضع العمليات الاستيطانية للاعتبارات السياسية والعسكرية والديموغرافية التي يطرحها . وهذا يستلزم تنظيم هذه العمليات وتوجيهها للتوصل إلى ما يسمى « الحفاظ على الطابع اليهودي للدولة » عن طريق التخلص من السكان العرب عبر القناة الأردنية ، وضم أكثر من ٤٠٪ من مساحة الضفة الغربية إلى إسرائيل ، كمرحلة على طريق استكمال السيطرة على الأراضي المحتلة كافة ، حين تتوفر الشروط الذاتية والموضوعية للملك . بينما نجد أن حكومة « الليكود » تريد « **الأرض أولا** » ، ومن ثم تأتي عمليات التخلص من السكان العرب ، عن طريق استثمار عامل الزمن ، وإحكام السيطرة على الأرض ، واستخدام أساليب الضغط السياسي والمعيشي كافة .

وفي تقديري أن هذا الكتاب كتاب قيم ، وجدير بالاقتناء والقراءة من كل مواطن عربي ، ليكوّن فكرة واضحة وحقيقية عن الخطر الصهيوني على الأرض العربية خصوصاً ، والخطر الداهم المحدق بالأراضي العربية المحتلة من عمليات الاستيطان الاستعماري الصهيوني عموماً .

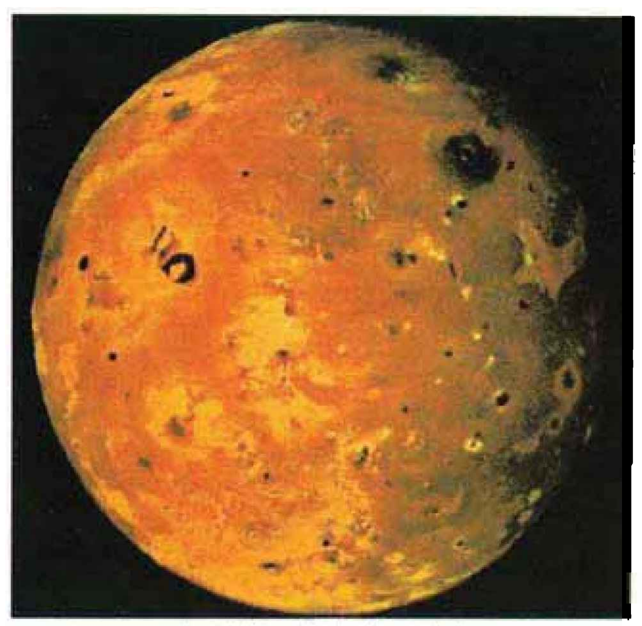

موضوع خاص
آيو
قمر المشتري العجيب
بقلم: عدنان عضيمة



في عصر الاكتشافات الكونية الحالية، يعد آيو IO. وهو أحد أقمار كوكب المشتري Jupiter الذي اكتشفه جاليليو GALILEO منذ أربعة قرون مضت، واحداً من أغرب عوالم المجموعة الشمسية. فخلال عقد الستينات الميلادي، اكتشف الفلكيون بأن آيو يلعب دوراً هاماً في تعديل الموجات الإشعاعية Radio Waves العنيفة التي يصدرها المشتري. كما أثبتت أجهزة الرصد الحساسة التي وجهت نحو آيو من الأرض بأن له قدرة كبيرة على عكس الأشعة الضوئية كالجليد، ويبدو بلون برتقالي مائل إلى الأصفر. وهذه الظواهر طرحت الكثير من التساؤلات حول تركيب سطحه. وبعد ذلك، وفي عقد السبعينات الميلادي، اكتشفت الغيوم الضخمة من الذرات المتشردة والمتعادلة التي كان يدفعها آيو ضمن الحقل المغناطيسي للمشتري. ولم تكن كل المعلومات التي كانت قد جمعت حول آيو تساوي شيئاً قياساً إلى المعلومات الموسعة التي جمعتها مركبتا الفضاء (فوياجور) الأولى والثانية Voyager بعد إطلاقها في عام ١٩٧٩م، حيث دخلت كل منها ضمن نظام المشتري وأقماره لإلقاء نظرة متفحصة على آيو من أقرب مسافة ممكنة.

والقمر آيو الذي نعرفه اليوم يبدو أكثر غرابة مما كنا نعرفه من قبل، إذ إنه يستمد معظم طاقته الحرارية من تأثير قوى المد والجزر Tidal Forces التي يسببها المشتري. كما تبين أن النشاطات البركانية التي تحدث على سطحه لا مثيل لها من حيث قوتها وعددها في باقي كواكب وأقمار المجموعة الشمسية، فنشاطه البركاني أعنف بكثير من ذلك الذي يحدث على الأرض، حيث تقوم ينابيعه الحارة البركانية Volcanic geysers، بقذف الحمم البركانية إلى ارتفاع بضعة مئات الكيلومترات، والمادة التي تنفلت من جو آيو الرقيق بفعل عنف براكينه تصل حتى الحقل المغناطيسي للمشتري الذي بأسرها فتسبب فيه ظاهرة الشفق القطبي Aurora.

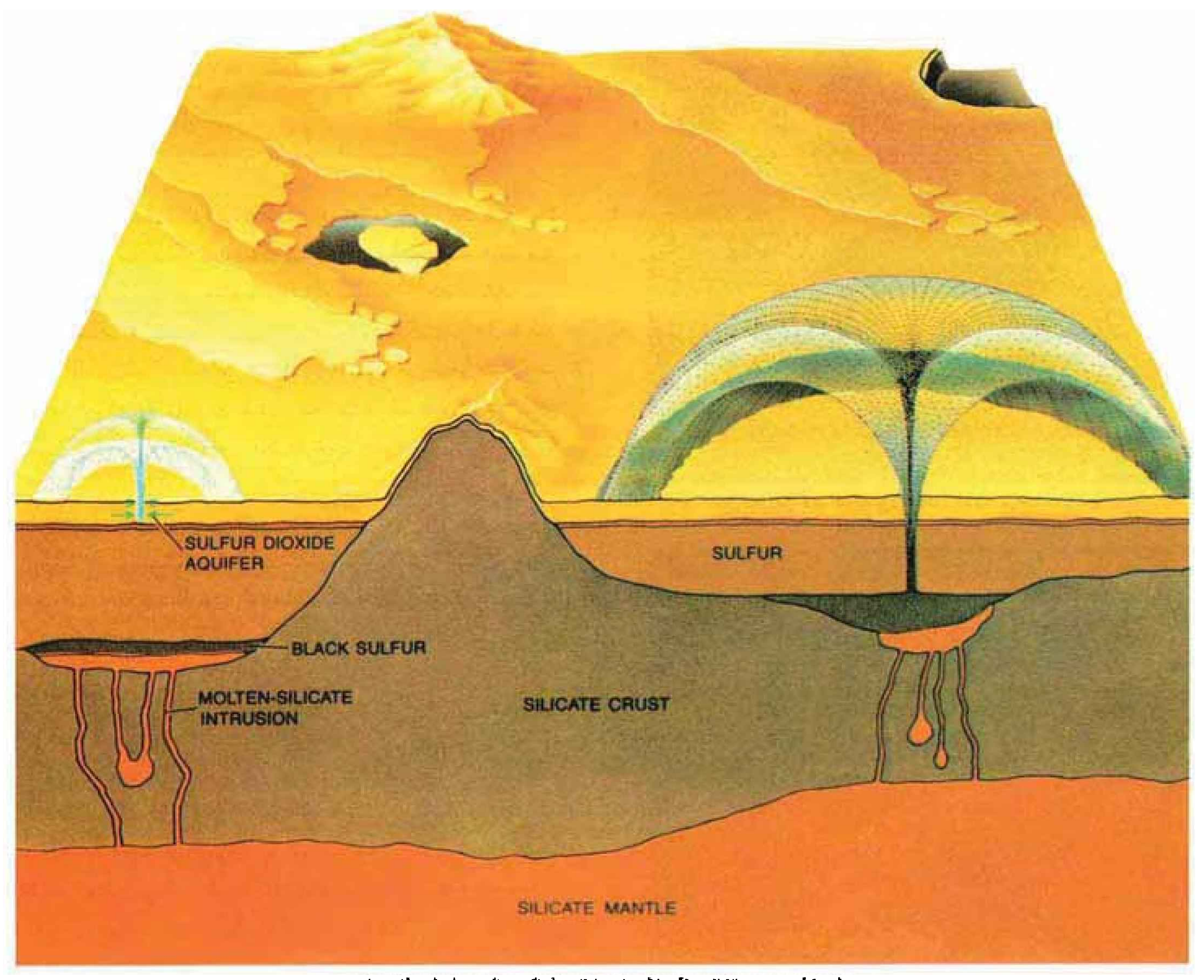
وبدلا من أن تجيب كشوف (فوياجور) عن بعض التساؤلات المحيرة حول الظواهر التي تحدث على سطح آيو، فإنها قادت إلى المزيد من التساؤلات، وسجلت العديد من الأحداث التي لا يملك العلماء أمام تفسيرها سوى اللجوء إلى أسس التخمين والافتراض، لذا فإن هذا المقال لا يهدف بالدرجة الأولى إلى تفسير الظواهر بصفة نهائية بقدر ما يهدف إلى الإشارة لهذه الظواهر التي جعلت من القمر آيو جسماً متميزاً في غرابته.


★ آيو، وبراكينه التي تبدو كالدمامل ★


★ القمر يوروبا أو (كرة البلياردو الثلجية) كما صورته المركبة فوياجور الأولى ★

أقمار المشتري النظامية

آيو هو أحد أقمار المشتري النظامية Jupiter's Regular Moons، وهي التي تدور وفق مدارات دائرية منتظمة تقريباً، وفي مستوى واحد يكاد ينطبق على خط استواء المشتري، لذا يظن أنها تشكلت حوله كما تشكلت كواكب المجموعة الشمسية حول الشمس. ويقع آيو على بعد مداري Orbital distance قدره ٥٥٠,٠٠٠ كيلومتر عن سطح المشتري (تقريباً نفس بعد قمر الأرض عنها)، وهو الأقرب إلى المشتري في جملة أقماره الأربعة الكبرى التي اكتشفها جاليليو وهي آيو، ويوروبا EUROPA، وهو يلي آيو من حيث بعده عن المشتري، وكلاهما له حجم مساو تقريباً لحجم قمر الأرض، ولهما كثافة قريبة من كثافة الصخور، فكثافة آيو ٣,٥ غرامات للسنتيمتر المكعب، ويوروبا ٣ غرامات للسنتيمتر المكعب. ويليهما القمران غانيميد GANYMEDE وكاليستو CALLISTO وكلاهما أكبر من آيو ويوروبا ويقاربان من حيث



★ مقطع عمودي افتراضي لأيو تظهر فيه مختلف التراكيب المميزة لسطح القمر ★

الحجم الكوكب عطارد MERCURY وكثافتها أقل من كثافة آيو ويوروبا وتبلغ غرامين للسنتيمتر المكعب ، ويعتقد أنهما يتألفان من مقادير متساوية من جليد الماء والصخور السيليكاتية Silicates بدرجة أساسية . وكتلة السيليكات المقدرة في غانيميد وكاليستو تعادل تقريباً الكتلة الكلية لأيو ويوروبا . ومن ثم يمكن النظر إلى الأقمار الأربعة على أنها متشابهة ، فيما عدا فرق هام واحد يتمثل بفقدان القمرين الداخليين لمعظم المواد القابلة للتطاير وخاصة الماء ، وبالرغم من الاعتقاد السائد بأن يوروبا مغطى بالجليد ، إلا أن كثافته الوسطى المحسوبة تدل على أن غطاءه الجليدي ليس سوى قشرة خادعة يقل سمكها عن ٢٠،١ من نصف قطره .

ويرى أغلب العلماء أن اختلاف كثافة هذه الأقمار يعزى لتأثير كوكب المشتري على جواره في ظروف تشكله ، إذ بينت أجهزة الرصد الحديثة أن المشتري يشع من الطاقة الحرارية نحو الفضاء المحيط به ووفق أطوال الأمواج تحت الحمراء Infrared Wavelengths حوالي ضعف الطاقة التي يمتصها من الشمس ، لذا فإن النماذج التي وضعت لتفسير تاريخه القديم تفترض أنه بقي مصدراً هاماً للطاقة الذاتية لفترة تقدر بعدة مئات الملايين من السنين ، فهو أشبه بالنجوم ذات الكتلة القليلة Low – Mass Stars التي تتبرد بالتدريج متحولة من أجسام مضيئة إلى أجسام مظلمة ، أما نموذج آيو الذي قدمه جيمس پولاك JAMES POLLACK ورفاقه من مركز إيمس للأبحاث AMES RESEARCH CENTER التابع لوكالة الفضاء الأميركية (ناسا) ، فإنه يستند إلى هذا المفهوم ويفترض أنه خلال فترة تقارب مائة مليون عام كانت الطاقة والضغط اللذان يسودان فوق أيو وهو على مداره مصدرهما المشتري وليس الشمس . وتكمن صحة هذا الافتراض في أن جسماً يدور على مدار أيو خلال المليون عام الأولى من تلك الفترة لا بد أن يتلقى من المشتري طاقة تفوق تلك التي تتلقاها الأرض من الشمس . ويرجح ، بناء على ذلك ، أن التركيب الذي يميز الأقمار النظامية للمشتري كان يتأثر بقربها النسبي من الكوكب . ووفقاً لهذه النظرة ، فإن آيو ويوروبا هما من الأجسام الصخرية الجافة ، لأن



الظروف التي كانت سائدة قرب المشتري في فترة تشكلها كانت شديدة الحرارة ، لدرجة أنها لم تسمح لهذه الأقمار بأن تحتفظ بكميات هامة من الماء . وعلى العكس فإن غانيميد وكاليستو تمكنا من الاحتفاظ ببعض الماء بسبب بعدهما الشديد عن المشتري ، وأصبحا يتشكلان من خليط من جليد الماء والصخر ، ونما كل منهما حتى أصبح أكبر حجماً من آيو ويوروبا . بالإضافة لذلك فإن النشاط البركاني العنيف الذي يحدث على سطح آيو لا بد أنه لعب دوراً هاماً في تغيير محتواه من المواد القابلة للتطاير .

والشيء الذي بدا واضحاً للعلماء هو أن آيو ومعه باقي أقمار المشتري النظامية قد تشكلت وفق عمليات مشابهة لتلك التي أدت إلى نشوء الكواكب ، لذا يعد المشتري وأقماره أشبه بنظام شمسي مصغر Ministure Solar System .

النشاط البركاني الحر

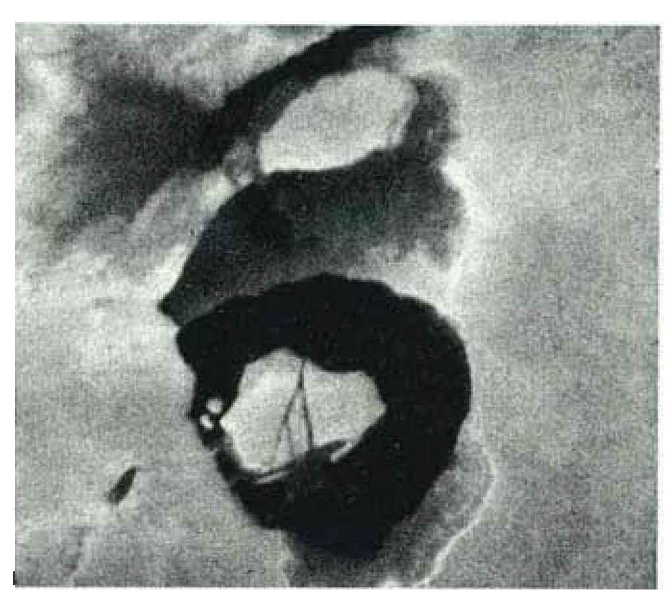
وسطح آيو كما صورته مركبتا فوياجور بدا وهو يعج بالنشاطات البركانية للدرجة التي لم يكن يتخيلها أحد ، وتساءل العلماء عن مصدر هذه الطاقة الهائلة التي يصرفها آيو أثناء نشاطه البركاني . هناك عدة مصادر للطاقة التي تخلق البراكين في الكواكب والأقمار يمكن حصرها بالأنواع التالية :

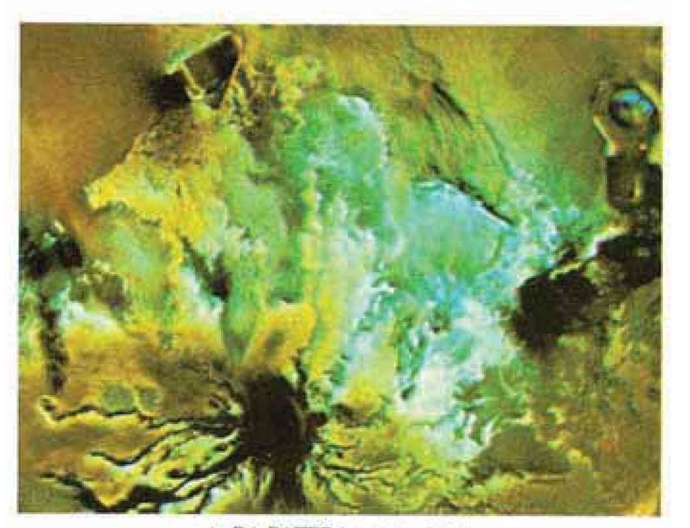
١ ـ فقد الطاقة الكامنة الثقالية Gravitational Potential Energy .

٢ ـ التحلل الإشعاعي للنظائر المشعة قصيرة العمر كالألمنيوم ٢٦ Short – Lived Radioactive Isotopers ، رابضاً بتحلل النظائر طويلة العمر Long – Lived Radioactive Isotopes التي تتألف أساساً من اليورانيوم والثوريوم والبوتاسيوم .

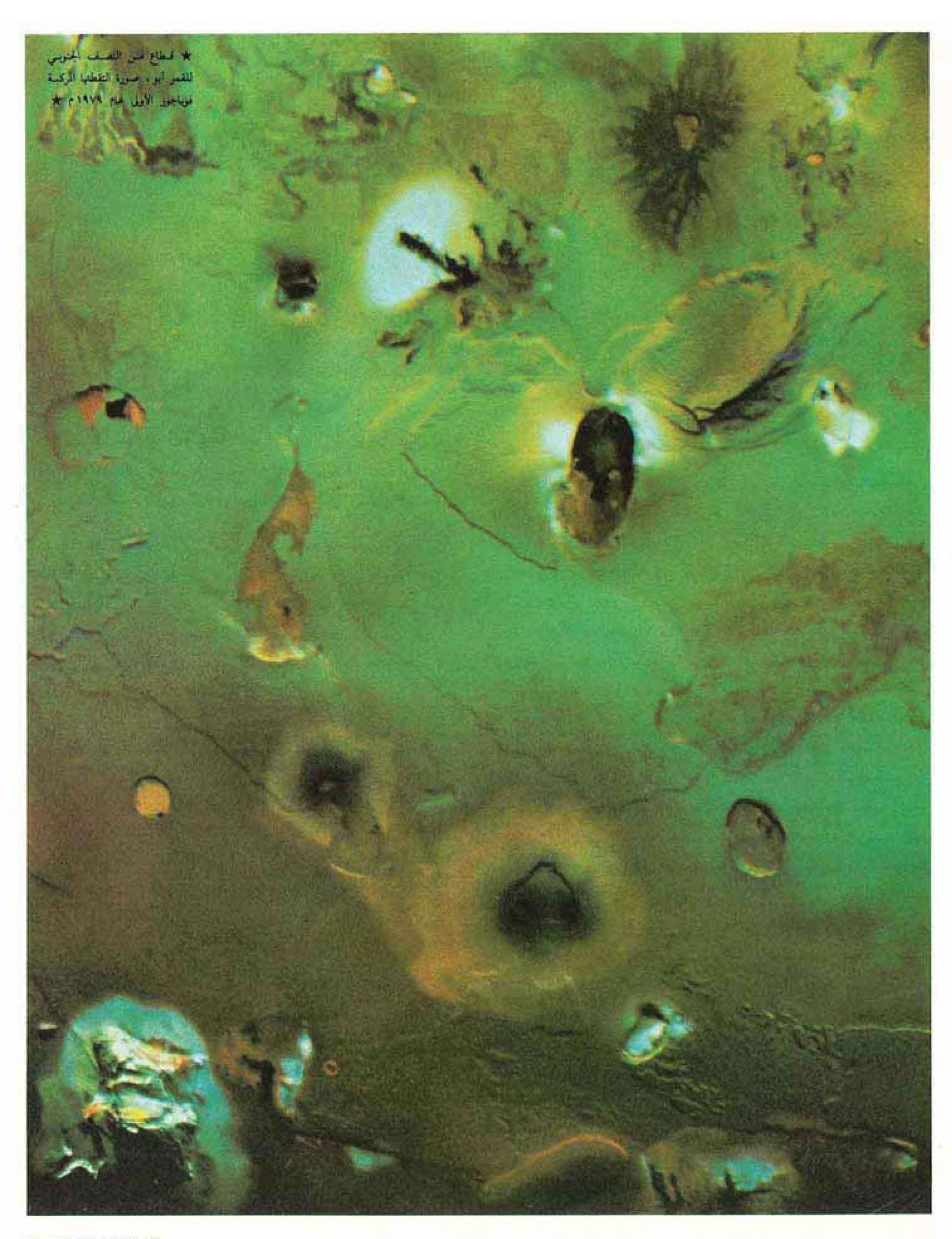
٣ ـ فقد الطاقة الحرارية عبر السطح أثناء تبرد الكوكب أو القمر بواسطة الجيشان الحراري Convection والناقلية Conduction .

ويأخذ مختلف هذه المصادر بعين الاعتبار يمكن النظر إلى الأرض على أنها كوكب ذو نشاط بركاني ضعيف نسبياً ، في حين أن النيران البركانية لأقمار كواكب المجموعة الشمسية خمدت منذ وقت طويل ، ما عدا أقمار كوكب المريخ MARS التي يظن أنها ما زالت نشيطة ، ولكن نشاطها أقل


★ منظر عن قرب لبحيرة لوكي النشطة التركية فوياجور الأول ★


★ كالديرا باتيرا RA PATERA ★

بكثير من النشاط البركاني للأرض . أما آيو الذي له حجم وكتلة قمر الأرض ، فقد كان متوقعاً أن لا يظهر سوى إمارات البراكين القديمة . وهذا التوقع خاب بشدة ، وتغيرت هذه النظرة بشكل مفاجئ في شهر مارس (آذار) من عام ١٩٧٩ م ، قبل عدة أيام من وصول المركبة فوياجور الأولى إلى نظام المشتري Jovian System ، وذلك عندما نشر كل من **ستانتون بيل STANTON PEAL من جامعة كاليفورنيا ، وسانتا بارباره SANTA BARBARA ، وراي رينولدز RAY REYNOLDS ، وباتريك كاسين PATRICK CASSEN من مركز إيمس** للأبحاث تحليلاتهم لقوى المد والجزر كطريقة لتسخين آيو . ومفهوم هذه الطريقة هو أن آيو و يوروبا يتخذان الوضع الذي يجعلهما في حالة **التجاوب التجاذبي Gravitational Resonance** الذي درس لأول مرة من قبل **بيير سيمون دو لابلاك DE LAPLACE** في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي . ويفسر التجاوب في أن التفاعل التجاذبي



★ قطاع من النصف الجنوبي للقمر أيو، صورة التقطتها المركبة فوياجور الأولى عام ١٩٧٩م ★





★ الجيولوجيان : د. ري رينولدز (إلى اليسار) وستيف سكوايرز ★

Gravitational Interaction بين القمرين يتحكم في أبعادهما المدارية Gravitational Distances حتى تصبح أدوارهما المدارية Orbital Periods مضاعفات صحيحة (الدور المداري ليوروبا ضعف الدور المداري لآيو).

ونتيجة لذلك فإن آيو يجبر باستمرار على اتخاذ مدار لامتراكز ECCENTRIC، بمعنى أنه يحيد عن المدار الدائري، وذلك بسبب التغير المستمر لوضعيته بالنسبة لكل من يوروبا والمشتري، ويصاحب هذه الظاهرة تشكل نتوء مد جزري Tidal Bulge على سطح آيو، ومن أقرب نقاطه إلى المشتري، وهذا النتوء يتحرك باستمرار إلى الأمام والوراء أثناء الدوران مسبباً تسخين آيو بالاحتكاك Friction.

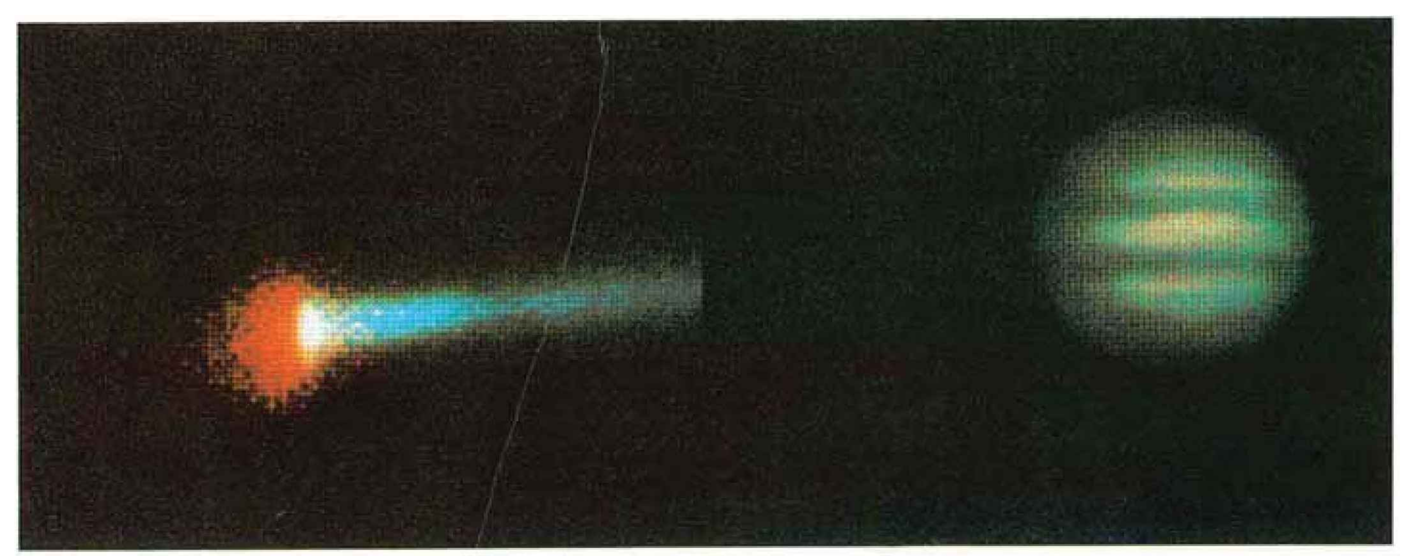
وتمكن ستانتون بيل ورفاقه من تقدير كمية الطاقة الحرارية الناتجة عن قوى المد والجزر على سطح آيو فوجدوها هائلة، لذا فقد تنبأوا بوجود هيئات بركانية مميزة على سطح آيو. وتم التأكد من صحة ما توقعه بيل ورفاقه، عندما اقتربت المركبة الفضائية فوياجور الأولى من آيو، إذ أظهرت الصور عالية الوضوح التي أرسلتها فوياجور لسطح آيو، عدم وجود أي أثر للمخاريط البركانية الضخمة، وبدلاً منها ظهر السطح وهو مغطى ببقع ضخمة Splotches ملونة بالأحمر والبرتقالي والأصفر، تم تفسيرها مباشرة على أنها تمثل هيئات سطحية تتدفق منها الحمم البركانية (اللافا) التي تشبه تلك التي تتدفق على الأرض والمريخ، كما اكتشف وجود (الكالديرات) Calderas أو الفوهات البركانية المهدمة Volcanic – Collapse Craters. وكان من الواضح أن آيو يملك سطحاً نشطاً قليل العمر من الناحية الجيولوجية. وبعد أيام قليلة من اقتراب فوياجور الأولى من آيو، تمكن الفريق العلمي المختص بتحليل الصور المرسلة، من اكتشاف النشاطات البركانية العنيفة التي تحدث هناك.

ومنذ ذلك الوقت بدأت الدراسات الموسعة للتعرف على طبيعة النشاط البركاني لآيو.

اكتشافات

الكثير من الصفات المميزة لبراكين آيو يمكن تفهمها من الخصائص الكيميائية الغريبة لسطحه، فقبل رحلة فوياجور الأولى بوقت كاف لوحظ غياب كافة المظاهر الطيفية التي توافق وجود الماء من الطيف تحت الأحمر Infrared Spectrum الصادر عن آيو، وبذلك تم التأكد بأن سطحه جاف تماماً، وتفاصيل الطيف المنبعث من آيو عند أطوال الموجة المرئية Visible Wavelenghths قادت إلى الفرضيات التي تقضي بوجود **الكبريت** Sulfur بإحدى صوره هناك. وبعدئذ أظهرت الأجهزة المختلفة المزروعة في المركبتين فوياجير الأولى والثانية وجود كميات كبيرة من الكبريت **والأوكسيجين** قريباً من مدار آيو، كما اكتشف أعضاء الفرقة العلمية التي كلفت بتحليل معطيات مطياف الأشعة تحت الحمراء الذي تحمله فوياجور، هيئات امتصاص الأشعة تحت الحمراء الموافقة لوجود **غاز ثاني أوكسيد الكبريت** Sulfur Dioxide فوق أحد براكين آيو. ولقد حفزت هذه الاكتشافات اثنان من فرق البحث، أحدهما تابع لمختبر **(جيت بروبالجن) JET PROPULSION التابع لمعهد كاليفورنيا التكنولوجي** C.I.T.، والآخر من **جامعة هاواي**، لمواصلة البحث عن صور الكبريت ومشتقاته على سطح آيو، فاكتشفوا هيئة واضحة في طيف الأشعة تحت الحمراء التي يصدرها آيو قرب طول الموجة المساوي (٤,١ ميكرومتر – جزء المليون من المتر)، الصادر عن ثاني أوكسيد الكبريت المتجمد. واتضح من هذه الاكتشافات أن الكبريت ومركباته تلعب دوراً هاماً في النشاط البركاني لآيو، وأنها تتواجد هناك في الحالات الصلبة والسائلة والغازية.

والسؤال الذي طرح نفسه بإلحاح هو: **لماذا يتواجد الكبريت بهذه الوفرة في آيو...؟** ففي الكون لا يتوفر الكبريت إلا بصورة نادرة، فهو أقل تواجداً من الأوكسيجين بأربعين مرة، وفي قشرة الأرض يندر وجود الكبريت، والكميات المتواجدة منه تكون مدفونة في باطن



★ تور الكبريت المتشرد Torus of Ionised Sulfur ★

الأرض على هيئة خامة كبريت الحديد . وفي قمر الأرض بعد نقص المواد القابلة للتطاير كالكبريت والماء ، الصعوبة الكبرى التي تواجه محاولات العلماء لمعرفة كيفية تشكل القمر . أما في المريخ فقد أكدت اكتشافات المركبة الفضائية **فايكينج** التي هبطت على سطحه توفر الكبريت بصور متعددة هناك . وللإجابة عن السؤال وضعت فرضيتان ، إحداهما تقضي بأن تسخيناً عنيفاً بقوى المد والجزر عبر التاريخ الطويل لآيو قد سبب انتزاع كافة المواد القابلة للتطاير ، وعلى الأخص الماء ، ولم يبق منها سوى الكبريت ومركباته . والفرضية الأخرى تقضي بأن الظروف التي كانت سائدة حول آيو القديم كانت شديدة الحرارة للدرجة التي منعت الماء من الدخول في تركيبه ، ولكنها لم تكن كافية لمنع دخول الكبريت في هذه التراكيب .

النوافير البركانية
VOLCANIC PLUMES

يمكن تمييز عدة أنواع من النشاطات البركانية فوق آيو ، وكلها ـ تقريباً ـ تعود في أصلها إلى الخواص الكيميائية للكبريت وثاني أوكسيد الكبريت . احد اهم هذه الأنواع وأكثرها غرابة يتمثل بنوافير الطفح البركاني Eruptive Plumes ، ومن أشهر هذه النوافير (**نافورة بيله**) PELE التي كانت في أوج نشاطها عند اقتراب المركبة فوياجور الأولى ، كما أنها تعد النافورة الأولى التي اكتشفت على سطح آيو ، وترتفع مقذوفاتها من الحمم حتى ارتفاع ٣٠٠ كيلومتر ، ثم تتوزع الحمم على شكل مظلة قطرها ١٤٠٠ كيلومتر . وشكل المظلة الذي يميز أغلب النوافير يؤكد بأن الحمم تنقذف تحت ضغط عال جداً ، وهذا يفسر السرعة العالية لخروج الجسيمات المقذوفة ، التي قدرها العلماء بناء على التحليلات الحركية لعملية القذف بـ ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ متر في الثانية . والنماذج التي رسمها الكومبيوتر للنوافير التي تشكلها حقنات المواد المقذوفة تحت جاذبية آيو تجسد بشكل واضح أهم الخصائص التي تتميز بها النوافير وهي خاصية التناظر .

ولتفسير طريقة تشكل النوافير ، فقد عمد كل من **برادفورد سميث** BRADFORD SMITH **من جامعة أريزونا** ورفيقه **أوجين شوميكر** EUGENE SHOEMAKER **وسوزان كايفر** SUSAN KEIFFER **من هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكي ، وآلان كوك** ALLAN COOK **من مركز الفيزياء الفلكية** ، إلى وضع نموذج للنوافير يشبه ينابيع المياه الحارة Geyserlike Model ، وافترضوا أن الكمية الكبيرة من الحرارة التي تنشأ عن قوى المد والجزر تؤدي لرفع درجة حرارة مزيج الكبريت الصلب المنصهر وثاني أوكسيد الكبريت السائل المتواجدين على أعماق قليلة تحت سطح آيو للدرجة التي تسمح بتبخر ثاني أوكسيد الكبريت ، وانطلاقه من الفوهات بسرعة كبيرة ، وبعد بلوغه ارتفاع ما ، يبدأ بالتحول من جديد إلى سائل بسبب فقده للطاقة الحرارية بالتمدد ، وأخيراً يتجمد متحولا إلى جليد يسقط على سطح آيو .

وهناك بعض المعلومات التي يمكن استقاؤها حول النوافير بناء على طريقة توزعها على سطح آيو ، وكذلك من سلوكها الظرفي . فعند اقتراب المركبة فوياجور الأولى من آيو كانت هناك تسع نوافير نشيطة ، ثمان منها بقيت على نشاطها حتى وصلت المركبة فوياجور الثانية بعد أربعة أشهر ، والنافورة التي خمدت هي نافورة بيله . وبينت صور فوياجور الأولى أن النوافير تتوزع بشكل منتظم تقريباً على سطح آيو وفق خطوط الطول Longitudes ، وتكون محصورة بين خطوط العرض Latitudes الدنيا (قريباً من خط استواء آيو) . وتنتمي نافورة بيله ، وشبيهاتها من حيث عنف النشاط البركاني ، إلى صنف من البراكين أطلق عليه العلماء اسم (**براكين الدرجة الأولى**) ، وتتميز بطاقتها العالية وعمرها القصير .

وباستخدام القياسات التي تم الحصول عليها بواسطة مطياف الأشعة تحت الحمراء المحمول على المركبة فوياجور الأولى ، تمكن **جون بيرل** John pearl **من (الناسا)** من تقدير درجة حرارة فوهة بيله ستمائة وخمسين



درجة مئوية . والشذوذ الوحيد الذي سجل في مجال التوزيع الجغرافي للنوافير تمثل باتحاد زوج من النوافير التسع ليشكلا نافورتين متجاورتين تفصل بينهما هيئة تشبه المخروط البركاني ، وتقعان قريباً من البقعة السوداء المسماة **لوكي LOKI** ، والظاهرة الغريبة التي أظهرها أثناء اقتراب المركبة فوياجور الأولى منها تمثلت بالتغيرات الكبيرة في ارتفاع المواد المقذوفة .

أما (**براكين الدرجة الثانية**) فتتمثل بالنوافير التي ترسب حلقات من المقذوفات قطرها ٣٠٠ كيلومتر ، ويستمر نشاطها لعدة سنوات ، ويكون نشاطها مصحوباً بتحرير مقدار أقل من الطاقة ، إذ قدرت درجة حرارة فوهاتها بأربعمائة درجة مئوية ، ومن أهم الأمثلة عنها **نافورة بروموثيوس Promotheus** التي تبعد بخمس درجات جنوب خط الاستواء .

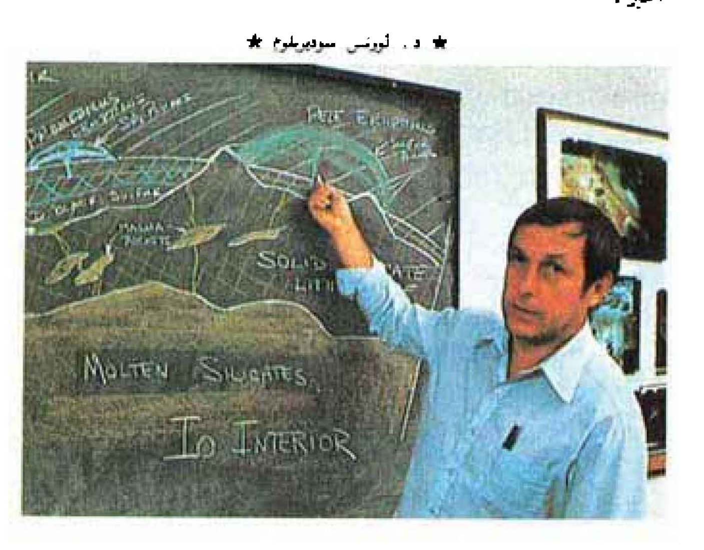
وافترض كل من **ماك أوين Mc EWEN** وسودير بلوم **SODER BLOM** بأن التباين في شدة النشاط البركاني للمواد المقذوفة يعود للعلاقة المعقدة بين لزوجة Viscosity ودرجة حرارة الكبريت ومركباته ، فالنوافير الصغيرة **كبروموثيوس** مثلاً تتشكل عندما يقوم الكبريت الأحمر السائل بتسخين ثاني أوكسيد الكبريت السائل الذي يكون على تماس معه تحت قشرة آيو فيتبخر ويندفع عبر الفوهات تحت ضغط منخفض نسبياً . أما النوافير الضخمة كنافورة بيله فتتشكل عندما تقوم الصخور السيليكاتية المنصهرة بحمل كل من الكبريت وثاني أوكسيده على التبخر بسرعة تحت درجات حرارة تتراوح بين ٧٠٠ و ١٢٠٠ درجة مئوية ، مما يؤدي إلى اندفاع البخار من الفوهات بقوة . ومما يعزز هذا الرأي هو أن الصور التي أرسلتها فوياجور أكدت وجود الجبال النائتة فوق سهول آيو . التي افترض أنها تتألف من الصخور السيليكاتية ، لأن جبلاً من الكبريت لن يكون متماسكاً للدرجة التي تجعله يتحمل وزنه ، خاصة أن بعض هذه الجبال يزيد ارتفاعه عن عشرة كيلومترات .

الكالديرات البركانية
VOLCANIC CALDERAS

وهي هيئات بركانية أشبه ما تكون ببحيرات الحمم البركانية المتجمدة التي تنشأ كنتيجة لتكسر الطبقات وانهدامها على مستوى الصدوع . والكالديرات كثيرة التواجد على الأرض ، أما على سطح آيو فكانت من أكثر التراكيب السطحية وضوحاً في الصور التي أرسلتها مركبتا فوياجور ، ولقد لوحظ التشابه الكبير بين كالديرات آيو والأرض فيما عدا فرق واحد وهو أن كالديرات آيو أكبر سطحاً من مثيلاتها على الأرض حيث يبلغ متوسط قطر الكالديرة ٢٠ كيلومتراً ، كما تتميز بالتدفق المستمر لحممها ، وعلى عكس النوافير ، فإن كالديرات آيو تتركز من حيث توزيعها على خطوط العرض العليا بعيداً عن خط الاستواء .

والحوار حول طريقة تشكل الكالديرات فوق آيو اتسم بطابع الاختلاف في وجهات النظر بين العلماء ، لذا فإن هناك نموذجان مختلفان لشرح طريقة تشكلها وهما (**نموذج الكبريت Sulfur Model**) و (**نموذج السيليكات Silicate Model**) ، ويفترض النموذج الأول ، الذي وضعه **كارل ساجان Carl Sagan من جامعة كورنيل** ، بأن برك الكبريت السائل تحت السطحية هي المسؤولة عن تدفق لافات الكبريت إلى السطح لتتوزع على جوانب الكالديرات ، فهذا النموذج يرتكز على الافتراض بأن السائل البركاني الذي يملأ الكالديرات هو الكبريت وليس البازلت Basalt وباقي الصخور السيليكاتية . وفي النموذج الثاني الذي وضعه كل من **هارولد مازورسكي HAROLD MASURSKY وميشيل كار MICHAEL CARR** ورفاقهما من معهد المساحة الجيولوجية الأميركي ، تعد الكالديرات صورة من صور البراكين السيليكاتية التي تحاكي تلك التي تحدث على الأرض ، والفرق الوحيد بينهما يكمن في أن تدفق السيليكات على سطح أيو يكون مصحوباً بلطخات من الكبريت . ولكل من الرأيين ما يعززه ، فنموذج الكبريت يعززه توافر الكبريت بكثرة على سطح أيو الذي لا شك فيه ، كما أن التغيرات المتعاقبة التي يظهرها الكبريت من حيث لونه ولزوجته عند تسخينه لدرجات حرارة مختلفة ، تتفق مع تعدد الألوان في أرجاء معظم كالديرات آيو ، وتعد كالديرة **را باتيرا RA PATERA** أفضل الأمثلة عن ذلك ، فلقد افترض ساجان بأن القطاعات المظلمة في مركز **را باتيرا** تمثل الطور الأسود Blacla Phase للكبريت المنصهر ، وفروع التدفقات البركانية التي تشبه أصابع اليد الطويلة والمتفرعة عن الكالديرة تمثل جداول Streams طوري الكبريت الأحمر والبرتقالي الأكثر لزوجة والأقل حرارة . أما نقاط الضعف التي تكمن في هذا النموذج ، فتتمثل في أن سلوك الأطوار المختلفة للكبريت تحت الظروف التي تسود فوق أيو ليست مؤكدة ، ويصعب التحقق منها في المخبر .

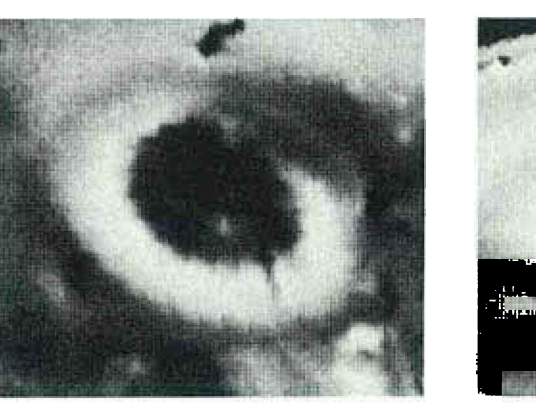
★ د. لورنس سودربلوم ★



★ بيله PELE . أول بركان تم اكتشافه على أيو منذ زمن بعيد ★

أما أصحاب نموذج السيليكات فيعززون رأيهم استناداً إلى الخصائص الطوبوغرافية الثابتة لسطح أيو من حيث جباله التي ترتفع عدة كيلومترات . وكالديراته التي يتراوح عمقها بين اثنين وثلاثة كيلومترات . فالحفاظ على هذه الهيئات الطوبوغرافية يكون مستحيلاً لو كان الكبريت هو المادة السائدة على السطح . مما يقتضي وجود قشرة أكثر صلابة وتماسكاً . وهذه القشرة لا بد أن تتألف من السيليكات .

والعقبة الأساسية التي يواجهها الجيولوجيين لإثبات صحة أي من النموذجيين . تكمن في أنهم لا يمتلكون حتى الآن إلا على خبرة شخصية





★ بروموثيوس PROMOTHEUS مثال عن النوافير الصغيرة التي تنتمي إلى (براكين الموجة الثانية) الأبرد والأطول عمراً ★



★ كالديرة ماسوباترا MAASAW PATERA ، يبلغ قطرها ٥٠ كم ★

محدودة حول الكبريت كسائل بركاني ، فالتدفقات البركانية للكبريت على سطح الأرض نادرة جداً ، وهي تحدث فقط عندما تقوم الحمم البركانية السيليكاتية الحارة بصهر عروق الكبريت النادرة الوجود في طبقات القشرة الأرضية .

وبعد ، فإن الدراسات والكشوف المتعلقة بهذا القمر العجيب تحظى باهتمام الكثير من العلماء ، وعلى الخصوص أولئك الذين ينكبون حتى الآن على تحليل القياسات المتعلقة بالأشعة تحت الحمراء الصادرة عن أيو ، التي أرسلتها مركبتا الفضاء فوياجور الأولى والثانية ، وذلك بهدف الربط بين المعلومات التي تم الحصول عليها من هاتين الرحلتين وتلك المعلومات التي سيتم الحصول عليها عند إطلاق المركبة الفضائية الجديدة التي سترسل باتجاه نظام المشتري ، وأطلق عليها جاليليو ، ويرجح إطلاقها عام ١٩٨٦ م ، ومن المقرر أن تدخل ضمن نظام المشتري في أغسطس (آب) من عام ١٩٨٨ م ، وسوف تتضمن مهمتها الدوران حول المشتري لمدة عشرين شهراً ، تقدم خلالها معلومات مفصلة حول الكوكب وحقله المغناطيسي وأقماره ، بواسطة جملة من الأجهزة الراصدة المتطورة . وفي طريقها إلى المشتري ستمر جاليليو في نقطة تبعد ١٠٠٠ كيلومتر عن سطح آيو ، وهي أقرب بعشرين مرة من المسافة التي وصلتها المركبتان فوياجور ، ومن المقرر أن تقوم المركبة الجديدة برسم خريطة شاملة لسطح أيو تفوق بوضوحها تلك التي رسمت للأرض بواسطة القمر الصناعي **لاندسات LANDSAT** .

والسؤال الذي يجدر طرحه هو : هل ستجيب جاليليو عن التساؤلات التي يطرحها العلماء حول هذا القمر العجيب . . . . ؟ أم إنها ستطرح المزيد من الأسئلة المحيرة كما فعلت سابقتاها فوياجور الأولى والثانية . . . ؟ .

المراجع

(1) **"Io"** By Torrence V. Johnson and Laurence A. Soderblom. "Scientific American" Magazine Volume 249 December 1983 pages 60 – 71

(2) **"Melting of Io By Tidal Dissipation"** S.J. Peale, P.Cassen and R.T. Reynolds in "Science" Magazine. Vol 203 No: 4383 pages 892 – 894. March 2, 1979.

(3) **"The Galilean Satellites and Juppiter: Voyager 2, Imaging Science Results"** Bradford A. Smith, Laurence A. Soderblom In "Science" Vol 206 No: 4421 pages 927 – 950, November 23, 1979.

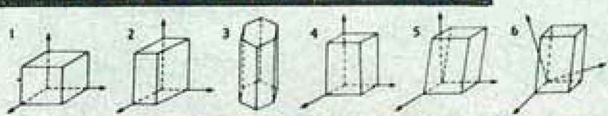
(4) **"Heat Flow From Io"**, Dennis L. Matson, Gary A. Ransford and Torrence V. Johnson in "Journal of Geophysical Research". Vol 86, No: B3 pages 1664 – 1672 March 10, 1981

(5) "The Galilean Moons of Jupiter", Laurence A. Soderblom in "Scientific American", Vol 242 No: 1. pages 68 – 83, January, 1980.

(6) **"The Role of So2 in Volcanism on Io"**. B.A. Smith, E.M. SHOEMAKER, S.W. KIEFFER and A.F. Cook in "Nature". Vol. 280, No: 5725, pages 738 – 743, August 30, 1979







جمال رائع وتركيب مدهش .. في ذرة ملح

عندما يفرغ أحدنا محتويات علبة الملح الإنكليزي المسهل (ملح إبسوم) في وعاء ما، يظنه ملح الطعام العادي الذي نستعمله جميعاً كل يوم، إذ إنه يبدو للعين المجرّدة على شكل جدول من البلّورات Crystals البيضاء التي تشبه تماماً بلّورات ملح الطعام العادي.. ولكن ما خفي عن العيون هو أعظم.. فبديع صنع الله (جل جلاله) وإعجاز خلقه يتجلّى لنا في هذه النماذج من التراكيب الشكلية والهندسية البديعة الرائعة الأخّاذة التي يعجز الكلام عن وصف سحرها وفتنتها وما توقعه في النفوس من أثر.

هذا الجمال الرائع لبلّورة ملح، يتخفّى عن عيوننا المجردة، ويبقى الفضل لإظهاره لعيون الميكروسكوب المزوّد بجهاز لاستقطاب polarized الضوء الذي استطاع أن يكشف لنا ما أودعه الله (جل جلاله) في ثنايا تراكيب ذرة الملح الداخلية لملايين السنين من إبداع وإعجاز؛ فبلّورات ذرة الملح (الصورة) تبدو لنا بأشكال كأنها الريش المتنوع الأشكال، المليء بالألوان المختلفة، وحواف مستقيمة حادة كنصال الشفرات، وتداخلات تركيبية صممت ونفذت بقدر، لا يعلم معناها إلا من خلقها (سبحانه).

وملح إبسوم Epsom اكتسب هذا الاسم من نسبته إلى مدينة (إبسوم) في مقاطعة (سورري) في إنكلترا، حيث يجمع من ترسّبات المياه المعدنية المتبخّرة التي أول ما اكتشفت في عام (١٦٩٥م)، ويعرف الكيميائيون هذا الملح باسم (إبسوميت) أو (ماءات كبريتات المغنزيوم) الذي ينتمي لنفس رتبة البلّورات التي منها أحجار التوباز الكريمة مختلفة الأشكال والألوان.

والمركّب الكيميائي، عادة، لا يتخذ الشكل البلّوري إلا تحت تأثير ظروف معيّنة مثل التبخّر أو التجمّد الذي يحوّله من حالته السائلة أو الغازية إلى الحالة الصلبة. وفي الطبيعة، عندما تُجبر الصخور الذائبة على الاندفاع خلال الشقوق في القشرة الأرضية وتصعد إلى سطح الأرض، يبرد هذا الصهير البركاني بعد ملامسته للهواء الخارجي، وتدريجياً تتكتّل المواد الكيميائية في الصخور الذائبة لتشكّل البلّورات التي نرى أشكالا عديدة منها على الأرض، ومنها على سبيل المثال الأحجار الكريمة وشبه الكريمة والأملاح والزجاج. وحجم التراكيب البلّورية يكون عادة مرتبطاً بنسبة التبريد الحاصل للصهير، والمدة الزمنية التي استغرقتها عملية تبريده، وكلما كان التبريد للصهير سريعاً نتج عنه أحجام بلّورات دقيقة.

إن أية بلّورة من البلّورات في الطبيعة يمكن تصنيفها بحسب نوع التناظر (التماثل symmetry) الذي يظهر عليها، فبلّورات ملح الطعام لها أساس تناظر مكعبي، وتنتمي إلى رتبة البلّورات المتساوية القياسات، بحيث يتقابل كل وجه من أوجه أية بلّورة مع أوجه البلّورة الملاصقة لها بزاوية قائمة تساوي (٩٠) درجة، وبحيث تتّخذ شكل هرمين متلاصقين من جهة قاعدتيهما المربعتين، وليتشاركا في قاعدة مربعة واحدة، والأحجار الكريمة مثل الألماس تشملها هذه الرتبة، والزركون (سيليكات الزركونيوم Zircon) حجر شبه كريم يصنّف مع الألماس، وهو عضو في رتبة رباعي الزوايا والأضلاع tetragonal التي أساسها تناظر الموشور الرباعي. والكسف (الرقائق) الثلجية snowflakes هي واحدة من أحسن الأمثلة المعروفة لرتبة مسدسات الأضلاع hexagonal التي أساسها تماثل الموشور السداسي، ومن هذه الرتبة أيضاً أحجار الياقوت والزمرد والصفير، وأيضاً الماء المتجمّد، وأملاح (الإبسوم)، وأحجار (التوباز) الكريمة أعضاء في رتبة المعين المستقيم orthorhombic التي أساسها تناظر الموشور القائم (المتعامد).

وأملاح الإبسوم تعرف أيضاً باسم (ماءات كبريتات المغنزيوم)، وكلمة ماءات تعني رقم جزيئات الماء (وهو سبعة جزيئات هنا) التي تتّحد مع جزيئة كبريتة مغنزيوم واحدة لتشكّل بلّورة ملح الإبسوم.

والرسوم من (١) إلى (٦) هي على الترتيب: متساوية القياسات، رباعي الأضلاع، مسدّس الأضلاع، المعين المستقيم، أحاديّة الميل، ثلاثية الميل.

اكتشافات علمية • اكتشافات علمية • اكتشافات علمية •

كـون
COSMOS

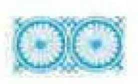


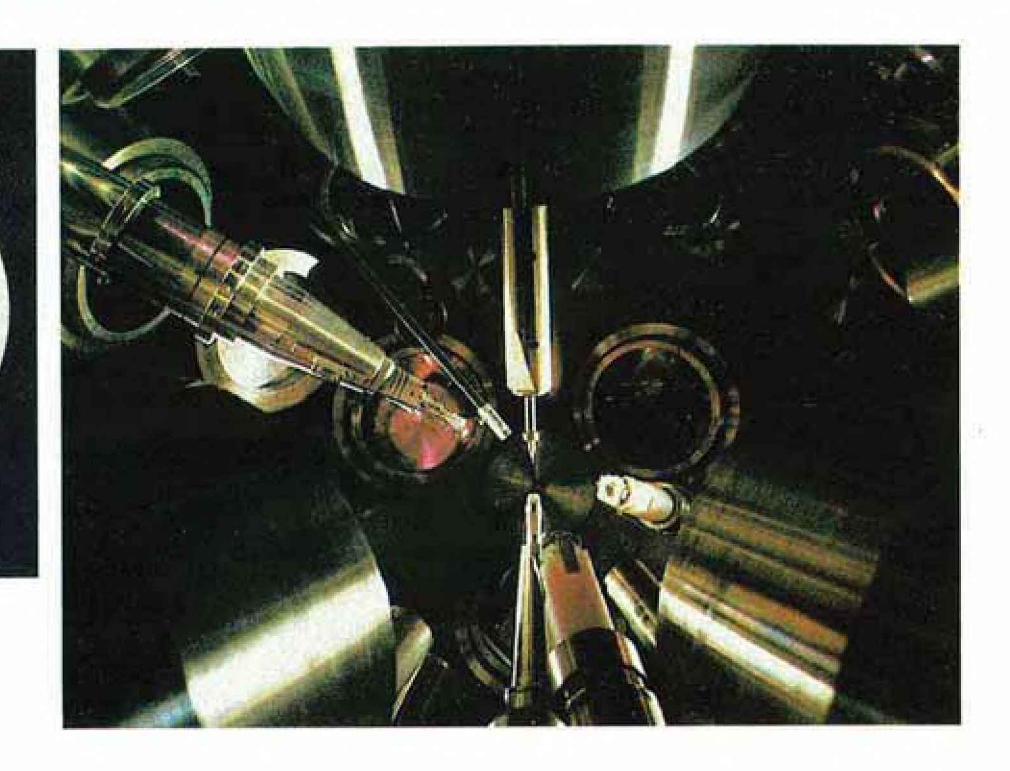
مع إنه قد عثر على المئات من النجوم النابضة (**البولسارات Pulsars**) أو - **النجوم النيوترونية** - منذ أن تمّ اكتشاف أول نجم نيوتروني عام (١٩٦٨م)، إلا أن شعاع الضوء المرئي الذي ينبعث منها لم يُشاهد إلا من نجمين منها صغيرين يدوران بسرعة مذهلة، وهما موجودان في مجرّة بيتنا الكبير الأرض، مجرّة درب التبّانة Milky Way، وهما النجم النيوتروني الموجود في سديم السرطان Crab Nebula الشهير الذي يبعد عنّا بحوالي (٧) آلاف سنة ضوئية، وهو بقايا **أشهر سوبرنوفا** Supernova في التاريخ الذي انفجر عام (١٠٥٤م)، (السوبرنوفا ظاهرة كونية مثيرة تحدث عندما ينفجر النجم فجأة)، وانفجار السوبرنوفا ينتج عنه النجم النيوتروني (**البولسار**)، والنجم النيوتروني الآخر يوجد في **كوكبة فيلا** Constellation Vela.

وقد استطاع علماء الفلك أخيراً تصوير لمعان وتسجيل نبضات تصدر من نجم نيوتروني يقع خلف مجرتنا درب التبّانة لأول مرة، وكان الوميض قد عبر مسافات شاسعة حتى وصل إلى الأرض، وقدّرت هذه المسافات بـ (١٥٠) ألف سنة ضوئية، أو ما معادله: (١٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) كيلومتر، لأن السنة الضوئية تعادل (١٠ ملايين مليون كيلومتر)، وهذا البولسار يتوضّع في **سحابة ماجلان** الكبرى (التي نشاهدها في الصورة)، وهي الجار الأقرب لمجرتنا درب التبّانة وتبعد عنها بـ (١٨٠) سنة ضوئية.

وقد اكتشف هذا البولسار أولا في الربيع الماضي من قبل علماء فلك من **جامعة (كولومبيا)**، **وجامعة (هارفارد - سميثونيان)** الذين سجلوا نبضات **لأشعة (X)** تنبعث من الغاز الساخن في سحابة ماجلان الكبرى، وظنّوا في أنها قد تكون بقايا نجم متفجّر، ولكن علماء الفلك وعلى رأسهم العالم (**كارل بيني باكر**) من **جامعة كاليفورنيا** في (**بيركلي**) استطاعوا أن يلتقطوا صوراً ذات سرعات عالية في التلسكوب ذي المرآة بقطر أربعة أمتار في المرصد الأميركي (**سيروتولولو أنتر أميريكان**)، الموجود في **تشيلي** لهذا النجم النابض، وأكدوا بأن هذا نجم نيوتروني (بولسار) يومض (٢٠) مرة في الثانية، مع فاصل بين الومضات يمتد لـ (٤٠) من البليون من الثانية على الدوام.

وتنشأ نبضة النجم النيوتروني عادة نتيجة لدورانه السريع المذهل حول نفسه، فكل مرة يدور فيها حول نفسه تصدر منه نبضة يلتقطها التلسكوب الراديوي على الأرض وقد يُتمّ الدورة في جزء من ألف من الثانية، ثم ومع مرور ملايين السنين يحصل تناقص في النبضات، ثم تتلاشى هذه النبضات تماماً ويصمت النجم إلى الأبد.







طاقة Energy

في الصورة إلى اليمين نرى كرة زجاج معلّقة بين سلكين في سمك شعرة رأس الإنسان ، ونرى في الصورة العلويّة حزم أشعة بقوّة (١٢) تريليون (مليون مليون) واط لـ (٢٤) لبزر في جهاز الاندماج التجريبي في **مختبر جامعة روشستر** لاختبار طاقات الليزر ، وقد ملئت كرة الزجاج المجوّفة بنوع من **غاز الهيدروجين** ، ووضعت بين خطّين من أسلاك الحرير يشبهان خيوط العنكبوت ، وهما أرفع من أسلاك الزجاج ولكن أقوى ، وقد دهنا بمادّة لزجة لتلتصق بها الكرة .

وبقذف الكرة الزجاجية بالإلكترونات (**أشعة ألفا**) ارتفعت درجة حرارتها بتأثير الإشعاع حتى (٩٠) مليون درجة مئوية ، وحصل انفجار داخلي أدّى إلى اندماج ذرّات الهيدروجين ومن ثم تحولها إلى **هيليوم** ، وانطلاق الطاقة ، وهذا هو نفس مبدأ **التفاعل النووي الحراري** الذي تشعّ فيه الشمس الحرارة والنور .

القرود

منذ (٥٠) عاماً تقريباً ، اكتشفت أجزاء من هيكل عظميّ للقرد المسمّى procon-sul africanus ، ثم اكتشف هيكل عظميّ كامل له على أساس أنه الجدّ الأوّل للقرود البدائيّة التي ظهرت على سطح الأرض ، منذ (١٨) مليون عام ، وقبل فترة طويلة من ظهور **الرئيسيّات primate** التي هي رتبة من الثدييات ، والتي كانت أحجام أجسامها بحجم القطّة الحاليّة ، وتعيش في غابات شرقي إفريقيا وبين أعشاب السافانا الاستوائية .

والاكتشاف الجديد الذي يمكن أن يساعد على إلقاء الضوء على فترة حياة القرود apes الأولى على الأرض هو ما اكتشفه الباحث عن **المستحاثات المتمرّس (بيتر نزوكي Peter Nzuke)** الذي عثر على خمسة هياكل عظميّة رائعة لم تمسّ للقرد proconsul في **جزيرة (روسنجا)** في غربي **كينيا** ، وكان انطباع العالم بعلوم الإنسان الشهير (**ريشارد ليكي Richard Leakey**) مدير المتحف القومي الكيني عن هذا الكشف الكبير أن قال عنه : « إنه واحد من أهم اكتشافات العصر المثيرة ، حيث يتيح لنا معرفة لا مثيل لها لحياة القرود الأولى على الأرض » .

والعالم (**ليكي**) ومساعده عالم التشريح (**آلان وولكر Alan Walker**) من **جامعة جون هوبكنز** كانا مسرورين جداً ، لأن هذه الهياكل العظميّة الخمسة وجدت سليمة ولم تمسّ ، ولأن الأيدي والأرجل خاصة كانت على حالتها الطبيعية رغم مرور (١٨) مليون عام على وجودها على الأرض ، وهذا بالتالي سيساعد كثيراً على إيجاد الجواب للسؤال المهم وهو :

متى بدأت مرحلة التحوّل في حياة القرود الأولى على الأرض ، حين انتقلت من مرحلة القرود متسلّقة الأشجار إلى مرحلة القرود التي تتحرّك على اليابسة ؟



اللوحة: من الفولكلور السعودي

● تصور الفنانة الباكستانية موبينا عارف مشهداً من الفولكلور السعودي، مشهداً أثار اهتمامها، وحرك مشاعرها، فأحالته إلى لوحة تشكيلية، وهو مشهد لقارعي الطبول الذين يعزفون بمهارة على آلاتهم الموسيقية أنغاماً وألحاناً شجية يرقص عليها الراقصون تلك الرقصات الفولكلورية.. أي أن الموضوع في اللوحة هو تصوير مشهد من البيئة السعودية الغنية بالمشاهد الفولكلورية.

● اهتمت الفنانة بإبراز الجانب التعبيري في المشهد بتصويرها الحركة والانفعال، أو الحركات التي يتميز بها قارعو الطبول نتيجة انفعالهم أثناء العزف، ولم تصور ذلك بإبراز التعبير المباشر الصادر عن التفاصيل الدقيقة لملامح الوجوه، وإنما صورته بإبراز التأكيد على اتجاهات حركة المشخصات إلى أعلى وأسفل، وحركة الأيدي التي تقرع الطبول، وذلك بلمسات فرشاة قوية، جريئة، مشبعة بالألوان، تحمل شحنة انفعالية قوية، لتنقل تأثيرها إلى المتلقي بنفس درجة الإيقاع الصوتي.

● حققت الفنانة الاتزان في اللوحة عن طريق اتزان الكتل «الحجوم»، والاتزان في المساحات اللونية الباردة والدافئة (الأحمر والأصفر، الأزرق والبنفسجي) والاتزان في العلاقات الخطية.. كما أن الفنانة أحالت الكتل والمشخصات إلى مساحات لونية متباينة ذات طبيعة نغمية، وهو ما هدفت إليه الفنانة، وهو إحالة موضوع لوحتها إلى علاقات تشكيلية جمالية.

● رغم تكرار المشخصات في اللوحة إلا أن الفنانة لم تصورها من خلال الالتزام بقواعد المنظور سواء من حيث الحجوم أو الدرجات الفنية، وإنما قد صورت مشخصاتها بنفس الأحجام وبنفس الدرجات اللونية.. كما لم تعتمد الفنانة في استخدامها الأضواء والظلال على القاعدة الكلاسيكية، وإنما أحالت الأضواء والظلال إلى مساحات لونية ذات درجات متباينة «فاتحة وداكنة».. وقد استخدمت الفنانة التشويه الفني بعدم التزامها بالنسب التشريحية، وبلمساتها القوية التي تحيل التجسيم «الفورم» إلى مسطحات، وذلك في تكوين فني مترابط ومتماسك من الناحية البنائية في مجال البعدين.

★★



الفنانة: موبينا عارف يعقوب

● ولدت في «روالبيندي» في باكستان عام ١٩٥٨م.

● أنهت دراستها الثانوية في مدينة «لاهور».

● حصلت على دراسات في الرسم والألوان المائية من كلية الفنون بلاهور.

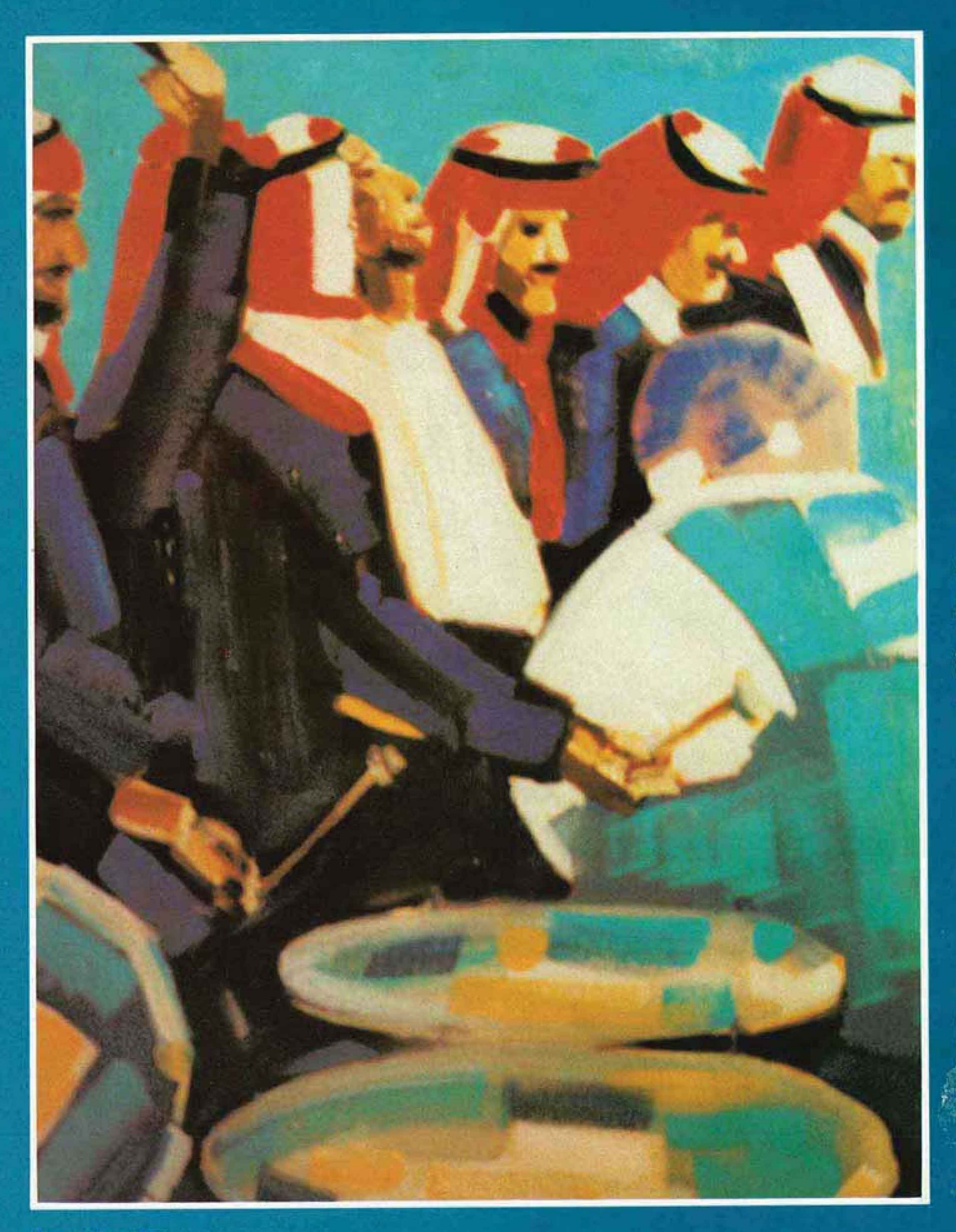
● سافرت إلى إنجلترا عام ١٩٧٥م، حيث أنهت دراساتها الفنية في كلية «جوهان كاس للفنون» بلندن عام ١٩٨١م.

● حصلت على دراسات في المناظر الطبيعية، والطبيعة الحية، في معهد «كامدن» للفنون.

● تعيش بالمملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٨٢م.

● عضوة في جمعية الرياض للفنون، وشاركت في عدة معارض محلية.

● تستخدم الألوان الزيتية والمائية وألوان الأكريليك في تصوير لوحاتها.



الرحالة العربي الشهير

أبو عبدالله محمد بن محمد الادريسي ، هو رحالة عربي عاش في القرن الثاني عشر للميلاد وتنقل في كافة أرجاء أوروبا وبلدان حوض البحر الابيض المتوسط حتى انتهى به المطاف في قصر الملك روجر الثاني عام ١١٣٨ حيث قام بوضع أول خارطة علمية للعالم آنذاك .

كان ذلك في العصور القديمة .. أما اليوم فقد عرفنا رحالة من نوع آخر يجوب أقطار الأرض بكل ثقة ودقة وأمان ويصل إلى أكثر من ٤٠ محطة حول العالم .

هذا الرحالة العصرى هو الخطوط الجوية العربية السعودية بأسطولها الحديث من الطائرات النفاثة الضخمة وملاحيها الخبراء المدربين وخدماتها التي لا تضاهي .

الخطوط الجوية العربية السعودية هي امتداد لخبرة ضاربة في القدم .. ترحب بكم وتدعوكم للسفر معها والتمتع بخدماتها العربية الأصيلة .



الرياض : ٢٢٢٢ ٤٧٧ جدة : ٣٣٣٣ ٦٣٢ الظهران : ٣٣٣٣ ٨٩٤

للمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بأقرب وكيل معتمد للسفر أو بمكاتب السعودية .

أبو ظبي ٨٢٣٤٠٠ • الجزائر ٦١٤٠٠٤ • عمان ٦ /٣٩٣٣٣ • بغداد ٨٨٨١٢٦٩/٨٨٨٣٥٥٤ البحرين ٢٦٢٨٨٠ • بيروت ٣٥٠٣١٤ • القاهرة ٧٤١٢٠٠/٧٤١٩٩٩ • الدار البيضاء ٣١٣٥٣٥ • دمشق ٢١٤٠٥٢/٤٣٥٩٤٠/١ • الدوحة ٤٣٣٦٥٥/٩ • دبي ٢١١١٦٤ الخرطوم ٨٠٤١٦/٨٠٤١٣ • الكويت ٤٢٦٣٠٧/١٠ مسقط ٧٠٢٥٠٥ • صنعاء ٢٤٠٩٥٨/٩/٠٦ • الشارقة ٣٥٧٣٢٣/٤ • طرابلس ليبيا ٤٦٤٦٨/٤٨٠٠٧ تونس ٣٤٥٥٥٥



بقلم : د . أحمد كرزة



يعدُّ الكوليسترول من المركبات الهامة الداخلة في تركيب جسم الإنسان . إذ يوجد في أماكن متعددة منه . لكن الموضع الهام لوجوده هو «بلازما الدم» . وكثيراً ما نسمع في حياتنا اليومية عن أناس قد تعرضوا لبعض الأمراض والأزمات القلبية ، فإن سببها ارتفاع في معدل كوليسترول الدم عندهم عن حده الطبيعي . ونتيجة لذلك نصحهم الأطباء بالإقلال من تناول المواد الدهنية والشحمية بشكل خاص ، والاستعاضة عن تلك الأغذية الدسمة بزيوت نباتية ذات مواصفات معيّنة . إن هذا يعني بأن الكوليسترول يكثر وجوده في المواد الدسمة ذات القوام الصلب (الشحوم والدهون) ويقل في الدسم التي لها قوام سائل (الزيوت النباتية) .

هل للكوليسترول هذا التأثير الضار البالغ الأثر على جسم الإنسان ؟ وهل هذا المركب الداخل إلى أجسامنا مع الغذاء يسبب أمراضاً خطيرة على صحتنا كتصلب الشرايين وأمراض القلب مثلاً . . . ؟ أم هل لوجود الكوليسترول في الجسم وظائف معيّنة تستفيد منها الأعضاء المختلفة ؟ .

ربما كان عنوان هذا المقال جواباً مختصراً . وكافياً على هذين السؤالين في وقت واحد . فالكوليسترول ليس ذلك المركب الضار كما يتصوره كثير من البشر ، وإنما له وظائف هامة جداً ، حيث يستفيد منه بعض أعضاء الجسم لتستطيع القيام

الكوليسترول

بأعمالها الحيوية المنوطة بها على أتم وأحسن شكل . فنه يُصطنع عدد من المركبات الكيميائية ذات الشأن الهام والعظيم في الجسم . وستعرّف من خلال هذه الأسطر القليلة على دور الكوليسترول في أجسامنا .

يُخالط الكوليسترول دم الإنسان منذ ولادته ، **وتبيّن التحاليل الكيميائية الطبية بأن معدل الكوليسترول في دم الأطفال حديثي الولادة منخفض نسبياً ، ويبدأ بالازدياد تدريجياً خلال السنة الأولى والثانية والثالثة ، وبعدها يبدأ هذا المعدل متأرجحاً في مجال ثابت معيّن خلال حياة هذا الإنسان .. إلا أنه يزداد قليلاً عن حده الطبيعي في فترة الشيخوخة . وهذا ما أثبت طبياً بأن كوليسترول دم الكبار (أعلى من ٥٠ ـ ٦٠ سنة) هو أعلى من كوليسترول دم الشباب .**

بقي أن نتساءل : كيف تسنى للكوليسترول أن تزداد نسبته في دم الطفل الرضيع خلال السنتين الأولى والثانية من حياته ، في حين أن حليبه الذي يتغذى عليه خالياً من الكوليسترول ؟ إن هذا يعني أن مثل هذا المركب وغيره ، يجري تصنيعها في الجسم ، وهذا ما سنوضحه فيما بعد .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى ان معدل الكوليسترول في دم الإنسان يتعلق بصورة كبيرة بنوعية الراتب الغذائي المتناول خلال عمر هذا الإنسان . فالإحصائيات العالمية حول هذا الموضوع تبيّن كيف أن معدل الكوليسترول في دم الشعوب الأوروبية بشكل عام هو أخفض من معدله في دم الشعوب الشرقية مثلاً . حتى إن هذا المعدل لجماعة من البشر في دولة واحدة يختلف باختلاف المناطق الجغرافية لهذه الدولة .

المواد الغذائية الغنية بالكوليسترول

يوجد الكوليسترول ، بشكل عام ، في جميع المشتقات الغذائية الدسمة ، ولكن بنسب متفاوتة . فالدهون والشحوم ذات المصدر الحيواني والزيوت ذات المصدر النباتي تحوي جميعها على الكوليسترول . وتكون نسبته أعلى في الدهون والشحوم ، وأقل بكثير في الزيوت . ولذا تحاول شعوب العالم المتمدن الإقلال من تناول الدهون والشحوم . وإذا ما علمنا ، من جهة أخرى ، بأن جسم الإنسان في الظروف الطبيعية يحتاج في تغذيته إلى حوالي (٥٠ ـ ٦٠) غراماً من الدسم يومياً ، وأن هذه الكمية مهما كان مصدرها لا بد أن تحوي على الكوليسترول كثرت كميته أم قلّت . **فما مصير الكوليسترول في القناة الهضمية بعد دخوله إلى الجسم ؟ .**

تبيّن الدراسات الطبية في هذا الصدد بأن كمية الكوليسترول الداخلة إلى القناة الهضمية عند الإنسان لا تتجاوز ٠,٣ غرام يومياً . ومع أن هذه الكمية متدنية في الصغر ، إلا أنها لا تُمتص بكاملها من قبل الأمعاء ، وإنما يتعرض القسم الأعظم من هذا الكوليسترول ، ذو المنشأ الغذائي ، لبعض التحولات في المعي الدقيق ، حيث ينطرح منها بعد أن يمر بالمعي الغليظ إلى الوسط الخارجي مع البراز . إذن هذا برهان آخر على أن كمية الكوليسترول في الجسم غير مرتبطة ، إلى حد كبير ، بدخوله من الوسط الخارجي مع الأغذية الدسمة ، ولذا فإن هناك أعضاء متخصصة في الجسم تقوم بتصنيعه .

بقي أن نقول إلى هؤلاء الأشخاص الذين يعتقدون بأن غذاءهم يجب أن يكون خالياً من الدسم بأشكالها المختلفة ، وذلك لاعتقادهم بأنها مصدر لبدانتهم وازدياد أوزانهم ، ويعوضون عن تلك المواد بأغذية أخرى كالنشويات والبروتينات مثلاً . **إن حذف الدسم نهائياً من الغذاء لا يسمح به طبياً وذلك لما لهذه المواد من فوائد كثيرة في الجسم . وربما كان من أبرزها أنها وسط محل لمجموعة من الفيتامينات (مثل الفيتامينات A و D و E و K) ، وبالتالي يكون تواجد الدهنيات ضرورياً في الأمعاء ، حيث تهيئ ظروفاً ملائمة لامتصاص الفيتامينات . وللمواد الدسمة فائدة هامة أخرى ، وهي أنها مصدر أساسي من مصادر الطاقة في جسم الإنسان** ... ولكن لكل قاعدة استثناء ، **فالأشخاص الذين استؤصلت أكياسهم الصفراوية جراحياً نتيجة لأمراض أصابتهم ، فعندها يجب حذف الدسم نهائياً من أغذيتهم نظراً لعدم إمكانية هضمها ، وبالتالي ستسبّب لهم اضطرابات معوية كبيرة فيما لو دخلت قناة هضمهم .**

نعمة الكوليسترول في الجسم

ربما كانت نعمة الكوليسترول في جسم الإنسان نعمة لا تقدّر بثمن . فمهما كان الاعتقاد بأن زيادة الكوليسترول في دم الإنسان هو أحد الأسباب الرئيسية لأمراض تصلب الشرايين والأوعية الدموية ، وبشكل خاص الشرايين التاجية التي تغذي العضلة القلبية ، فإن للكوليسترول فوائد جمة في الجسم . إلا أن الفئات الأخرى من المواد الدسمة في الواقع تشترك بصورة فعالة في نشوء وتطور أمراض الأوعية الدموية . من هذه الفئات نذكر بصورة أساسية الشحوم المعتدلة (التي تُعرف كيميائياً باسم الغليسريدات الثلاثية Triglycerids) التي تبدأ بالتجمع فعلاً مع الكوليسترول على جُدر الأوعية الدموية من الداخل مما يؤدي إلى تضييق فتحتها ، وبالتالي يصعب مرور الدم من خلالها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشحوم تقوم بدور هام جداً في الجسم ، وذلك كمصدر للطاقة . فهي إلى جانب السكاكر ستحترق في الأعضاء المختلفة لتعطي نتيجة لذلك الطاقة التي يُستفاد منها لأغراض حيوية مختلفة . ومن المعروف أيضاً أن احتراق غرام واحد من الدسم يعطي ٩,٣ كيلوكالوري ، بينما احتراق مثل تلك الكمية من السكاكر يعطي ٤,١ كيلوكالوري فقط . أما مثل

هذا الدور للكوليسترول في الجسم لم يلاحظ قط. فهو لا يعتبر مصدراً للطاقة مهما كانت حاجة الأعضاء شديدة لها.

فإذا لم يكن للكوليسترول أي دور كمصدر للطاقة، فما هو إذن الدور المفيد لهذا المركب في البدن؟.

في الواقع، يعتبر هذا التساؤل محور الموضوع الذي قصدت إيضاحه في هذا المقال. ويمكن إيجاز دور الكوليسترول في أجسام بني البشر بمحورين أساسيين: **(١) يعتبر مصدراً لاصطناع الحموض الصفراوية** (وبالتالي الأملاح الصفراوية) **في الكبد. (٢) يعتبر مصدراً لاصطناع فئة من الهرمونات ذات الشأن** العظيم والأهمية البالغة في وظائف عدد من الأعضاء في الجسم.

الكوليسترول والصفراء

كيس مرن ممتلئ بسائل أخضر مصفر، موضعه على السطح السفلي في ناحية معيّنة من الكبد يصل بينه وبين المعي الدقيق قناة ناقلة خاصة، يطلق عليه اسم **الحويصل الصفراوي** (أو الكيس الصفراوي أحياناً). إن سائل هذا الكيس من المواد السامة فيما لو بقيت في الجسم نظراً لما تحتوي على مركبات ذات تأثير سمي، وضار على عدد من الأعضاء في أجسامنا. ولكن شاءت حكمة خالق هذه الأبدان وهذا الكون العجيب الذي أحسن تصميم كل شيء صنعه وأبدعه، أن يكون لهذه العصارة الصفراوية Bile فائدة عظيمة خلال انطراحها إلى الوسط الخارجي عبْر الشرج وهي مارة في الأمعاء.

لنبدأ موضوعنا بعد هذه المقدمة القصيرة، لنقول بعبارات بسيطة بعيدة عن التعقيدات العلمية والطبية، إن قصة هذه العصارة هي على النحو التالي: إن القسم الأعظم من تركيب العصارة الصفراوية هو الماء، ولكنها تحوي إضافة إلى ذلك عنصرين رئيسيين هما: الحموض والأملاح الصفراوية أولاً، والأصبغة الصفراوية ثانياً.

(١) الحموض والأملاح الصفراوية:

وهي عبارة عن مركبات تقوم الخلايا الكبدية باصطناعها اعتباراً من الكوليسترول بعد رحلة طويلة وشاقة ومعقدة جداً لهذا المركب، يتدخل فيها عدد من الأنزيمات، تؤدي بالنتيجة إلى إعطاء مجموعة من المركبات تعرف باسم الحموض الصفراوية (ومن أبرزها الحمض الصفراوي Cholic acid) التي ستتعرض لعملية أخيرة ترتبط فيها مع بعض المركبات الآزوتية الخاصة (وهي الغلايسين Glycine والتوأورين Taurine) لتعطي الأملاح الصفراوية التي تنتقل من الخلايا الكبدية إلى الحويصل الصفراوي (انظر الأشكال المرفقة ليتضح لديك الفرق الكبير بين الكوليسترول والحمض الصفراوي من ناحية البنية والشكل). أما الدور الحيوي الهام لهذه المركبات، فهو تأثيرها الكبير في إنجاز هضم المواد الدسمة الغذائية في المعي الدقيق. ومن التجارب الرائدة في المجال الطبي، التي تبرهن على دور الصفراء في هضم الدهنيات والدسم الأخرى، تلك التي أجريت على الكلاب، وذلك عندما استؤصل الكيس الصفراوي تبيّن بأن القسم الأعظم من الدسم الغذائية تخرج من الأمعاء مع البراز إلى الوسط الخارجي دون أن يستفيد منها الجسم. إن مثل هذه التجربة وغيرها تبرهن بصورة قاطعة على دور الأملاح الصفراوية عند الحيوانات، وكذلك الحال عند الإنسان. ولسنا بصدد تفصيل ميكانيكية هذا التأثير للأملاح الصفراوية في هضم الدهنيات، فدارسو العلوم الطبية يعرفونها بصورة جيدة من خلال مناهجهم الدراسية. ونختصر هذا التأثير بكلمات قليلة لنقول إن لهذه الأملاح أدواراً ثلاثة في إنجاز عملية هضم الدسم وهي: (أ) تحويل تلك الدسم الغذائية إلى مستحلب ناعم يسهل امتصاص جزء منه مباشرة عبْر الأمعاء لتنتقل إلى الجملة الوعائية البلغمية. (ب) تقوم الأملاح الصفراوية بتنشيط عمل الأنزيم، الواصل مع العصارة البنكرياسية إلى المعي الدقيق، والمعروف باسم **الليباز Lipase** والذي يحقق عملية هضم الدسم. (جـ) وأخيراً فإن هذه الأملاح تسهل عملية امتصاص الحموض الدسمة Fatty acids، المتشكلة نتيجة لتأثير الأنزيم المذكور، عبْر جدار المعي الدقيق.

وهكذا تُنجز وظيفة حيوية هامة في الجسم ألا وهي هضم المواد الدسمة وبالتالي نستفيد منها، وذلك بفضل الحموض والأملاح الصفراوية في الأمعاء التي قامت الخلايا الكبدية بتصنيعها اعتباراً من الكوليسترول.

(٢) الأصبغة الصفراوية: وهي مركبات صباغية، البعض منها ذو لون أصفر والبعض الآخر ذو لون أخضر. أما مصدر هذه الأصبغة في العصارة الصفراوية فهو **خضاب الدم الأحمر ـ Hemoglobin**، أو بصورة علمية أدق نقول إن تلك الأصبغة تتشكل من تفكّك أحد مكوني الخضاب المعروف باسم الهيم Heme (وهو مركب كيميائي يحوي على الحديد في تركيبه). فبعد انتهاء فترة حياة الكريات الحمر، تتخرب هذه ليتحرر منها خضاب الدم الذي يبدأ بالتفكّك، حيث يعطي القسم الهيمي تلك الأصبغة الخاصة التي تتجمع في الكيس الصفراوي لتنتقل مع العصارة إلى الأمعاء، ومنها إلى خارج الجسم. ولا بد وأن سُمع كل واحد منا عن **مرض اليرقان** الذي يصيب الإنسان، ذلك الداء الأصفر الذي ينشأ نتيجة لاضطرابات في استقلاب الهيم وطرح نواتج تفككه. فنتيجة لخلل معيّن يطرأ إما على عملية تفكّك الهيم، أو على عملية انتقال العصارة الصفراوية إلى المعي، عندها تزداد نسبة الصباغ الأصفر المعروف باسم **البيليروبين Billirubin** في الدم... ويصطبغ جسم المصاب باللون الأصفر... كما أن بعض أنواع مرض اليرقان يعتبر خطراً، ويستدعي علاجاً دقيقاً وعناية طويلة من الزمن، والبعض الآخر ليس على درجة من هذه الخطورة. وعادة تتعلق هذه الأنواع المختلفة لهذا المرض بصورة رئيسية بتنوع الأسباب التي أدت إلى ظهور اليرقان في الجسم.

الكوليسترول

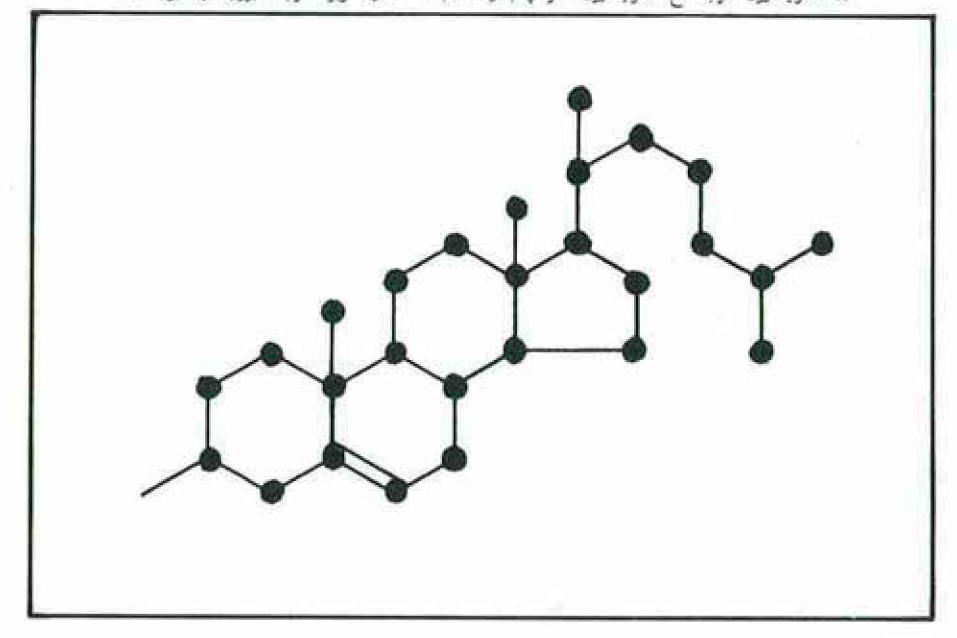
الكوليسترول والهرمونات

إن النعمة الثانية لوجود الكوليسترول في أجسام بني البشر، لا تقل شأناً ولا اهمية عن الأولى، وذلك باستخدامه كمصدر رئيسي لاصطناع بعض الهرمونات في عدد من الأعضاء المفرزة لها. فمن مجموعة الغدد الصم في جسم الإنسان هناك غدتان فقط تستخدمان الكوليسترول كمصدر أولي لاصطناع هرموناتها. هاتان الغدتان هما:

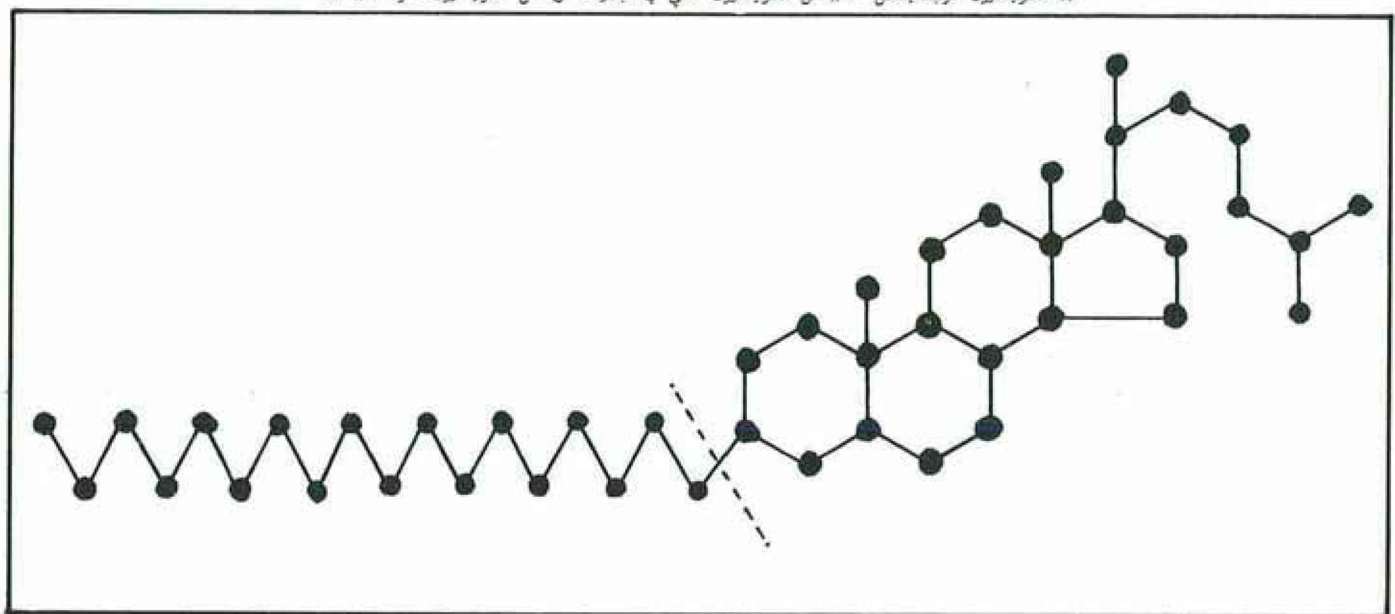
(١) **الغدة الكظرية** (الطبقة القشرية منها فقط) التي تصطنع مجموعة هرمونات من أبرزها الكورتيزول والكورتيزون والألدوستيرون . . . وعند الانتهاء من عملية الاصطناع الحيوية الهامة هذه تقذف الغدة الهرمونات المصطنعة إلى الدم لينقلها بدوره إلى أعضاء الجسم المستفيدة منها، والتي تحتاج لوجود تلك الهرمونات بوصفها عاملاً منظماً للقيام بالوظائف الطبيعية المنوطة بها. أما الدور الفيزيولوجي لهرمونات الطبقة القشرية في الغدد الكظرية فهو كبير جداً. ويتلخص تأثير هذه الهرمونات على استقلاب بعض العناصر المعدنية في الجسم، ويشكل خاص **الصوديوم والبوتاسيوم** حيث تحافظ على نسبتها الطبيعية في الدم والخلايا، وبالتالي تنظم عملية انطراحها إلى الخارج عبْر الكليتين مع البول. وللهرمونات المذكورة دور آخر في الجسم، وهو تأثيرها على عمليات استقلاب السكاكر والبروتينات.

(٢) **الغدد الجنسية الذكرية والأنثوية**، التي يصطنع كل منها هرمونات خاصة تقوم بوظائف حيوية، يمكن أن نقول عنها بجدارة واستحقاق إنها العامل الأول الذي يعود له سبب

★ الكوليسترول المرتبط مع الكوليسترول الحر في بلازما الدم: ٢٧ ذرة كربون مرتبطة بروابط إلكترونية ★



★ الكوليسترول المرتبط يشكل ٧٠٪ من الكوليسترول الكلي في البلازما، ويشكل الكوليسترول الحر ٣٠٪ ★

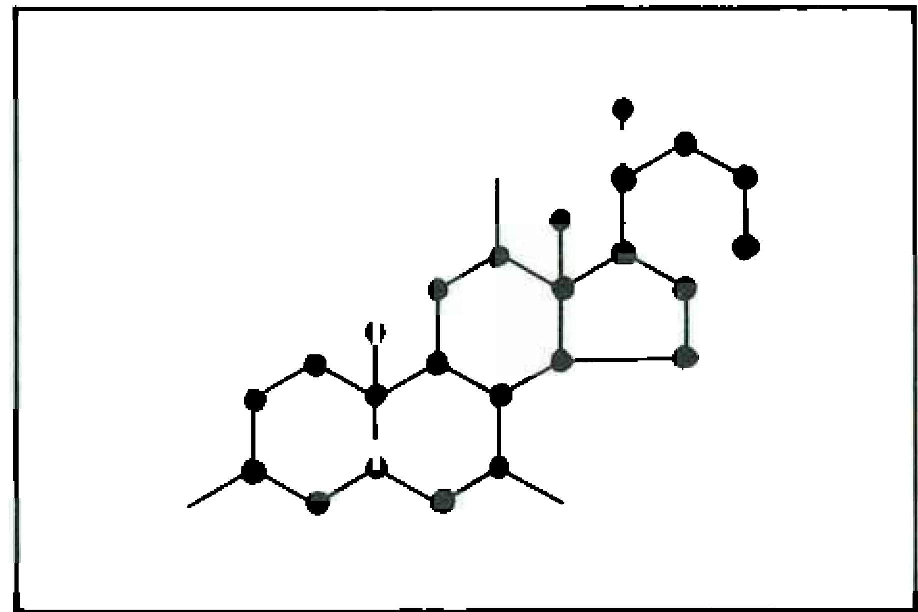


دوام واستمرار التناسل والتكاثر عند بني البشر وفي العالم الحيواني . فهرمونات هذه الغدد هي التي تحدد بحول الله بأن يكون هذا الإنسان ذكراً أو أنثى ، وذلك بتحديدها للمظهر الخارجي في كلا النوعين . ويمكن تلخيص وظائف هذه الهرمونات عند الجنسين بعبارة بسيطة جداً وهي : اي **الهرمونات ، تقوم على إظهار وتطوير الصفات الجنسية الثانوية أولا عند كل جنس ، وكذلك تقوم بدور آخر وهو المحافظة على سلامة العناصر التناسلية الذكرية (أي النطاف المذكرة) والعناصر التناسلية الأنثوية (أي البويضة المؤنثة) ليتم لقاء الواحد بالآخر وتشكيل البيضة الملقحة في رحم الأم . ولا بد لحياة هذه البيضة الملقحة من وجود بعض الهرمونات الجنسية التي تصطنع في الجهاز التناسلي الأنثوي والتي ستساعدها على تشكيل الجنين والمحافظة على حياته .**

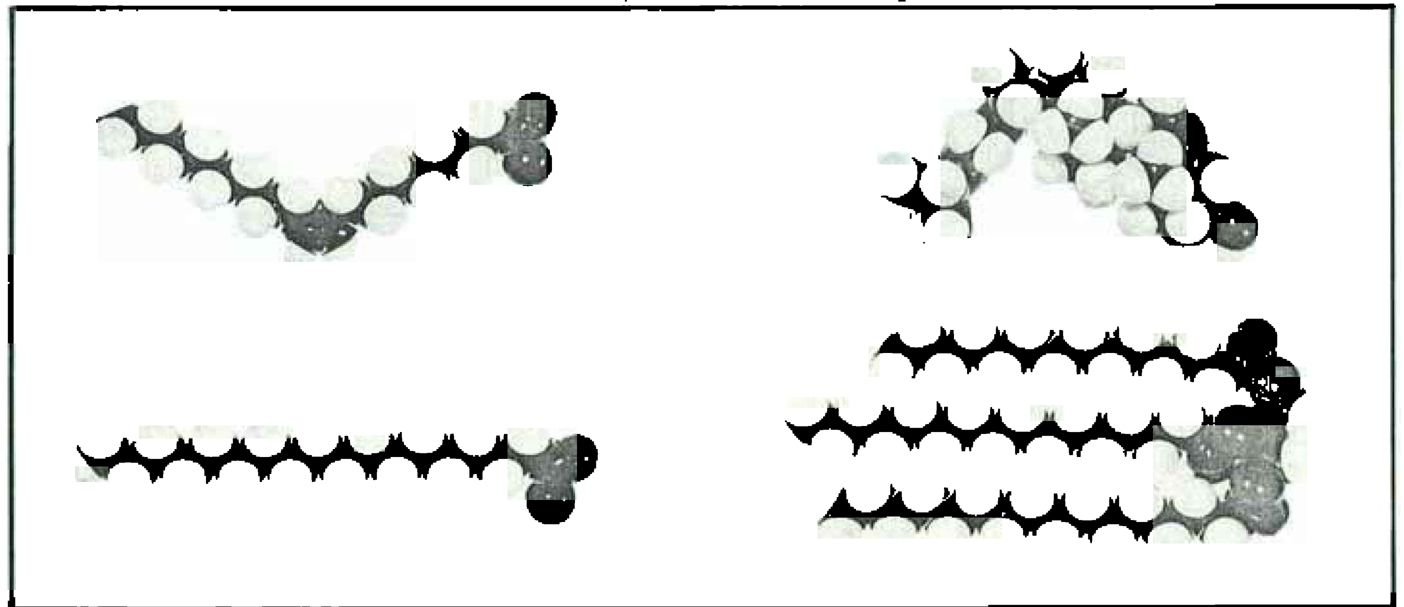
إن جميع هذه الهرمونات ، بنوعيها الذكري والأنثوي ، تصطنع من مصدر واحد فقط لا يوجد غيره ، الا وهو الكوليسترول . ولذا فإن أي نقص في كمية هذا الأخير الواصل إلى الغدد الجنسية يمكن أن يؤدي إلى نقص في عملية الاصطناع الهرموني .

وهكذا تكمن الوظيفة الثانية (ولنقل النعمة الثانية) للكوليسترول في الجسم وهي المصدر الأول لاصطناع عدد من الهرمونات الهامة . وعملية تشكيل هذه الأخيرة من الكوليسترول تعتبر من العمليات المعقدة جداً . ولكن الناتج الأخير في كلا النوعين من الهرمونات يبقى له شكل الكوليسترول الأساسي (وذلك كما هو موضح في

★ أحد الحموض الصفراوية المصطنعة ، اعتباراً من الكوليسترول المعروف باسم الحمض الصفراوي ★



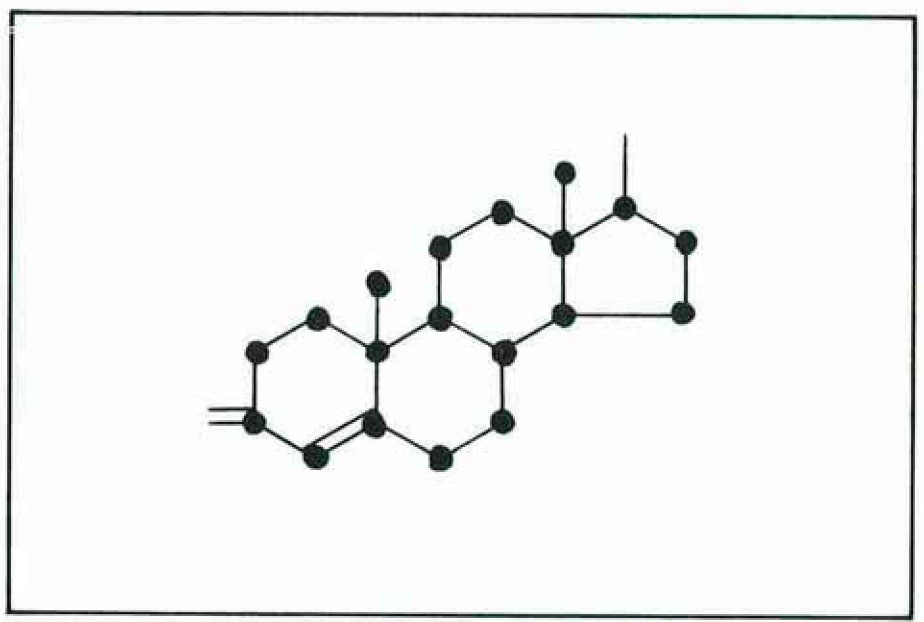
★ يتضح من هذه النماذج عدد ذرات الكربون ، وتوزيعها الفراغي ، وذرات الهيدروجين المرتبطة معها ★



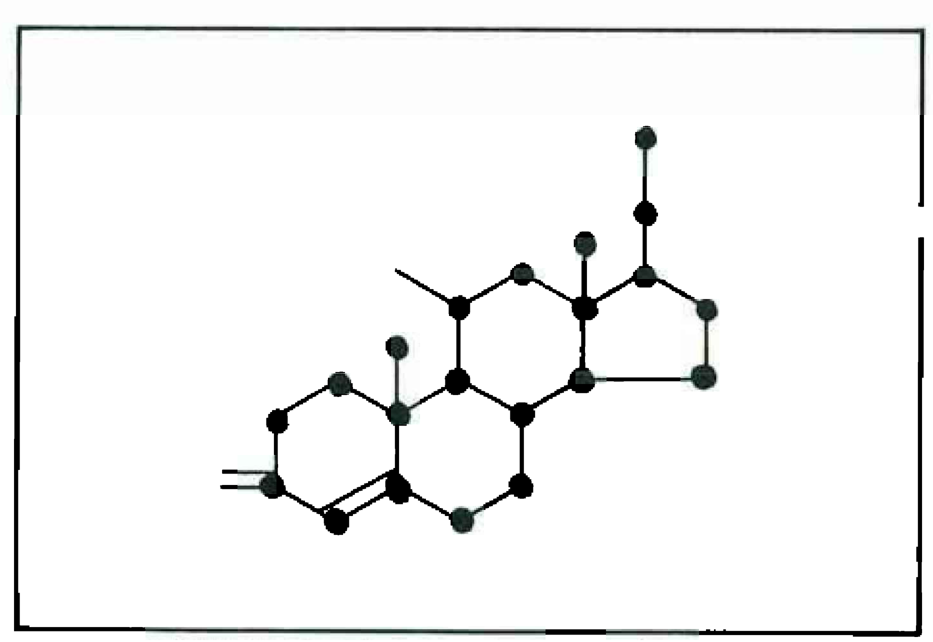
الكوليسترول

الأشكال المرفقة) ، أي أنه يبق لها شكل الهيكل الحلقي الرباعي . فهناك هرمونات في هذه المجموعة مؤلفة من (٢١) ذرة كربون ، وأخرى مؤلفة من (١٩) ذرة . وطبيعي أن هذا العدد من ذرات الكربون قد نشأ أصلاً من هيكل الكوليسترول المؤلف من (٢٧) ذرة كربون . والدارسون لكيمياء الهرمونات يعرفون كيف أن هناك عدداً من المركبات الانتقالية التي تتشكل خلال عملية اصطناع هاتين الفئتين من الهرمونات ، التي يكون لها غالباً بنية متجانسة ، مما يدل على وحدة المصدر والأصل في عملية الاصطناع . **ولكن الشيء الهام في هذا الموضوع هو الاختلافات البسيطة جداً بين هرمون أنثوي ، وآخر ذكري من ناحية البنية الكيميائية .**

وكثيراً ما يكون الفرق بينهما هو وجود زمرة كيميائية صغيرة الحجم جداً في هرمون أنثوي ، مثلاً ، وعدم وجودها في هرمون ذكري ، في حين أن بقية الهيكل الأساسي هو واحد في كليهما . ومع هذا الاختلاف البسيط ، الذي يكاد لا يذكر ، نلاحظ بأن لكل منهما وظيفة تختلف عن الآخر ، فالأول يؤدي إلى ظهور الصفات الجنسية الثانوية عند النساء ، بينما الثاني يساعد على إظهار علامات الذكورة والرجولة . . . ولذا **فإن أي خلل في اصطناع هذه الهرمونات يمكن أن يؤدي إلى انقلاب عظيم . واضطراب بالغ الأثر والأهمية في نشوء الشواذات في كل من الجنسين . كظهور بعض الصفات الذكرية عند النساء (ظهور الشعر على الوجه واليدين والصدر . . . وهي أماكن غير معهود وجود الشعر فيها عند هذا الجنس) ، وكذلك اكتساب بعض الرجال لخواص ، هي بالأصل يجب أن تكون عند النساء ، كالصوت الناعم ، وعدم ظهور الشعر في الأماكن المعهود ظهورها ، ونقص في الرغبة الجنسية** . . . وتفسير جميع هذه الأمور ، وغيرها الكثير ، هو حدوث اضطرابات خلال



★ إحدى الهرمونات المصطنعة اعتباراً من الكوليسترول ، بعد رحلة طويلة من العمليات الكيميائية المعقدة ★



★ الهرمونات المصطنعة اعتباراً من الكوليسترول ، وهو من هرمونات الطبقة القشرية الكظرية « الكورتيزون » ★

عملية اصطناع أحد الهرمونات المعيّنة عند أحد الجنسين مما يؤدي إلى تشكيل هرمون تابع لجنس آخر ، أو نقص نسبة بعض هرمونات ذلك الجنس . وهذا بالطبع سينعكس على شكل وسلوك جسم الإنسان . **ذلك المخلوق العظيم الذي جعل كل شيء فيه يجري بانتظام ودقة متناهيين ، يعجز العقل البشري النيّر عن تصوره والوقوف على تلك الأمور والإحاطة بها . وكما عبّر عن ذلك عدد من العلماء ، بعد دراستهم لجسم هذا**

الإنسان من النواحي التشريحية والكيميائية والفيزيولوجية . بقولهم : كلما تعمقنا أكثر واكتشفنا المزيد من المعلومات عن جسم الإنسان في أي من النواحي ، ازددنا يقيناً وإيماناً بأن جميع هذه الأمور الجارية في الجسم البشري لا بد وأن يكون لها خالق منظم ومدبر لما يجري فيه من عمليات جسام يعجز الفكر البشري عن تصورها ، والإحاطة بها فيما لو وضعت أمامه دفعة واحدة . ويختتمون تصريحاتهم واعترافاتهم في كثير من الأحيان إلى الجهر بأن الله وحده هو خالق كل ذلك ومدبر كل شيء . . . ولا يسعنا إلا أن نذكر هؤلاء الجمهرة من العلماء المؤمنين ، الذين اتخذوا العقل والفكر وسيلة للوصول إلى وحدة الخلق ، وأمثالهم بأن الله عز وجل قال بحق العلماء الباحثين عن الحقيقة العلمية أينما وجدت . . . واعتمدوا على هذه الحقيقة برهاناً على إيمانهم ، الآية الكريمة من سورة المجادلة ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** ﴾ ـ الآية ـ ١١ .

كيف يُصنع الكوليسترول في الجسم ؟

تذكر التقارير العلمية الأخيرة بأنه ليس هناك علاقة سببية مباشرة بين الأمراض التي تصيب الشرايين ، وتؤدي إلى تصلبها بشكل عام ، وأمراض أوعية القلب التي تقوم بتغذيته بشكل خاص ، وبين الكوليسترول الداخل الجسم مع الدهنيات والشحوم الغذائية . فالكوليسترول يُصنع في الجسم من مصادر أولية بسيطة البنية متوفرة ، وذلك في أعضاء متخصصة . وتبيّن أيضاً أن عملية الاصطناع تتم حتى ولو انعدم دخول الكوليسترول نهائياً من الوسط الخارجي . وعليه فإن زيادته أو نقصانه في بلازما الدم ليس له ارتباط مباشر بكثرته أو قلّته في الدسم المتناولة عن طريق الأغذية .

إذن ، كيف يُصنع الكوليسترول في الجسم ؟ .

بعد دراسات طويلة وشاقة في هذا المجال توصل علماء الكيمياء الحيوية إلى معرفة مصدر اصطناع الكوليسترول ، والطريقة التي يتم فيها تشكيل هذا الهيكل الكربوني المتناسق الأطراف ، وذو البنية المحددة والمؤلفة من (٢٧) ذرة كربون ، مصطفة إلى جانب بعضها البعض بشكل معيّن ثابت لا يتغيّر ولا يتبدل مهما كانت الظروف التي يمر فيها الإنسان في حياته ، سواء أكان صحيح الجسم أو مريضه . إن الموضع الأساسي الذي يجري فيه تخليق الكوليسترول هو **الخلايا الكبدية** ، إلا أن هناك أعضاء أخرى تتميّز باصطناعه أيضاً . فالخلايا المعنية تحوي على جملة أنزيمية معقدة التركيب تتألف من عدد كبير من الأنزيمات والعوامل المساعدة لها ، كل يقوم بعمل محدد وخاص به ، ليتجزوا في النهاية هيكلاً أركانه مؤلفة من (٢٧) ذرة كربون هو مركب الكوليسترول . ولو عرفنا بأن مصدر جميع أركان هذا الهيكل هو عبارة عن مركب ثنائي الكربون ، يعرف باسم **الأستيل Acetyl** . وهو ، في الواقع ، مركب مشتق من **حمض الخليك Acetic acid** الذي حذف منه بعض ذراته . إن مركب الأستيل ، ثنائي الكربون ، بيت القصيد في عملية اصطناع الكوليسترول ، وهو دعامة هذا الاصطناع الذي منه ستنتج الهرمونات الجنسية بنوعيها ، والهرمونات الكظرية القشرية ، وكذلك ستتشكل منه الأملاح الصفراوية . وفي ذلك حقاً نعمتان مالهما الأثر للكوليسترول في حياتنا ، وحياة من سبقنا في هذا الكون ، وحياة من سيأتي بعدنا حتى يوم القيامة .

توقف اصطناع الكوليسترول

ماذا يحدث لو توقف اصطناع الكوليسترول في الجسم ؟ هل تستمر حياة الإنسان بصورتها الطبيعية ، أم حدث ما سيتم وقوعه ؟ . لقد أضحى واضحاً لأعيننا بأن للكوليسترول وظيفتين رئيسيتين في الجسم ، وكنا قد أشرنا إليهما تفصيلاً من خلال الأسطر السابقة .

فلو توقفت الخلايا الكبدية عن اصطناع الكمية المطلوبة من الكوليسترول لأدى ذلك إلى تعطيل الوظيفتين المذكورتين . فالأولى ربما لا تؤثر كثيراً على صحة الإنسان ، حيث يمكن الاستغناء عن الدسم في الوجبات الغذائية عند الضرورات القصوى . وهذا ما يحدث فعلاً عند استئصال الكيس الصفراوي بعملية جراحية ، فعندها يمتنع المصاب عن تناول الدسم نهائياً . أما الوظيفة الثانية فشأنها أكبر وأعظم . فتوقف عملية اصطناع الهرمونات الجنسية ، نظراً لنقص الكوليسترول في الجسم ، يعني أن الوظيفة التناسلية عند بني البشر لن تقوم لها قائمة بعد ذلك ، وفي ذلك خطر جسيم على البشرية . . . وكذلك الحال فإن النقص في كمية الهرمونات الكظرية القشرية ، للسبب ذاته ، سيؤدي حتماً إلى اضطرابات في تركيز الشوارد المعدنية (الصوديوم والبوتاسيوم) في سوائل الجسم المختلفة ، وهذا بدوره يؤدي إلى خلل في عمل الدورة الدموية وعمل القلب معاً . . . وبالنتيجة تنتهي حياة المصاب بالموت بعد مرض عضال يتتابه لفترة من الزمن .

وهكذا ؛ فإن للكوليسترول في أجسامنا نعمة أنعمها الخالق علينا ، ولذا لا يجب أن نعد وجوده نقمة فقط ونخاف منه وكأنه شبح جاثم . . . يمكن أن يؤدي بنا إلى المرض ثم إلى الموت .

ولكن مهما يكن من أمر فإن ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم عن معدلها الطبيعي ، سيرافق ذلك حتماً اضطرابات جسيمة تنعكس بصورة رئيسية على عمل القلب وتغذيته عن طريق الأوعية الدموية المحيطة بجداره الخارجي .

وبالفعل سيكون ذلك نقمة على حياة الإنسان ، وسيخاف منه . . . حتى نعود كميته في الدم إلى معدلاتها الطبيعية وذلك بالمداواة والعلاج بإشراف طبي دقيق ومنظم .



شعر : د. يحيى أبوريشة

الى مَ لَعوبٌ في الغَوازلِ بالحِمى — تُحمّلُني ما لا أُطيقُ من الحُبِّ ؟

وتَمنَحُني لطفاً وتُوسِعُني جَوًى — وهجراً أحَرَّ من الرمضاء في قلبي ؟

أقولُ لها (روحي !) فتأتي بقَدِّها — لتختالَ في عقلي وتَمرَحَ في لُبّي !

لقدْ أقفرَتْ أيدي اللقاء من الهوى — وجادَ وصالي بالبَخيلِ من العَتْبِ !

وساوَرَني همٌّ فَقَدْتُ جَديدَه — وأخلَقَ بي وَهْمٌ يسيرُ على دَربي

فإنْ زُخْتُ أهواها تجلّى لِيَ النوى — وإنْ زُخْتُ أسلوها تَحيَّرْتُ في سَلْبي

لِمَنْ يَعصِفُ الريحُ المجَلْجِلُ في الفضا — وتحترقُ النسماتُ في مربعٍ جَدْبِ ؟

لِمَنْ يَقْصِفُ الريحانُ والعصفُ في الحِمى — ويحترقُ النسرينُ في وجهها العذْبِ ؟

وما أحسنَ الحبَّ الكريمَ إذا دَنَتْ — وأعطتْ فؤادي لَفْتَةَ الجودِ عن قُرْبِ !

ولكنّنا في دار غَيٍّ وفتنةٍ — ودار بَلاءٍ ، والصِّبا رَوْحُها يُصبي !

شكوتُكَ قلبي ، أنتَ موضعُ عِلّتي — فقارِقْ على وِدٍّ أو اسْكُنْ على حُبِّ

أما زلتَ مجنوناً بليلى وأهلِها ؟ — وليس بمُجْدٍ أنْ تَسيرَ بلا رَكْبِ !

وهذا عَذولي شَنَّ حزناً ضَروسَةً — وأنتَ على نجواكَ مُنْخرقُ السِّرْبِ

وجالَسْتَ أهلَ الحبِّ حتى دَهَيْتَهُم — بحالةِ وَجْدٍ مُسرفِ اللطفِ والحَدَبِ

شربْتَ من اللأواء كأساً فلم تَزَلْ — زوانيقُ أهلِ الحبِّ تَهفو الى التُّرْبِ

فإنْ زُخْتَ مقتولاً فَداكَ أولو الهوى — وصيرتَ سلاماً فوق أسلحةِ الحربِ !

أَلَيلايَ جُودي بالجوى إنْ قسا النوى ! — وخفَّ الهوى ! نَكْءُ الجراحِ غدا دأبي !

أونامونو.. والمعنى التراجيدي للحياة

(١٨٦٤ - ١٩٣٦م)

بقلم: جلال العشري

إذا قال الناس.. نعم، قال هو.. لا! وإذا استنكر الناس شيئاً، كان رده الطبيعي.. ما أروع هذا الشيء!.

وكان من الطبيعي أن يتهمه خصومه بحب المخالفة والميل إلى الرفض والرغبة في التمرد، حتى لقد وصفوه في السياسة بأنه فوضوي، ووصفوه في الفلسفة بأنه عدمي، ووصفوا شعره بالغموض، أما رواياته فقالوا عنها إنها عبثية، وأما مسرحياته فقد اتهموها بالشطح الدرامي، والخروج على المألوف!.

وهذا كله غير صحيح. والصحيح أنه ما كتب شيئاً إلا أحدث ضجة، وما أعلن رؤيا إلا أثار زوبعة، وما أصدر كتاباً إلا أشعل ناراً، وما شارك في ندوة إلا أقام الدنيا وأقعدها، ذلك لأنه لم يكن رجلاً أي رجل، لكنه كان رجلاً نادراً ومفكراً غير عادي، أحس بغزارة علمه، وثراء ثقافته، ونفاذ فكره، وأدرك هبوط مستوى من حوله، وركود مياه الفكر والأدب في بلاده. فآمن بأن شيئاً رائعاً لا يمكن ان يصدر عن هذا المستوى الهابط أو تلك المياه الراكدة، وأن رسالته في الحياة هي أن يقضي على كل فكرة جاهزة يمكن أن يستسلم لها الآخرون!.

وصحيح أننا لا نكاد نجد عنده نظرية أدبية شاملة، أو مذهباً فكرياً متكاملاً، أو حتى عالماً شامخاً بارز الملامح، كهذا الذي أنشأه - مثلاً - **مارتن هيدجر** في الفلسفة، أو **كارل بارت** في اللاهوت، أو **جون هالدين** في الفكر السياسي، أو **أندريه موروا** في القصة، أو **لويجي بيراندللو** في المسرح.

ولكن الصحيح أيضاً أنه ما كتب شيئاً ظفر بمثله كاتب من كتّاب إسبانيا المعاصرين، ولا خلت دراسة للفكر المعاصر دون أن تشير إليه وتشيد بذكره. وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن ننسب إليه بناءً فكرياً متكاملاً، ولا نظرية فلسفية كبرى، ولا حتى آراء واضحة المعالم، إلا أن قطعه ومقطوعاته معظمها جميل وبعضها رائع، وكلها مما ينبض بالحياة، لما كتبه الكبرى فلا تملك إزاءها إلا أن نشعر بالسعادة التي يستشعرها من ينساق مع تيار فكري هادر ورائع، ثم فجأة يتوقف التيار وسط المجرى... لقد كان بحق عجيبة من عجائب الأدب الإسباني، وعلامة من علامات الفكر الأوروبي كله.

ذلك هو الشاعر والفيلسوف والسياسي والأديب الروائي والكاتب المسرحي.. **ميجيل دي أونامونو**.. الذي ولد في **مدينة بلباو بشمالي إسبانيا** في ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٨٦٤م، وتوفي في الساعة الأخيرة التي تنفق فيها فجر يوم ٣١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦م، بصباح اليوم الأول من يناير (كانون الثاني).. وكأنما مات على حافة عامين!

أما حياته، فيما بين الميلاد والموت، فكانت رحلة عناء ومعاناة، أحب الحياة فتزوج وهو دون العشرين وأنجب ثمانية أولاد، تمرس بالواقع الاجتماعي فتعذب وتشرد وعرف الفقر والجوع إلى أن ارتمى في أحضان الجامعة، جاهر بآرائه فأعفته السلطات من منصبه أستاذاً **بجامعة سلمنكا**، نفته حكومة دي ريفيرا إلى جزر المحيط الأطلسي، فهرب منها إلى فرنسا حيث بقي ست سنوات، ثم أعيد مديراً للجامعة مدى الحياة.

وفي الجامعة ظهرت مواهبه الفذة وتألقت ملكاته النادرة، وذاع اسمه في أرجاء إسبانيا كلها، واستطاع أن يرتفع بجامعة سلمنكا إلى مصاف الجامعات الكبرى، حتى ارتبط اسم أونامونو باسم بلدة سلمنكا كما ارتبط اسم **أبي العلاء المعري** بمعرة النعمان.

وكان من الطبيعي أن يمنح في عام ١٩٣٥م، أي قبل وفاته بعام واحد، أعظم وسام في الجمهورية، وأن يلقب بلقب «**مواطن الشرف لعام ١٩٣٥**»، وأن يختار نائباً في الجمعية التأسيسية التي وضعت دستور البلاد.

ولما نشبت **الحرب الأهلية في إسبانيا عام ١٩٣٦م**، بين الوطنيين والشيوعيين، أعلن انتمائه إلى القوى الوطنية، وظل على موقفه حتى فارق الحياة في نهاية العام الذي نشبت فيه الحرب!

حرب هي أم حياة؟!

كانت حياة أونامونو على موعد مع الحرب، وكأنما الموت يتراءى له في كل





★ مارتن هيدجر ★

فترة من فترات الحياة ، وكان فكره صدى لحياته ، وحياته هي الوقود الذي أشعل نار هذا الفكر . لذلك تراه يربط بين فكر الفيلسوف وبين ظروف حياته ، ويجرم كل دراسة تتناول فكر الفيلسوف بمعزل عن حياته وعذاباته ومعاناته ، وكل ما أسهم في بلورة هذه الحياة .

وهذا هو السبب الذي جعل أونامونو يعلي من قدر الشعر على الفلسفة ، ويرى أن الشعراء أقدر من الفلاسفة على نشر تعاليمه ، ويحرص على أن يبث أفكاره الفلسفية في القصائد والقصص والمسرحيات ، فالفلاسفة يعتمدون على العقل ، والعقل سلاح الحياة الإنسانية ، بعسف ويمنطق ويضع الأشياء في أطر جامدة ، وقوالب جاهزة ، فيقضي بذلك على التجارب الإنسانية الحية ، أما الشعراء فيعتمدون على القلب وعلى الخيال ، القلب يبعث الدفء والحرارة في كل شيء ، والخيال يحلق بها من أرض الواقع إلى سماوات الأفق الفسيح !

لهذا كان أونامونو يرى أن الروائي أو الشاعر هو أصدق المفكرين في نقل شعوره والتعبير عن آرائه ، كما كان يرى أن كلاً منهما أقدر على التأثير والتأثر ، التأثر بمظاهر الحياة الاجتماعية من حوله ، والتأثير فيمن يحرص عليه من الجمهور .

ومن هنا كانت قصصه ومسرحياته قطع حية تفيض بالقوة الدرامية ، وتنبض بالشخصيات الواقعية ، وتنبئ عن حساسية مرهفة وفهم عميق لطبائع البشر .

أما شعره فهو إحساس جواني بالحياة والأحياء فيه الطهارة والبكارة ، وفيه التدفق والخصوبة ، وفيه الحز الذي يقابل الواقع والخيال الذي يواجه الحقيقة ، وفيه بعد هذا كله الغناء المأساوي الجميل ، حيث يغني الشاعر وهو فوق قرص النار ، وتحمل أسماء دواوينه معنى الأغنية ، فديوانه الأول بعنوان **أشعار** ١٩٠٧ م ، وديوانه الثاني بعنوان « **باقة أغنيات** » ١٩٢٠ م ، وعنوان ديوانه الثالث « **ألحان من الأعماق** » ١٩٢٣ م ، أما ديوانه الرابع فباسم « **كتاب الأغاني** » وقد نشره في عام ١٩٥٣ م ، في **بيونس أيرس** وعلق عليه **فيديريكو دي أونيس** ، أما ديوانه الأخير فهو « **يوميات السجن والمنفى** » وقد نشر في باريس سنة ١٩٢٥ م .

إن الشعر هو قلب الطائر المهيب أونامونو ، أما جناحاه الخفاقان فهما الرواية والمسرح ، وقد كتب عدة روايات ، تحس فيها جميعاً بالأفكار الرئيسية التي كانت تؤرقه وتعذبه ، الإحساس المأساوي بالحياة ، شره الإنسان إلى الوجود ، الخوف الدائم من الموت ، الكفاح ضد قوى البطش والطغيان ، الشعور الكامل بالذات ، النضال المستمر من أجل الحياة .

وربما كانت **أولى رواياته** « **السلام في الحرب** » ١٨٩٧ م ، التي سجل فيها أحداث « **الحرب الكارلية** » مازجاً هذه الأحداث بذكريات طفولته في المنطقة التي كانت مسرحاً لتلك الحرب ، **بلاد الباسك** ، التي شهدت مسقط رأسه ، وبطل هذه الرواية ليس شخصية من الشخصيات ، ولكنه مدينة بلباو نفسها ، وليست الرواية تسجيلاً لأحداث الحرب ، وإنما هي تصوير لحياة الناس اليومية في ظل الحرب .

وثاني روايات أونامونو كانت بعنوان « **حب وتربية** » ١٩٠٢ م ، وتدور حول موضوع من الموضوعات الخطيرة التي ألحت على جيل ٩٨ من الكتّاب والشعراء ، وهو عمق الإحساس بالكارثة ، ومحاولة الخروج من الأزمة ، والعودة إلى قيم **قشتالة القديمة** تأكيداً لمعنى القومية الإسبانية .

وبعد هاتين الروايتين كتب أونامونو مجموعة قصص قصيرة بعنوان « **مرآة الموت** » ١٩١٣ م . ثم عاد بعدها إلى كتابة الرواية ، فأصدر في عام ١٩١٥ م ، رواية « **ضباب** » التي تضمنت تكنيكاً جديداً في الفن الروائي ، ناقش فيها علاقة الأديب المبدع ، بالشخصيات التي أبدعها ، ومدى حريته في التحكم في مصير هذه الشخصيات ، فالرواية تروي قصة حب بين رجل وامرأة ، وترسل المرأة خطاباً إلى الرجل ، فلا يكاد يقرأ الخطاب حتى يقرر أن ينتحر !

وفي هذه اللحظة يتدخل المؤلف ، فيقطع خيط الرواية ، ويدور بينه وبين البطل حوار حول فكرة الانتحار والموت ، فيقول المؤلف لبطل قصته : « أنت عاجز عن قتل نفسك ، لأنك لست حياً ، وإن وجود : خرافي ، فأنا الذي أبدعتك ، وحياتك وموتك في أصابعي ورهن بإرادتي » .

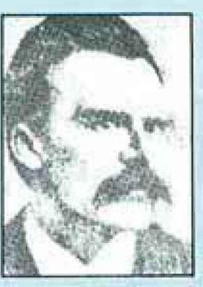
ولكن البطل يرد عليه قائلاً : « بل إنك أنت الموجود الخرافي ، فلست حياً ولا ميتاً ، لأن المؤلف لا يستطيع أن يبدع شخصيات قصصه على النحو الذي يشاء ، بل إنه لا يعرفهم حق المعرفة » .

ويثور عليه المؤلف ، ويحكم عليه بالموت ، ولكن البطل يقول له صارخاً : « إذن فأنت لا تريدني أن أحقق نفسي ، أن أخرج من هذا الضباب ، وأعيش ، وأرى نفسي ، وأحس ألمي ، وأحقق ذاتي ؟ وإذا كنت سأموت ، فإنك أيضاً ستموت ، وتعود إلى العدم الذي كنت فيه قبل وجودك ! ستموت ، حتماً لو لم ترد الموت ، ستموت ، وكل من يقرأ قصة حياتي سيموت ! » .

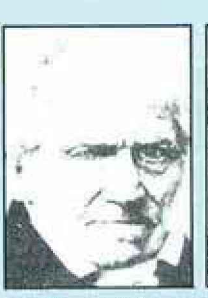
ويموت بطل القصة ، ويدرك المؤلف أن بطل قصته قد مات ، فيحاول أن يستعيده من جديد ، فيراه في الحلم ، فيقول له البطل : « إن الذي يموت مرة ، لا يستطيع المؤلف أن يستعيده من جديد ، لأن أحداً لا يرى حلماً واحداً مرتين ! » .



★ أبو العلاء المعري ★



★ نيتشه ★



★ شوبنهور ★

وبعد هذه الرواية كتب أونامونو رواية بعنوان « **أبل سانتشث** » عام ١٩١٧ م ، ورواية أخرى بعنوان « **العمة توك** » ١٩٢١ م .

أما ثلاثيته المسرحية ، أو مسرحياته الثلاث .. « **ميديا** » و « **راشيل** » و « **الأخ جون** » التي مثلت على مسارح إسبانيا والعالم الأوروبي كله ، فستظل علامات وضاءة على واجهات المسرح العالمي الحديث .

تجارب وأحداث

ولكن إذا كانت كتابات أونامونو هي حياته ، فما الأحداث الحاسمة التي شكلت ملامح هذه الحياة ؟ والتي أوقعته في هذه الثنائية المريرة التي جعلته موزعاً باستمرار بين الحياة والموت ، بين الوجود والعدم ، بين العقل والعاطفة ، بين الفعل والانفعال ، بين المدنية والحضارة ؟

الواقع أن حياة أونامونو مرت بثلاث تجارب مريرة وقاسية ، كان لها أبلغ الأثر في صياغة فكره ، وتحديد دوره ، واتخاذ مواقفه ، سواء في مجتمعه أو في العالم الأوروبي أو في الحياة الإنسانية بوجه عام .

أولى هذه التجارب مرت به ولما يتجاوز العاشرة من عمره ، عندما سقطت قنبلة على منزل مجاور لمنزله أثناء الحرب الكارلية عام ١٨٧٤ م ، فتركت في نفسه أثراً قوياً ضد كل معاني الاحتلال ، وشعوراً مضاداً لكل ألوان القسوة والعنف ، كما غرست في وجدانه الاهتمام بالسياسة القومية ، والولاء العميق للوطن ، والرغبة الجامحة في المقاومة ، المقاومة التي تبدأ من الظل حتى تصل إلى الظلام ، ومن القفر حتى القهر ، ومن قسوة الحياة حتى عتمة الموت .

ولقد عبر أونامونو عن هذه التجربة الوليدة ، التي صادفته في بواكير حياته ، تعبيراً شعرياً جيلاً في قصيدة عنوانها « **الهلال مهد** » من ديوانه « **كتاب الأغاني** » حيث راح يغني :

الهلال مهد ،
من ذا الذي يهدهده ؟
الطفل الذي يرقد فيه
بم يحلم ؟
الهلال مهد ،
من ذا الذي يهزه ؟
الطفل الذي يرقد فيه
يحيا لأية غاية ؟
الهلال مهد ،
سرعان ما يصبح بدراً ،
الطفل الذي يرقد فيه
أتراه يحفظ عهدي ؟

« ثورة الشعر الحديث »
ترجمة د . عبد الغفار مكاوي

أما التجربة الثانية التي مرت بحياة أونامونو ، وكان لها من عنف الأثر ما لم يكن للتجربة الأولى ، فهي تجربة النفي والاغتراب ، التي صادفها في إثر الحرب العالمية الأولى ، عندما دافع عن قضية **الحلفاء** ضد الجيبيين الذين كانوا يناصرون ألمانيا . واتخذ موقف الصراع ضد الدكتاتورية التي كبلت أيدي إسبانيا ورجليها في عهد **بريمو دي ريفيرا** عام ١٩٢٣ م ، كما أودى به إلى النفي في جزر المحيط الأطلنطي في عام ١٩٢٤ م ، وهروبه إلى فرنسا ، حيث بقي فيها حتى عام ١٩٣٠ م .

وطوال هذه السنوات الست ، ذاق أونامونو مرارة الغربة ، وتجرع قسوة الاغتراب ، وعرف معنى أن يكون الإنسان لقيطاً بلا وطن ، شريداً بلا مأوى ، أعزل بلا درع ولا سلاح .

لقد علمته هذه التجربة أن جوهر الإنسان هو « الأسيان » وأن موقفه من الحياة هو « الخوف الدائم من الموت » وأن قدره باستمرار هو مقاومة هذا الخوف وإلا لقي مصرعه عند أول تراجع .

ومن هنا خرجت صرخة أونامونو التي أعلن فيها الكفاح ، ضد كل محاولة تهبط بالإنسان إلى ما هو دون المستوى .. « يجب أن نكافح هذا المصير حتى ولو لم يكن هناك أمل في النصر ! » .

وهذا ما عبر عنه أونامونو تعبيراً شعرياً رائعاً في قصيدته المسماة « **في المنفى** » التي ضمنها ديوانه الأول « **أشعار** » ١٩٠٧ م :

حب نقي للحياة الوحيدة ،
بحث دائب عن السر ،
غوص في ينابيع الحياة ،
عزاء قاس !

ابتعدوا عني .. يا إخوتي المساكين ،
دعوني أسير على طريق الصحراء
دعوني وحيداً مع قدري
بلا رفيق !



دمعتان على الرمال
التي تتلقفها في الحجر العقيم
فتمتزجان هناك بالمياه الصافية
وتحملان معهما أشواقي!

«نفس المصدر»

وتجيء التجربة الثالثة كما الضربة القاضية في حياة أونامونو، الضربة التي تهز ضميره من الأعماق، وتزلزل كيانه حتى النخاع، وتقذف به في قلب الوجود حيث العدم نصل السكين، والموت هو حد الموسى!

لقد نشبت الحرب الأهلية في إسبانيا، عام ١٩٣٦م، وتمزقت البلاد بين الوطنيين والشيوعيين، وتأججت المشاعر الوطنية الغوغائية، التي ألهبها الصراع السياسي العنيف بين الأحزاب. حتى سقطت القيم الإسبانية العريقة في أتون النيران، وضاعت القومية الإسبانية بين مسلمي الأندلس والإنجليز البروتستانت والهنود الحمر الأمريكيين، وتربعت الفاشية فوق أنقاض الجميع.

وهو ما عبر عنه أونامونو تعبيراً مريراً قاسياً في قصيدته المسماة «فاشية» في ديوانه «كتاب الأغاني» التي قال فيها:

لا عصبة، بل عصابة،
تلك هي جماعة الفاشيين
خلف التحية عدم،
خلف العدم هاوية!

جيل ١٨٩٨م

على أن أقسى التجارب جميعاً التي مر بها أونامونو في حياته، هي تجربة النكسة الإسبانية، التي هوت بالإمبراطورية الإسبانية من شاهق النصر إلى ساحق الهزيمة، حتى لقد كانت سنة ١٨٩٨م، رمزاً كبيراً في تاريخ إسبانيا شعباً والإسبانية ثقافة!

ففي تلك السنة تم تصفية بقايا الإمبراطورية الإسبانية التي لم تكن تغيب الشمس عن أراضيها. بعد أن أوقعت بها الولايات المتحدة الأمريكية هزيمة منكرة في مياه البحر الكاريبي والشرق الأقصى والمحيط الهادي، وأفقدتها آخر ما بقي لها من مستعمرات: كوبا والفلبين وجزيرة جوام.

ولم تقف الكارثة عند حدود الهزيمة الحربية، ولكنها تجاوزت ذلك إلى الهزيمة المعنوية، لما كشفت عنه من فساد السياسة الإسبانية الداخلية والخارجية على السواء، وما أبرزته من إفلاس الزعماء والقادة الذين أغرقوا البلاد في مزايدات وطنية لا أول لها ولا آخر.

ويا لها من مهاترات جوفاء وخطب بلهاء تلك التي مارسها ساسة إسبانيا طوال قرن كامل من الزمان، حتى أدمنها الشعب والجيش جميعاً، فمضى الجنود إلى الحرب مع الولايات المتحدة وكأنهم يمضون إلى نزهة خلوية أو إلى حفلة من حفلات مصارعي الثيران. ولم يدركوا إلا وهم في قلب المعركة أنها حرب انتحارية غير متكافئة، نتيجتها الحتمية هي الهزيمة المنكرة.

أما الشعب فقد أفاق من آثار الخدر السياسي على أطلال الحرب وأشلاء الجنود المساكين، وعلى الإحساس الأليم الحاد بالخزي والعار.

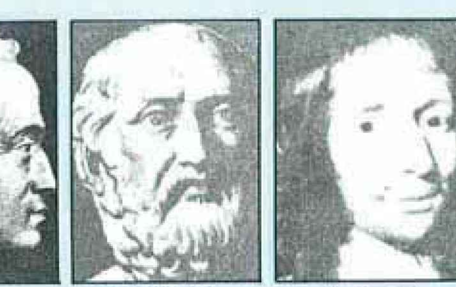
وكان من الطبيعي أن تنعكس أحزان الهزيمة على ضمائر الأدباء والمفكرين، وأن يشرعوا أقلامهم في نقد ماضيهم وحاضرهم ومستقبل أمتهم بوجه عام، وأن يفتشوا في أعماق النفس الإسبانية عن كوامن الداء ومواطن العفن والفساد.

وكانوا قد اصطلحوا على تسمية الجيل الذي عانى مرارة الكارثة باسم السنة التي وقعت فيها، فكان ذلك هو «جيل ٩٨» أو الجيل الروحي في تاريخ إسبانيا الذي حاول النفاذ إلى أعماق النفس الإسبانية في محاولة لإعادة صنع إسبانيا من جديد!

وقد اعترف **أنتونيو أثورين** أحد أعلام هذا الجيل بصحة هذه التسمية، التي وضعها مؤرخو الأدب الإسباني، فراح يقول في وصف جيله: «لقد تميز جيلنا بطموح إلى إعادة بناء إسبانيا على أساس من النقد العنيف الحاد، وإن تفاوتت درجات هذا النقد، وعلى أساس من النظر الفاحص إلى الحياة والعادات على تفاوت كذلك في درجات سلامة هذا النظر».

والحقيقة أن معظم أعلام جيل ٩٨ ممن تنوعت ثقافاتهم وتعددت ألوان إبداعاتهم، فجمعوا بين فنون الشعر والرواية والأقصوصة، فضلاً عن المسرحية والمقالة والنقد الأدبي، من أمثال **أنتونيو أثورين، وأنتونيو ماتشادو وباروخا وراميرو دي ماليتو وميجيل دي أونامونو** الذي اعتبره الجميع شيخ هذا الجيل وأستاذه الأول...

هؤلاء جميعاً وغيرهم استطاعوا من خلال طرح مشكلات إسبانيا من جديد، أن يعبروا عن الأصالة القومية التي لم تنتزعها عوامل الإغراء الحضاري، وأن يفجروا إمكانات المواطن الإسباني التي لم تنتزعها مظاهر الجذب الخارجي، وأن يشيعوا نوعاً من الحساسية الجديدة تعمل على إعادة تقويم قشتالة.. أم الوطن الإسباني.





★ باسكال ★ ★ أفلاطون ★ ★ كانط ★

فأعلام هذا الجيل جميعاً بدوا وكأنما اكتشفوا قشتالة من جديد ، قشتالة بقراها الصغيرة المتناثرة ، وحقولها المترامية الخضراء ، ومروجها الجافة الموحشة ، وها هو أونامونو يتخذ من سلمنكا إحدى مدن قشتالة العريقة ، موطناً ومستقراً ، ويدرس **الأدب العربي** على يد المستشرق **كوديرا** ، ويتعرف على قيم قشتالة القديمة ويبثها في الذات الإسبانية الجديدة ، ويكتب سلسلة من المقالات حول « الطابع الشعبي » وسلسلة أخرى عن « الثقافة الإسبانية » .

عقل هو أم عاطفة ؟

على أن أزمة الضمير هي الأزمة الحقيقية التي سيطرت على أعلام هذا الجيل ، وجعلتهم يتأرجحون بين طرفي العقل والعاطفة ، والعلم والإيمان ، ولقد أشعل لهيب الأزمة الانفتاح الإسباني على الفلسفات الغربية التي كانت تتراوح بين نزعات الفرد الجامح عند **نيتشه وشوبنهور** ، ومبادئ الإيمان الراسخ عند **باسكال وكيركيجورد** .

وقضى أونامونو فترة من حياته نهباً لهذا القلق العميق وتلك الأزمة الحادة ، وهي الفترة التي رأى فيها أن جوهر الإنسان هو الأسيان ، وأن مأساة حياته هي خوفه الدائم من الموت ، وأن جهوده الحقيقية هي الصراع من أجل بقاء الحياة .

ومن هنا كان إنسان أونامونو هو الإنسان المتحفز للصراع باستمرار ، المكافح من أجل الحياة دائماً أبداً ، وليس أمامه من أجل الانتصار سوى حلول ثلاثة أوردها أونامونو في كتابه الشهير « **المعنى التراجيدي للحياة** » :

أول هذه الحلول أن يعرف الإنسان أنه سيموت موتاً كلياً ، وفي هذه الحالة سيكون القلق هو مصيره الأبدي ، وليس أمامه غير الاستسلام القدري لهذا المصير .

ثاني هذه الحلول ، أن يعرف الإنسان أن موته لن يكون موتاً كلياً ، بل سيبقى منه جزء خالد ، هو الروح ، وفي هذه الحالة ، لن يقلق على شيء ولن يخشى شبح الفناء ، ولن يجد ما يدعوه إلى الكفاح أو الصراع .

أما الحل الثالث والأخير ، فهو ألا يعرف الإنسان ، حقيقة الأمر ، موت هو أو لا موت ، فناء هو أم خلود ؟ وفي هذه الحالة ، يخوض الإنسان معركة الكفاح من أجل تأكيد ذاته وإثبات وجوده .

ولقد أدرك أونامونو أن رسالة الشاعر أو الفنان هي أن يعمل على إيقاظ النفوس وإذكاء الضمائر ، والانتصار من أجل القيم الإنسانية في الحياة ، وليس العقل هنا هو الأداة ، ولكنها العاطفة ، فهي الأقدر على تجاوز حدود المكان ، وأبعاد الزمان ، والتحليق بالإنسان في عالم الخلود ، حيث يفنى الجسد وتبقى الروح .

وهنا يتفق أونامونو مع كل من **باسكال وكيركيجورد وبرجسون** ، في أن العقل لا يساعد على معرفة الحياة ، فإذا ما حاول إدراكها في تصورات جامدة وصيغ محكمة أفقدها تدفقها وسيلانها ، وسلبها كل نبض وخفقان ، ولما كان من المحال إدراك الحياة بالعقل ، فقد حاول إدراكها بالعاطفة أو بالخيال ، الذي يصفه أونامونو بأنه « أهم القدرات الإنسانية » .

ولعل هذا هو السبب الذي جعل مؤرخي الفكر الفلسفي ينظرون إليه وإلى أعلام جيله ، على أنهم رواد النزعة اللاعقلية في تاريخ الفكر الإسباني الحديث .

فرد هو أم فردية ؟

وإذا كانت فكرة الموت والخلود هي الفكرة الرئيسية الأولى في فلسفة أونامونو ، التي خلص منها إلى الإيمان بالجانب الروحي في الإنسان ، فقد أقام عليها فكرته الفلسفية الثانية ، في الفرد أو الشخص ، فالإنسان الفرد يولد ويعيش ويموت ، ولكنه لا يرغب في أن يموت نهائياً ، أو أن يكون الموت نهاية كل شيء .

وإذا كانت العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية قد تجاهلت هذه المشكلة تجاهلاً تاماً ، لاعتمادها على العقل ، فقد جعلها أونامونو مشكلته الرئيسية ومحور حياته الفلسفية ، لقد وضع أمامه مشكلة الخلود التي قادته بدورها إلى مشكلة الموت ، وبالتالي إلى مشكلة الشخص ، واعتمد في مواجهة هذه المشكلات على العاطفة أو الخيال ، من خلال قالب القصة أو الرواية ، القصة الوجودية أو الرواية الشخصية ، وهذا كله بهدف إقامة ميتافيزيقا لا عقلية !

ويعود إلى مشكلة الكائن الشخص أو الإنسان الفرد لنراه عند أونامونو قيمة في ذاته وليس وسيلة لأي شيء آخر ، وعلى الرغم من أنه يعيش في مجتمع ، إلا أن هذا المجتمع شيء مجرد ، تصور نظري ، لا وجود له إلا في حياة الأفراد ، طالما أن كل فرد يعيش حياته هو لا حياة الآخرين ، وهذا هو الفرق بين الفرد والفردية ، الفرد لا يتجاهل المجتمع ، أما الفردية فتدير ظهرها للحياة الاجتماعية .

لذلك فهو يؤكد على ضرورة دراسة الإنسان الفرد ككل ، بمعنى ألا تعزله هذه الدراسة عن وضعه الاجتماعي ، ولا تفصله عن تاريخ حياته ، ولكنها تتناوله من كلا الجانبين ، فكما أن المفكر فيلسوفاً كان أو شاعراً ، يستقي أفكاره من ينبوع الحياة من



حوله ، فهو كذلك يستمد من معين حياته الشخصية معظم هذه الأفكار !

ويقول أونامونو مؤكداً هذه الفكرة في كتابه « المعنى التراجيدي للحياة » : « إنه يتحتم على الباحثين أن يعنوا عناية خاصة بالفرد وإنسانيته ، أكثر من عنايتهم بمنطقه ومذهبه » .

وهو يضرب لذلك مثلاً . . كيركيجورد ، الذي لا يمكننا أن نتناول فلسفته في الدين والعلم وفي الأحكام الخلقية والجمالية دون أن نتذكر حياته الشخصية وتكوينه الجسدي ، وما ترتب عليهما من آثار نفسية واجتماعية . فالإنسان لا يتفلسف بعقله فقط ، وإنما بإرادته وعاطفته وروحه وبدنه جميعاً .

ويرفض أونامونو « **الحب العقلي** » الذي نادى به **سبينوزا** أو « **الحب الأفلاطوني** » المأثور عن **أفلاطون** ، لأنه من عمل الذهن وحده ، وبالتالي فهو حب صوري يمحو الضحك والبكاء ، والبهجة والحزن ، والألم والفرح ، ويرى أنه حب أولئك الذين أضربوا عن الزواج ، مثل أفلاطون وباسكال وسبينوزا **وكانط** ، ممن لم يعرفوا في حياتهم المرأة ، وإلا لعرفوا الحب كامل وعطاء ، ومعاناة وصراع . لأنه كما يقول أونامونو : « **الصراع لا يوجد إلا في الفرد** » !

والحقيقة أن الفرد أو الشخص هو ممثل المأساة أو الملهاة عند **اليونان** ، بينما الشخصية عمل يتحقق في التاريخ ، ونحن لا نعرف من هو **سقراط** التاريخي ، ولكننا نعرف سقراط كما صوره لنا **أفلاطون أو أريستوفان** ، ولكي يكون الإنسان باسكالياً ليس عليه أن يكون باسكال نفسه بلحمه ودمه ، وشحمه وعظمه ، وعلى هذا النحو يموت الإنسان بجسده ، وتبقى صورته في التاريخ !

وهذا هو تصور أونامونو لمعنى الخلود ، فالخلود ليس نتيجة منطقية من نتائج العقل ، ولكنه واقعة حية من وقائع الحياة . ومن هنا كان أونامونو شأنه شأن سورين كيركيجورد ، **وإرموند هوسرل ، وهنري برجسون ، ووليم جيمس** ، أحد رواد ميتافيزيقا الحياة .

جدل هو أم صراع ؟

على أنه إذا كان الصراع عند أونامونو هو جوهر الحياة ، وكانت فكرة الصراع في الحياة هي الركيزة الثانية في فلسفة هذا الفيلسوف ، فقد طرحها في كتابه الرئيسي الثاني « **حياة دون كيشوت وسانشو** » حيث اتخذ من **دون كيشوت** رمزاً لهذا الصراع .

فإذا كانت الحقيقة عند **هيجل** تتبدى لنا من خلال الجدل ، إن لم يكن الجدل نفسه هو الحقيقة ، فإنها تبدو لنا عند أونامونو من خلال الصراع ، إن لم يكن الصراع نفسه هو الحقيقة ، والجدل عند هيجل ينتهي إلى المركب من النقيضين . . الوجود والماهية ثم التصور ، الكيف والكم ثم المقدار ، الوجود والعدم ثم الصيرورة ، أما الصراع عند أنامونو فلا ينتهي إلى المركب من الطرفين ، بل يظل التناقض قائماً بين العام والخاص ، بين العقل والعاطفة ، بين الفكر والوجود .

فعند أونامونو أنه بقدر ما يوجد الإنسان في الفكر ، يفلت من بين يديه الوجود ، وبقدر ما يعيش في الوجود تتعذر عليه حياة الفكر . وهذا معناه أن الصراع ذاته كما يقول كيركيجورد هو ميلاد جديد .

وهذا هو دون كيشوت كما تخيله **سرفانتيس** ، وكما اتخذه أونامونو رمزاً لمعنى الصراع . فدون كيشوت في صراعه صورة صارخة للنزاع بين الواقع من حيث هو حياة ، وبين الواقع كما يجب على العقل والعلم أن يتصوراه . إنه الفارس الذي يعيش حياته بعواطفه الجياشة ، وانفعالاته الجامحة ، ووجدانه الطموح ، حتى ولو خاض معركة وهمية ، حتى ولو خسر في النهاية .

ودون كيشوت يعلم أنه يحارب طواحين الهواء ، ويصارع دمى خشبية ، ولكنه في ذات الوقت يرفض أن يخضع للعقل أو للعلم أو حتى للعالم ، ويثور على هذا كله ، ولكنه رغم عبث الكفاح ، يرفض أن يستسلم أو يتراجع ، وإنما يستمد من هذا الصراع أمله البطولي في الحياة .

وقد نتساءل كما تساءل الأديب الروسي الكبير **إتيان تورجنيف** ، عما يعبِّر دون كيشوت ؟

إنه كما يقول هذا الأديب يعبِّر عن الإيمان بشيء خالد ، شيء غير قابل للتجزئة ، يعبِّر عن الحقيقة ، الحقيقة التي تقع خارج الإنسان الواحد ، والتي تتطلب العمل والتضحية ، إنه شبع بالإخلاص للمثل الأعلى ، وهو من أجل تحقيق هذا المثل الأعلى يتحمل شتى أشكال العذاب ، ويقيم حياته بحيث تكون تجسيداً لمثله الأعلى .

وقد يبدو دون كيشوت إنساناً مخبولا ، لأن الحتمية تختفي من أمام ناظريه ، وتذوب كما يذوب الشمع تحت لهيب انفعاله الجامح ، فهو يرى الدمى الخشبية عمالقة ، ويتخيل الخراف فرساناً ، ولكنه لا يهتم بهذا كله ، فهو نقي بقلبه ، جريء بعاطفته ، واثق بنفسه ، وبقدرته على أن يعيش بكامله من أجل تحقيق مثله الأعلى .

لقد كان دون كيشوت وحيداً مع خادمه المطيع **سانشو** ، وكان معه في دروب الحياة ، رغم ذلك كله ، مثالا للنضال والكفاح ، حتى ولو لم يجن من وراء ذلك شيئاً . إنه يضحك من دون كيشوت ، ويدرك أنه مخبول ، ومع ذلك






★ سقراط ★ ★ هيجل ★ ★ ديكارت ★

تراه يغادر وطنه وبيته وزوجته وابنته ثلاث مرات ، لكي يلحق بهذا الفارس النبيل ، يتبعه أينما سار ، معرضاً نفسه لشتى ألوان العذاب .

وهو مخلص له حتى الموت ، يثق فيه ، ويفخر به ، ويبكي على رحيله بكاء الثكلى ، ومن المستحيل رد هذا الإخلاص إلى الأمل في الربح المادي أو التفع الشخصي ، فهو يعلم أن ما ينتظر حامل سلاح الفارس ، المتجول ، هو الضرب ، والضرب وحده ، ولكن ما يدفعه إلى هذه التضحية ، هو الإيمان ، الإيمان بالمثل الأعلى .

إن سانشو يحتقر المصالح الشخصية المباشرة ، ويرى أن احتقارها بالنسبة إلى الإنسان الفقير ، مساوياً لاحتقار الخبز الضروري ، فليس بالخبز وحده يعيش الإنسان ، وعلى ذلك فإن فضيلته الكبرى هي في « القدرة على العمل الشريف والسعيد » إن صح هذا التعبير .

وهو عند أونامونو تعبير صحيح ، لأن **الأفكار « العظيمة » لا تخرج إلا من القلوب الكبيرة ، وفضيلة الإنسان الكبرى ، هي أن يكافح ، ويكافح باستمرار ، سواء وجد لكفاحه هدفاً أو لم يجد !**

أهي الكلمة أم المعنى؟

وهنا ننتقل إلى الركيزة المحورية الثالثة التي ارتكزت عليها فلسفة أونامونو ، والتي عبر عنها بفكرة « **اللوجوس** » فإذا كان العقل في ذاته باعتباره وظيفة منطقية ، لا نفع فيه ولا يمكن استخدامه في معرفة حقيقة الحياة ، فإن اللوجوس أو الإدراك الحدسي لدى الإنسان ، هو سبيله إلى هذه المعرفة ، بل هو الأقدر على إحالة المعرفة إلى نوع من العرفان .

فإذا كان الإنسان يعيش في هذا العالم ، ويحياه بتجاربه ، ويدركه بحدسه الحي ، ويعبِّر عنه بالقول ، ويؤثر فيه بالفعل ، فإن اللوجوس هو السبيل إلى هذا كله ، لأنه الإدراك الحدسي للذات وللعالم ، من خلاله يدرك الإنسان شعوره الكامل بالذات ، وفي نفس الوقت ، يدرك إحساسه الكامل بمأساوية الحياة .

ومن خلال هذا وذاك ، يتحقق الإنسان والفرد عند أونامونو ، سواء أمام نفسه أو أمام المجتمع أو أمام التاريخ . وهذا ما عبر عنه تعبيراً بليغاً قال فيه : « لا أريد أن يضعني الناس في خانة ، لأني أنا ميجيل دي أونامونو . . نوع فريد . . شأني شأن أي إنسان آخر . . يريد أن يحقق الشعور الكامل بذاته » .

وتلك هي قمة الفلسفة اللاعقلية التي استمدها أونامونو من شعوره الكامل بذاته وإدراكه الحدسي للعالم ، لكي يؤسس عليها ميتافيزيقا الحياة ، فإذا كان الفيلسوف الفرنسي **ديكارت** قد قال عبارته الشهيرة : « **أنا أفكر فأنا إذن موجود** » ، فإن أونامونو يرد عليه معارضاً : « **أنا أنفعل فأنا إذن موجود** » . والانفعال هنا يعني الصراع ، والصراع هو جوهر فلسفة أونامونو .

وهذا معناه أنه إذا كان العقل هو قانون القرن السابع عشر ، فها هو الانفعال عند أونامونو يصبح قانون القرن العشرين .

وإذا كان **بروميثيوس** . . نصير العقل والعلم والمعرفة ، هو رمز فلسفة **عصر التنوير** ، فإن دون كيشوت ، الفارس النبيل الجريء الشجاع ، كما يتصوره أونامونو هو رمز فلسفة العصر الحديث .

قمة هو أم قيمة؟

حقاً . . لقد كان أونامونو ، كما قال عنه **كوزاليس إيجيا** في ذكرى الاحتفال بمرور مائة عام على مولده ، « يضع قيماً روحية عالية ، ويعلمنا أن المسؤولية تتضمن القبول الحر لبعض القيم ، هذه القيم هي التي تميز بين ما ينبغي وما لا ينبغي علينا أن نعمله ، فثمة حد فاصل بين القيم الإيجابية والقيم المثالية ، ولقد كان أونامونو مثالاً نادراً لكل هذه القيم مجتمعة » .

ترى ، ماذا يمكننا أن نقول عنه الآن ، في ذكرى مرور نصف قرن على وفاته ؟

أترانا نقول عنه ، لقد كان قمة وقيمة في نفس الآن ، قمة فكرية وقيمة إنسانية !

قد لا يكفي هذا القول ، ولكنه قول فيه الكفاية !

المراجع

١ ـ Miguel de Unamuno, The Tragic sense of life

٢ ـ JUlian Marias: Miguel de Unamuno 1943 English Translation Harward University – Press.

٣ ـ Julian Marias: History of Ph[illegible] New York 1962

٤ ـ معجم أعلام الفكر الإنساني ـ المجلد الأول ، بإشراف د. إبراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

٥ ـ د. حسين مؤنس : كتب وكتّاب ، الجزء الثاني ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة .

٦ ـ أنيس منصور : الوجودية ، يونيو (حزيران) ١٩٥٦م .

٧ ـ د. حسن حنفي : في الفكر الغربي المعاصر ، الجزء الثاني ، دار التنوير ، بيروت ـ لبنان ١٩٨٢م .

٨ ـ مجلة الفكر المعاصر ، العدد ٢٧ يوليو (تموز) ١٩٦٧م .

٩ ـ د. عبد الغفار مكاوي : ثورة الشعر الحديث ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وصفة طبية إلى الإنسان المقهور

شعر: محمد مرعي مهنا

إذا كنتَ مقهوراً، فكن ذا شكيمةٍ
ولا تخفض الرأس الشموخ .. على غبْنِ

وإن كنتَ منبوذاً ونفسك حرةٌ
فطوباك .. إن النابذين ذوو ضِغْنِ

قياسُ الفتى ضيقاً دليل ارتقائهِ
على كل ذي ضِغْنٍ، وفوق مدى الظّنِّ

★ ★ ★

عجبتُ لِمَرْءٍ لا يقيسُ ضميرَهُ
بمقياس صدقٍ .. ثم يرتابُ بالزّيْنِ

ضمير الفتى ميزانُ نفسه .. والحِجا
زمامُ الضمير الحر .. في حَوْمة الشأنِ

إذا أنتَ لم تجعل حِجاك منبّهاً
ضميرك .. لم تبلغْ به خِفّةَ العِهْنِ

وإن أنتَ لم توقظ ضميرك بالهدى
فلا طابَ فيك النومُ في مَخْدَع الأمنِ

★ ★ ★

سَمَوْتَ كإنسانٍ على كُلِّ ذي دمٍ
بعقلٍ بصيرٍ .. لا تدعْه بلا عيْنِ

وربُّكَ ما أعطاك عقلاً بلا رُؤى
ولا حطَّ فيك مُقْلَتيْنِ بلا جَفْنِ

وما زَوّدَ النفْسَ الكريمةَ روحَها
بلا أيّ حُسْبانٍ .. ولا أيّما وزنِ

فلا تُغْمِض الجفْنَيْنِ عن سطوة المُنى
ولا تردعِ العقلَ السليم عن العَوْنِ

ولا تكُ قهاراً فربّكَ قاهرٌ
ولا تكُ جباراً فروحُكَ في حَيْنٍ[1]

سوى بِنُّ الخلاّق لا تبتغي إذا
أناخ الزمان ظهرَك العمرَ بالمَنِّ

ولا تبتئسْ من سوء عَيْشٍ وقلّةٍ
فدهرُك قلاّبٌ .. وآتيك ذو يُمْنِ

ولا بد للقهر الذي أنت مُضْرَمٌ
به .. من زوال .. ثم تحيا بلا حُزْنِ

ضِرامُكَ مقهوراً دليلُ كرامةٍ ..
تعيش بإحساس .. أبيٌّ .. بلا جُبْنِ.

وصوتُك جيّاشاً لأجل ظُلامةٍ
ملاذ انشراح الحق في مَسْمَع الوهْنِ

★ ★ ★

أخي .. أيها الإنسانُ .. عمرُك واحدٌ
إذا كنتَ عادياً .. ولو عشتَ في قرْنِ

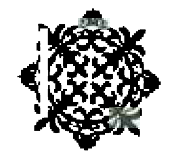
فهلاّ ركبتَ الصوت .. يوماً .. لِمَخْشَنٍ
يعِشْ ذكرُك المحبوبُ .. عمرين .. في المُزْنِ[2]

رُؤى القهر أوصابٌ وأنتَ دواؤها
فطوباك .. إن داويتَ قهرَكَ بالطَّعْنِ

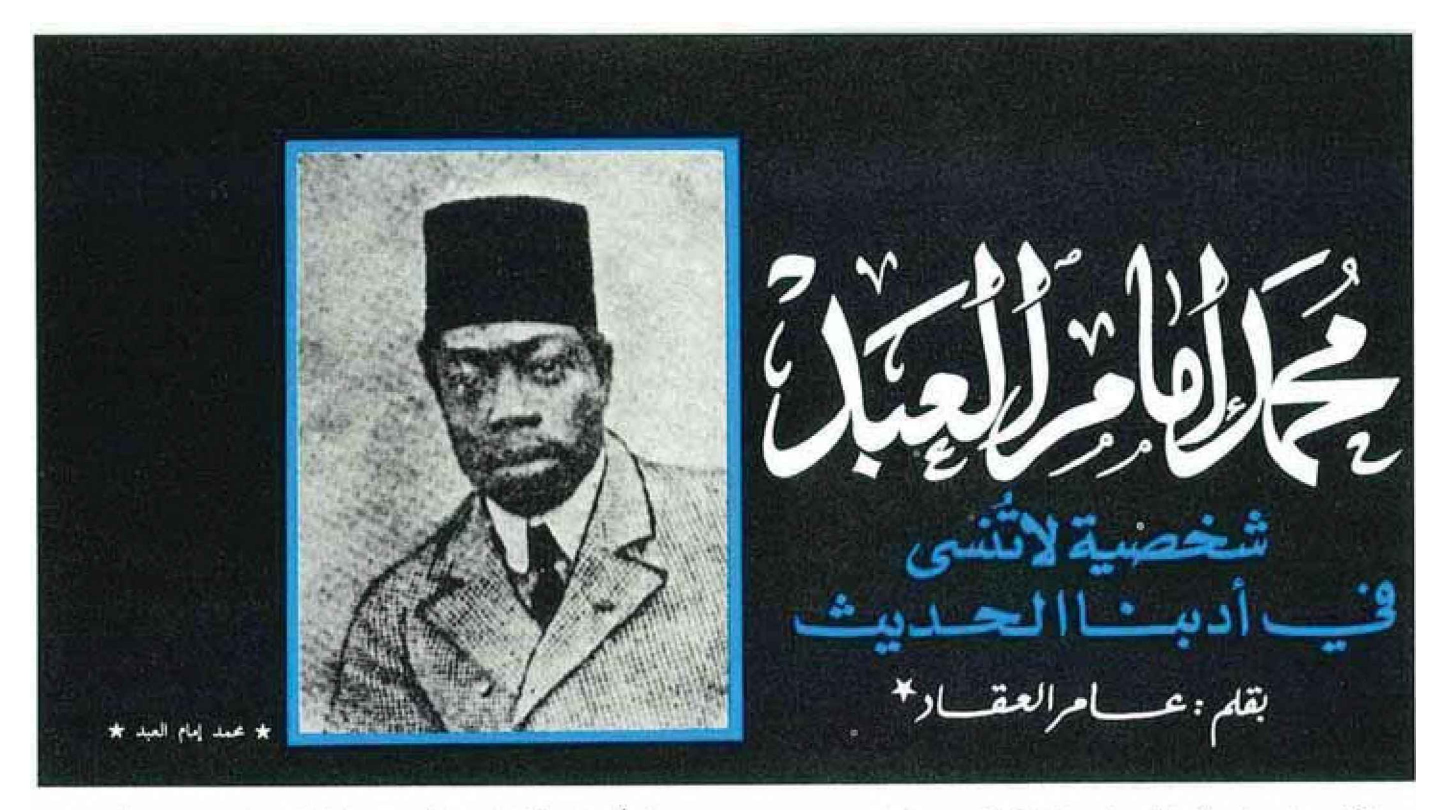
★ ★ ★

الهوامش

(١) الحَيْن: الموت والهلاك.
(٢) مَخْشَن: لم حس.






★ محمد إمام العبد ★

محمد إمام العبد

شخصية لا تُنسى في أدبنا الحديث

بقلم: عصام العقاد ★

لكل معلم من معالم التاريخ مكانة تميّزه، وتذيعه بين الأجيال. وقد يكون هذا المعلم ظاهرة أو موقعاً أو شخصية. **ولا ريب في أن الأديب الظريف «محمد إمام العبد» معلم من تلك المعالم التاريخية التي حفظها الأدب المصري المعاصر بين ذخائره في تلك الفترة التي كان القرن التاسع عشر الميلادي. يجرجر أذياله خلالها إلى الانتهاء.**

بؤس.. ومرح

فقد كان لشخصية **إمام العبد** أشبه بتلك الابتسامة العابرة التي قدر لها أن ترفرف على ثغر الحياة المصرية ردحاً من الزمان. فظلت منفرجة فمثلت الطبيعة المصرية وكل ما تحويه تلك الطبيعة من ذكاء ومكر وسخرية.. كما استطاعت ـ في الوقت ذاته ـ أن تكون **صورة صادقة لحضور البديهة، ولدقة الملاحظة، ولخفة الروح** حتى طواها الموت فجأة منذ سبعة وستين عاماً خلت عن عمر يقال إنه تجاوز الخمسين قليلاً.

ومع كل ذلك فقد كاد النسيان أن يلف تلك الشخصية النادرة لفكهة برداء من الصمت ثقيل. ففدت الحياة الأدبية، كذلك المنتديات الفكرية لا تذكرها أو تأتي على اسم صاحبها اللهم إلا في معرض الحديث العابر من خلال التحدث عمن زاملوه أو عاشوا معه في عصر واحد.

وكانت هناك بينه وبين أحدهم نادرة من النوادر، أو «**قفشة**» من «**القفشات**» وكأنه قد كتب عليه ألا يذكره الذاكرون إلا مقترناً بغيره من الشعراء والأدباء. **وتلك ظاهرة أدبية غير لائقة، ويجدر بالحياة الأدبية أن تتخلص منها** قبل أن يستفحل خطرها وتعم غفايلها فتسلا الأدمغة والأوراق.

لقد عاش «**إمام العبد**» في نفس الفترة الزمنية التي عاش فيها **حافظ إبراهيم، وعبد العزيز البشري، ومحجوب ثابت، وشفيق المصري، ومحمد بكير**. وكلهم **من ألمع نجوم الفكاهة والشعر**، ومن أصحاب النوادر والملح. حتى لقد كادت شهرة بعضهم في ميدان النوادر والملح تطغى على شهرتهم في مجال الشعر والنثر.

ويعتبر «**إمام العبد**» واسطة العقد بين ذلك اللفيف من الظرفاء الذين شهدهم ذلك العصر الذي امتلأ **مرحاً وظرفاً إلى جانب ثرائه بالشعر والزجل**.. وهو مع كل هذا الثراء الفكري يعوز الباحثين عن سيرته إلى جهود مضنية للرجوع إلى بعض الأحياء ممن عاصروه ليقف منهم على سيرة حياته ونشأته. فلا يخرج إلا بالنذر اليسير، وحتى ذلك النذر اليسير لا يروي غُلته إلا إذا رجع إلى بطون الصحف والمجلات التي باعد الزمن بينها وبيننا.

ومن العجيب أن دقائق أخبار تلك الشخصية ونشدان ما نظمت من أشعار وأزجال، وتحليل مواقفها الأدبية والاجتماعية لا تزال مجهولة للكثيرين رغم كثرة تردد اسم صاحبها ونوادره... إنها لسيرة تبدو وكأنها سيرة شاعر قديم عاش منذ مئات السنين. لذلك سكتت عنه المراجع. اللهم إلا جملة عارضة تقال عنه هنا، أو نادرة مضحكة تروى عنه هناك. وهذا كل نصيبه من الذكر بين عالم الأحياء وبين صرير الأوراق.

فحتى يوم الناس هذا **لم يقم أديب معاصر بمصر**، أو في أية بقعة أخرى من الوطن العربي **بكتابة ترجمة وافية عنه تضمن لتاريخه البقاء مع بقية السير الأدبية المعاصرة** التي تزين المكتبة العربية وتختلي بها أروقتها وقاعاتها.

إن سيرة «إمام العبد» من السير والتراجم التي يجدر بالكتاب أن يتعمدوا لها فيؤلفون عنها المؤلفات. ولكن يبدو أن «**بؤسه وسوء حظه** ـ كما يقول **الباحث الدكتور محمد رجب البيومي** ـ قد امتد إلى تاريخه فكاد أن يأتي عليه.. والبؤس طاغية جبار، يصاول الأحياء في عنف وطغيان، فإذا لفظوا أنفاسهم بين يديه، عدا إلى القبور **فمزق الأكفان وبعثر الأشلاء**»[1].

ذكر «**البشري**» في الجزء الثاني من مختاراته كلاماً عن «**محمد إمام العبد**» في معرض حديثه عن «**النكتة المصرية في العصر الحديث**»، فقال: «.. كان إمام «رحمه الله» **زنجياً بمعنى الكلمة** كما يقولون لولا فصاحة لسانه، ولولا أنه ولد وعاش في مصر، ففطر على أخلاق أهلها وأخذ

بعاداتهم وسائر أسبابهم ، فلقد كان **غليظ المشفرين ، أفطس الأنف ، محمّر الحدقتين ، أملد العارضين ، مفلفل شعر الرأس** ، أما لون جلده فأشد من فحمة الدجى سواداً . . . » .

« كان ربعة في الطول ، مكتنز اللحم ، موفور القوة ، لا أدري أين نشأ ولا كيف نشأ ، إنما الذي أدريه أنه عالج الأدب ، وأول ما عالج من فنونه **نظم الزجل ، وأجاد فيه أيما إجادة** . ولكن طموحه دفع به إلى قرض الشعر ؛ فمدح وهجا ، وتغزل وفخر . وتصرف في كثير من فنون القريض ، وما أحسبه بلغ في هذا جليلاً » .

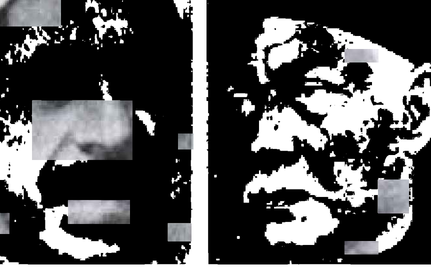
ويبدو أن « **البشري** » قد أراد برسم تلك الصورة القلمية « **لإمام العبد** » وهو في معرض حديثه عن النكتة المصرية أن يركز على جانب منها دون سواه من الجوانب الأخرى المتعددة . فهو لذلك لم يتعمق في أعماق شخصيته فيحللها ويحلل الدوافع التي جعلته ذلك الإنسان دون سواه . **فالوقوف أمام المظهر الخارجي لشخصية كشخصية إمام العبد فيه ظلم بيّن له لا جدال** . لأن دراسة الشخصيات في الأدب الحديث يجب أن لا يكون قصارى الباحث فيه أن يركز على المظهر ولا يتعداه . فكم من مظهر لمفكر ما يختلف عن باطنه ! ، وكم من ظلم حاق بشخصيات المجتمعات الفكرية والفنية بسبب مثل ذلك القصور في دراسة النفس الإنسانية ! .

شعر .. وغزل

لقد كان **إمام العبد** ـ كما ذكر عارفوه ـ من الشخصيات التي آتاها الله **سرعة في الخاطرة وحضوراً في البديهة ، وقدرة على التصوير والتخيل** ، ومن المعروف أن **البشري** ـ رحمه الله ـ كان واحداً من الذين عرفوا « **إماماً** » عن كثب وله معه نوادر وملح كثيرة لا يزال البعض يرددها حتى يومنا هذا ، كما أنه لم ينقل في مقاله عنه شيئاً من أزجاله التي عالجها في إجادة منقطعة النظير ، أو شيئاً من أشعاره في المدح أو الهجاء كما ذكر ، وفيها ما يعتبر من عيون الشعر الرصين كقصيدته التي وصف بها مجتمعه الذي عاش فيه . يقول إمام العبد :

لبست لأجله ثوب الحداد
ودرت مع الزمان بغير زاد
أمد يدي إلى قلمي افتقاراً
فيدفعني إلى تلك الأيادي
فياليت اليراع يصير سهماً
كما أبغي ويكتب في فؤادي
سئمت الحياة بلا حياة
وضقت من الرشاد بلا رشاد
وكيف يهيم بالدنيا أديب
تسربل بالسواد على السواد
إذا أكل الطعام فمن تراب
وإن شرب المياه فمن مداد
كأن الدهر يغضبه صلاحي
فأفقرني ليرضيه فسادي

محمد إمام العبد





★ عبد العزيز البشري ★ ★ حافظ إبراهيم ★

أو قصيدته الرائعة في الغزل التي يقول في مطلعها :

كتمت فأقصاني وبحت فلامني
فهاج غرامي بين سري وإعلاني
وما كان لوني قبل حبك أسوداً
ولكن لهيب الشوق أحرق جسماني

إن « **إماماً** » في ذلك المطلع يذكرنا بشاعر العرب الكبير **نصيب بن رباح** مولى **عبد العزيز بن مروان** ، حينما قال له قائل : **أيها العبد ما لك وللشعر ؟** ، فقال له : **أما قولك عبد . فما ولدت إلا وأنا حر . ولكن أهلي ظلموني فباعوني** ، وأما **السواد** فأنا الذي أقول :

ليس السواد بناقص ما دام لي
هذا اللسان إلى فؤاد ثابت
من كان ترفعه منابت أصله
فبيوت أشعاري جعلن منابتي
كم بين أسود ناطق ببيانه
ماضي الجنان وبين أبيض صامت
إني ليحسدني الرفيع بناؤه
من فضل ذاك وليس لي من شامت

ومهما يكن من شيء فقد استطاع **إمام العبد** أن يخرج من طبقته ، وأن يبهر بتخطيه لكثير من العقبات التي كان لون البشرة فيها يؤود غيره . فنراه قد وظف ذلك السواد في إدخال السرور على المحبوبة فيقول لها إنه لم يكن قبل أن يهيم بها أسود البشرة ، **وإنما شدة الشوق ولهيبه إلى وصلها وحبها هما سبب حرقة جلده** ، فبدا أمام ناظريها أسوداً سواد حلكة الليل الدامس .

لقد كان هذا الشاعر الظريف عبقرياً في مرحه كما كان عبقرياً في حزنه . وهذا كل ما يقال فيه وجلة ما يقال . . أو إن شئنا نقول : **إن الحزن والمرح كانا جزءاً من طبيعة تلك الشخصية النادرة** . ولربما كانت النكتة عنده في كثير من الأحيان ضرورة لازمة لا مناص له منها . فقد نشأ لاعباً ماهراً لكرة القدم إلى جانب إجادته نظم الشعر والزجل ، ولكنه لم يستفد من تلك المهارة التي حذقها في لعب الكرة .

أو لربما لم تكن مكانة لاعب الكرة في تلك الأيام مثل مكانته في هذه الأيام. فإننا نرى كيف تفاخر الأندية والأمم بلاعبيها المهرة الذين يحرزون قصب السبق في المباريات الدولية، بل ونرى أندية تدفع مئات الألوف من الجنيهات لشراء لاعب واحد ماهر لتضمه لفريقها ليحقق لها النصر على غيرها. وقد يدهش القارئ عندما نقول له إن «إماماً» كان «**كابتن**» **الفريق المصري لكرة القدم في عام ١٩٠٠م.**

مقاه.. وندوات

ونضيف إن الأديب في زمن إمام كان لا يمكنه أن يعتمد على الأدب في تحصيل رزقه فلا غنى له عن منادمة السراة والأغنياء. فكان لا بد له من سلاح الفكاهة لترضيهم عنه وترغبهم في مجالسته، ومعونته على المعيشة بالعطايا والصلات.

لقد نشأ «**إمام العبد**» في عصر يجدر بنا أن نقف أمامه لحظة نحاول من خلالها أن نصوره للقارئ كيف كان؟ وكيف كانت الحياة تسير فيه! ونعني به الحياة في مدينة **القاهرة** عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ومطالع القرن العشرين الميلادي.

كانت الحياة في مدينة القاهرة آنذاك تختلف عن الحياة في هذه الأيام **وبالذات حالة أهل الفكر والأدب** الذي كان صاحبنا أحد أعلامهم المبرزين. لم تكن القاهرة مدينة كبيرة مترامية الأطراف، صاخبة مدوية تسكنها الملايين من البشر ويتردد عليها المئات بل الآلاف كل يوم مثل ما نراها الآن، كما لم يكن يسير في طرقاتها عشرات المئات من المركبات والسيارات ووسائل المواصلات الأخرى التي نراها **ممتلئة بأجساد البشر**، حتى أصبح من المألوف لساكنيها أن يروا شوارعها مكتظة بالسيارات التي تتحرك في بطء وكأنها تلك الحية الآمنة المطمئنة التي تزحف في تؤدة واسترخاء شديدين غير عابئة بالوقت وقيمته.

وإنما كانت المدينة **ملمومة الرقعة**، تعيش في هدوء وقناعة، تحكمها تقاليد وعادات متوارثة عن الأجداد والآباء، وتشيع بين جنباتها أوضاع مألوفة معروفة.. وكانت المودة والتعاطف هي السمة البارزة لذلك الرباط الوثيق الذي يربط بين سكانها. وكانت بيوت الأثرياء والعظماء فيها تمد للقاصدين موائد الضيافة والكرم، بل لقد عرف مجتمع القاهرة في تلك الأيام عديداً من «**التكايا**»، و«**المضايف**» التي أوقف أصحابها عليها المئات من الجنيهات. وكان المحتاجون يلجأون إليها، وكذلك الغرباء الطارقون عليها من البقاع والأمصار المختلفة.. الكل يجد من يقدم له الطعام، ويسهر على راحته آناء الليل وأطراف النهار دونما يتقاضى مقابلاً مالياً على الإطلاق.

وكان العظماء والكبراء وأبناء البيوتات يرون في تقريب العلماء والأدباء والشعراء حلية من حلي العراقة والفضل، ومظهراً من مظاهر النبل. فكانوا يفسحون لهم في جانبهم، ويبذلون لهم في جاههم. فكانت منازلهم مجامع لأولئك العلماء والأدباء والشعراء يجتمعون فيها كل ليلة أو كل أسبوع فيتباحثون ويتجادلون ويضحكون ويسمرون.

ومع الزمن تطورت الحياة، واختلفت أوضاعها، واتسعت آفاقها فكان من اللازم أن يخرج الناس من دائرة ذلك الهدوء وذلك التحفظ بين جدران الدور والمنازل إلى الحياة الرحيبة.. حياة الانطلاق والصخب،

فقامت الندوات الحرة في المقاهي والمشارب العامة. فاشتهرت بعض المقاهي كمقهى «**إسبلندد بار**»، ومقهى «**متاتيا**»، الذي كان في حقيقته كما يقول الصحفي المصري **محمد فهمي عبد اللطيف** ثلاث قهوات تقوم في عمارة واحدة أمام **حديقة الأزبكية** الشهيرة، يطلق على طرفها «**القهوة العمومية**»، وعلى وسطها «**قهوة جراسمو**»، وعلى القسم الثالث والأخير «**قهوة إسطمبول**».

وفي ناحية منها كان يجلس **إبراهيم المويلحي**، وشاعر النيل **حافظ إبراهيم**، **وأحمد فؤاد**، صاحب «**الصاعقة**» الذي غلب اسمها على اسمه فكان يعرف **بفؤاد الصاعقة**، **والشيخ محمد النجار**. وكان «**إمام العبد**» **بين هؤلاء جميعاً واسطة العقد، ودرة المجلس بما كان يرويه من نكاته وأزجاله وقفشاته فيضحك الجالسين.**

روى **العقاد** لنا في إحدى ندواته أنه أدرك ذلك المقهى، والتقى فيه **بإمام العبد** وذكر أنه في ذات مرة جاءهم إمام مهرولا ليسمعهم آخر ما نظم وكانت قصيدة يقول في مطلعها:

رب عمر يكون يوماً	ورب يوم يكون عمرا

وأخذ يطريها أمامهم قائلاً: **ماذا نظم المتنبي الذي اشتهر بالحكمة خيراً من هذا؟**، عندئذ أراد العقاد وصحبه من شباب صحافة ذلك العصر أن يسخروا منه، ومن قصيدته ما دام قد حاول أن يقرنها بحكم فحل العربية **المتنبي**. فعمدوا إلى نظم «**ألفية هزلية**» كاريكاتورية على ذلك الأسلوب جعلوا لها عنواناً هو «**رُبّ**» قالوا فيها:

ورب ظهر يكون صبحاً	ورب صبح يكون ظهرا
ورب خمر تكون ماء	ورب ماء يكون خمرا
ورب شبر يكون متراً	ورب متر يكون شبرا

إلى آخر باب «رب» الذي لا ينتهي على ذلك المنوال.. فجن جنون إمام العبد عندما أسمعوها له. فخاصم مجلسهم فترة طويلة، كما فارقته النكتة زمناً حتى أعاده لمجلسهم بأن قام أحدهم **وصالحه بريال يشرب به ما يشاء**. وقد كانت تلك الهدية السنية مناسبة لابتكار نكتة جديدة في ذلك المجلس قالها لهم إمام العبد نفسه.

قال العقاد: «رن صاحب الهدية ريالة فوق رخام المنضدة على سبيل التشويق والتهويل. فقال أحدهم: برافي.. وقال آخر: ما رأيك يا إمام؟ فقال: **نسيت رنتها منذ أعوام**. فضحك الجميع وعاد الشمل يجتمع معه وعاد هو يجلس معهم ويسامرهم».

أما الناحية الأخرى من ذلك المقهى الكبير فقد كان مجلساً للشيخ **عبد القادر المغربي**، والشيخ **محمد الشريتلي وحسين وصفي رضا** وغيرهم. وفي القسم الثالث كان يجلس الشيخ **محمد المهدي**، والشيخ **محمد الخضري**، والشيخ **عبد العزيز جاويش وحفني ناصف ومحمد عبد المطلب** وغيرهم من شيوخ دار العلوم والأزهر.





★ محجوب ثابت ★ ★ المتنبي ★ ★ العقاد ★

ومما يؤسف له أن هذه المقاهي الثلاث على الرغم من أنها تعتبر **قطعة من تاريخ مصر في مطالع القرن العشرين الميلادي . فمنها هبت معظم ثورات الشرق .. ومن بين جنباتها سطرت مئات المقالات ونظمت عشرات القصائد** ، قد بدأت معاول الهدم تتخذ طريقها إليها في السنوات الأخيرة ليحل محلها عمارات ضخمة للسكنى يُدفع بها أزمة الإسكان في ذلك الحي الصاخب العريق **حي الأزبكية** . ولقد سبقها إلى ذلك المصير شبيهاتها من المقاهي الشهيرة كمقهى « **بار اللواء** » ، ومقهى « **الأجلو** » ، ومقهى « **صولت** » وأخيراً مقهى « **الفيشاوي** » الشهير بميدان الحسين .

حقاً لقد كانت تلك المقاهي والمجالس مثابة للأدباء ومنتدى لهم . فكان المرء لا يعدم واحداً منهم في ساعة من ساعات النهار أو الليل يدخن النارجيلة في صمت ، أو آخر يلعب الشطرنج ويزجي به الفراغ ويقتل الوقت ، وثالث في حفل من الأدباء والشعراء أو الأصدقاء يتطارحون الشعر أو ينشدونه أو يتبادلون النكات[٢] .

لقد استطاع أحد الشعراء المصريين أن يصور بشعره ما كانت عليه تلك المقاهي بمصر في تلك الأيام وهو الشاعر **أحمد الزيني** عندما رثا الشيخ **محمد عبد المطلب** فقال :

هيهات منا لدى « قيسون » مجلسنا
مضى الصفاء وحل الدهر ما عقدا
عهد قضيناه من يشهد لياليه
كأنما شهد الدنيا بمن شهدا

وحقاً ــ كذلك ــ كانت حياة الأدباء والشعراء في تلك الفترة من الزمان وارتباطها ذلك الارتباط بالمقاهي من الأمور الملفتة للنظر .. فهي حياة تقوم على الحرية .. **والحرية ــ كما هو معروف ــ روح الأدب وقوام الرأي** . وبفضل انتشار تلك المقاهي والمنتديات الأدبية عرفت الحياة الفكرية **لوناً من الصحافة لم يكن معروفاً من قبل وهو الصحافة الهزلية** .

وهو لون غير تلك الصحافة اليومية الجادة ، لأن الصحافة الهزلية تقوم على ألوان من الهزل والقفش والتورية اللفظية ، وإن كان يبدو بها ــ فيما بعد ــ قد استبدل اللغو بمصالح الأمة وسلوك الأفراد والجماعات نذكر منها على سبيل المثال **مجلة « الأرغول »** التي كان يصدرها شيخ الزجالين **محمد النجار** ، و « **حمارة منيتي** » ، التي أصدرها **محمد توفيق** سنة ١٨٩٨ م ، ويقال إنها كانت توزع أربعين ألفاً في تلك الأيام ، كذلك **مجلة « خيال الظل »** التي أصدرها **حافظ عوض** سنة ١٩٠٧ م ، **ومجلة « السيف »** التي أصدرها **حسين علي وأحمد عباس** ، وكانت شبيهة بصحيفة « **البعكوكة** » الشهيرة التي كانت تصدر بمصر حتى الخمسينات .

سواد .. وكبرياء

في وسط ذلك الجو كان مولد « **محمد إمام العبد** » وبين ربوعه نشأ وترعرع . فقد كانت ولادته من أبوين يقال إنهما جلبا من **حلب** للرق . ثم بيعا إلى إحدى الأسر التركية الكبيرة التي كانت تعيش بالقاهرة . فدرج وهو يرى أبويه يخدمان رب تلك الأسرة التركية في ذلك القصر المنيف . ولا يستبعد **أن يكون ذلك الوضع الأليم الذي اختاره القدر لصاحبنا هو سبب تلك المحنة الكبرى** ، التي ظلت تطارده طوال حياته فصبغتها بسلسلة متواصلة الحلقات اتصفت بالشقاء والألم . وقد ذكر البعض أن ذلك القصر الذي درج فيه « **إمام العبد** » ، كان يقع **بحي جاردن سيتي الشهير بالقاهرة** ، وهو الحي الذي كان يضم فيما مضى قصور الحكام والوجهاء والأثرياء . ويقال إنه كان يعرف **بقصر إبراهيم** ثم عرف بعد ذلك « **بدار الإمارة** » .

وقد رجعت إلى بعض الأحياء من معاصري « **إمام العبد** » لأقف من أحدهم على تاريخ ميلاده فلم أوفق ، وإنما كل ما ذكره لي أولئك المعاصرون أن وفاته كانت في عام ١٩١١ م ، عن عمر يناهز الخمسين أو زاد عليه قليلاً . وكذلك ذكر **خير الدين الزركلي** في كتابه « **الأعلام** » ذلك أيضاً . فإذا صح ذلك التاريخ فيكون ميلاده ما بين عام ١٨٦٠ م ، وعام ١٨٦١ م .

ولما بلغ إمام سن الصبا بعث به أبوه إلى الكتّاب ، **فحفظ جزءاً من القرآن الكريم** ، ثم ألحقه بإحدى المدارس الابتدائية **بحي الناصرية** الشهير ، فكان ذلك هو كل حصيلته من مراحل التعلم .

فلما شب عن الطوق تفتحت نفسه للأدب ، ووجد في ذلك اللون من فنون الحياة ما لاءم طبيعته ، فلم يلبث أن استوى بين الناس كاتباً **صاحب قلم وبيان ، وشاعراً يزاحم الفحول على « منصات » الإلقاء ، وزجالاً يباري شيوخه على المقاهي وفي المنتديات** . ولكن كل تلك الملكات لم تشفع له لأن يستوي في المكانة اللائقة به . ذلك لأن الناس كانوا بسبب لون بشرته وشفتيه الغليظتين ، وأنفه الأفطس لا يتجاوزون به مكانة قرنائه من الشعراء والأدباء ، فعاش بينهم كريشة تتقاذفها رياح الحياة القاسية .

وعلى الرغم من تلك النظرة القاسية **لإمام** من مجتمعه إلا أنه كان يرى نفسه **سيداً بمواهبه ومعرفته** . وقد دفعت به تلك النظرة القاسية إلى شيء من **الكبرياء والاعتداد ملأ نفسه** ، شأنه في ذلك شأن كل فنان يغار على فنه ومواهبه . لذلك نراه يصور بشعره تلك المحنة في عبارات تهز النفس وتشيع فيها جواً من التعاطف معه في محنته ، يقول :

تكاد عيوني تقرأ الغيب في الدجى
وتسمع أذني فيه ما تضمر الحُلُ

وما أنا من قوم تهون نفوسهم
عليهم إذا خانهم الصحب والأهلُ
فلي من مضائي رفقة وعشيرة
فلا سيد يتأى ولا صاحب يسلو
فيا حظ لا تسعد ويا خسل لا تزر
ويا دهر لا تعدل ويا عيش لا تحلُ
فما هاجني سخط ولا كفني رضا
ولا ساءني ظلم ولا سرني عدلُ
وما قتلني الحادثات وإنما
حياة الفتى في غير موطنه قتلُ

كما استطاع إمام العبيد أن يصور ثورة نفسه على المجتمع الذي بادله تلك النظرة القاسية الظالمة بسبب سواد لون بشرته فجحدوا فضله وموهبته ، وفي ذلك يقول :

تسبوني إلى العبيد مجازاً
بعد فضلي واستشهدوا بسوادي
ضاع قدري فقمت أندب حظي
فسوادي علي ثوب حداد

لقد ظلت تلك الثورة النفسية ـ ونعني بها عقدة اللون ـ تصاحبه طوال حياته حتى حينما أراد أن يرثي شاعر مصر الكبير **محمود سامي البارودي** لم ينس أن يشير إليها فنراه يقول :

لبست حدادي فيك من قبل نشأتي
فلو أنصفتني أمي جلت اسما
وكنت كما شاءت معانيك درة
فما احترقت بالحزن حتى غدت فحما

إلا أننا نراه بعد ذلك قد حاول أن يتخذ سما منّي به من حلكوكة دامسة **نوعاً من الترفق في شكل مناجاة مشجية** عند حديثه عن الحب وعن إحدى معشوقاته .

أحب مرّة فتاة بيضاء فأخذ يناجيها طالباً منها أن تسدل الليل على بدر الدجى الساطع . ولكن الفتاة **رفضت ذلك الحب في استعلاء وإباء** ، بل وتعجبت من جراءة ذلك العبد الأسود الذي يطمع في غرامها ، في الوقت الذي عزت فيه على الأحرار البيض فلم يفتأ صاحبنا أن يخاطبها شعراً فيقول :

عذبي القلب كما شئت ولا
تكثري اللوم لمثلي لا يُلام
واسدلي الليل على بدر الدجى
فحديث الشوق يحلو في الظلام
همت بالوصل فقالت عجبا
أيها الشاعر ما هذا الهيام
أنت عبد والهوى أخبرني
إن وصل العبد في الحب حرام

قلت يا هذي أنا عبد الهوى
والهوى يحكم ما بين الأنام
وإذا ما كنت عبداً أسوداً
فاعلمي أني فتى حر الكلام

وتتألق شاعرية إمام العبد في تلك الصورة الشعرية التي صور فيها هيامه بفتاة سوداء مثله هام بحبها يوماً فقال :

وسوداء كالليل البهيم عشقتها
لأجمع بين الحظ واللون في عيني
إذا ضمنا ليل تبسم ثغرها
فلولا سناه بت في جنح ليلين

ويبدو أن بحور الخليل بن أحمد بأجمعها لم تشف تلك المعاناة التي كان يعانيها ، لذلك نرى إماماً قد راح ينظم كثيراً من الأزجال المرحة التي تدور في جملتها حول ذلك السواد وتلك الدمامة ، وحسبنا مقطوعته الزجلية التي جعل لها عنوان «الزجلية السوداء» والتي يقول فيها :

الناس لها مذهب في البيض
ومذهبي حب السودان
مرجان شم ببخيته
وبخيته بجنونه بمرجان
مين اللي قال الحب عتاب
يا أهل المحبة دلوني
مين اللي قال الهجر عذاب
يا ناس وحق الله افتوني
الليل ومحبوبي أصحاب
إزاي عواذلي يشوفوني
والشمس تكره محبوبتي
كره البلابل للغربان

● ● ●

الحسن ما هوش بالألوان
الحسن بالذوق والخفه
والحسن ما هوش بالميزان
يطلع وينزل بالكفه
الحسن ظاهر للأعيان
وخفة الأرواح صدفه

ثم يستطرد فيصف شعرها الأسود الفاحم ، وثغرها الجميل الضيق وخصرها الرقيق الممشوق وقوامها الفارع الطول فيقول :

الشعر أسود من بختي
والثغر أضيق من رزقي
والخصر في رأي الفتي
أرق من أشعار شوقي

أمـا القـوام طـول وقـفي
مـن بعـد مـا ضـيع حقي

لقد ملأ **إمام العبد** الحياة الأدبية بأشعاره وأزجاله، وملحه ونوادره. ولا يفوتنا أن نذكر له في هذا المجال تلك القصيدة العصماء التي حث فيها أبناء مصر ليأخذوا بوسائل الحضارة وأن يدعوا الهزل والتواكل، والتي كان عنوانها **«على قمة الأهرام»** يقول:

سلام على ذاك الذي بات صامتاً
ولولا التواني بيننا لتكلما
....
....
رفعتم لنا ذاك البناء بقدرة
إذا ضربت صدر الزمان تحطما
فلنا مع الأهواء في كل مذهب
وبتنا مع الأيام وهماً مجسما
وقفنا على الآثار نبكي على الألى
إذا ذكروا ثغر الزمان تبسما

إلى أن يقول:

بني النيل إن النيل أسبل دمعه
وناح على آبائنا ونوحا
فلا تطلبوا المجد الأثيل بأنفس
عزيز عليها أن تجد لتغنما
عذيري من قوم تداعت صروحهم
وما نبهوا قلباً ولا حركوا فما
ينامون والأيام شتى ضروبها
فياليت شعري هل يرى المجد نوما؟
كفى حزناً أن يصبح الشرق مظلماً
ويطلع ذاك الغرب في الأفق انجما
إذا لم تسابق أمة الغرب فاكتبوا
على جدث الغالي قضى متألما
ولا تكرموني بعد موتي فإنني
أرى من بعيد المجد للشرق أكرما
إذا أنا لم أسعد بلادي بهمتي
فلا حركت كفي اليراع المقوما

وهناك من شعر **إمام** الرائع تلك القصيدة التي وصف بها شاباً من أصدقائه التق به يوماً وهو جالس في **الأزبكية** بعد أن ذهب السل بصحة ذلك الصديق، واستنزف لحمه وبرى عظامه، فدمعت عينا إمام لما وصلت إليه حال ذلك الشاب فتحرك فؤاده فنطق بتلك القصيدة التي تمتلئ بالصدق الشعوري. يقول فيها:

عشق الموت مكرهاً في شبابه
رب موت تحار في أسبابه

محمد إمام العبد



★ محمد رجب البيومي ★ حفني ناصف

قبل أن يدفنوه في الرمس ميتاً
دفنته الأيام في جلبابه
فإذا رمت أن تراه بعين
لا ترى غير أنه في ثيابه
كيف تقوى كفاه في موقف الـ
ـعرض إذا كلفوه حمل كتابه
أيها الموت لا عدمتك خلاً
طالما أنقذ الفتى من عذابه

ملح .. وقفشات

وقبل أن نوفي هذا المقال عن ذلك الشاعر البائس (**محمد إمام العبد**) من البحث والاستقصاء حقه نرى أنه من الجدير بنا أن نشير إلى **بعض ملحه ونوادره وقفشاته**. تلك النوادر والقفشات التي كادت لاشتهاره بها أن تطغى على مزاياه الشعرية والزجلية فأصبح الناس لا يعرفون من سيرته إلا ذلك الجانب لدرجة أن صديقه **البشري** قد لقبه يوماً في أحد مقالاته عنه **«بإمام القفاش»**.

وقد بلغ حب إمام العبد للضحك أنه **أنشأ مجلساً للضحك أطلق عليه «نادي البؤساء»**، كان من أعضائه **حافظ والبشري وفؤاد الصاعقة** وغيرهم، ممن اشتهروا بالفكاهة وحدة اللسان. وقد كان ذلك النادي أسفل شجرة كبيرة في **شارع خيرت** الشهير كانت تقبع أمام أحد مقاهيه الكبرى. وكان **إمام** وصحبه يتخذون من ذلك المكان نادياً يجتمعون فيه للتندر على عباد الله. وكان دور إمام كدور **«وكالة رويتر»** في إذاعة أخبار ذلك المنتدى بين جلساء المقاهي الأخرى التي كانت منتشرة في أحياء القاهرة الأخرى.

ومما تناقله جلساء تلك المقاهي من نوادر **إمام** وقفشاته أنه كان يسكن في حجرة بدار المرحوم **حسين الحلبي** الزجال الشهير بجهة **«الصليبة»**، ومضت عدة أشهر ولم يدفع «إمام» لصاحب الحجرة الأجرة. فأرسل إليه **حسين الحلبي** من يطالبه بالتسديد. فاشترط «إمام» لهذا أن يقوم الحلبي بطلاء الحجرة أولا. فعاد رسول الحلبي يحمل له ذلك الشرط. فقام بما طلب «إمام» فطلى الحجرة أحسن طلاء، ثم أرسل إليه بيتين من الشعر مع

رسوله يقول له فيها:

أإمام يا رب الحسا
ـسد والعزائم والمكارم
إن كان أعجبك السدهان
فجد بإرسال الدراهم

فذهب الرسول بذلك لإمام وطالبه بالأجرة المتأخرة حسب الاتفاق. فما كان من «إمام» إلا أن أعطى الرسول خمسين قرشاً وأرسل معه بيتين من الزجل للحلبي رداً على بيتيه، يقول إمام فيهما:

إن كان أعجب أو لا
فالدفع لا بد منه
إليك نصف جنيه
فخذ بحقك منه

ومن نوادره التي اشتهرت بين أصدقائه أنه طلب منه أحد الأدباء الشافهين يوماً أن يستمع إلى قصيدة من قصائده فقال له إمام هامساً: طب استنى لما نروح خرابة أحسن حد يشوفنا!.

ومن نوادره وتندره على صديقه البشري ونحله أنه قال يوماً عنه: «إن البشري مش ممكن يركب تاكسي إلا إذا كان بوزه ناحية حلوان». ولما سأله الحاضرون عن سبب ذلك. أجاب: «أصله بيخاف أحسن العداد يعمل فلوس في التدويرة».

وحدث مرة أن وقف مع صديق له يشاهدان إحدى خناقات أولاد البلد. وكان المتخاصمان يتشاتمان ثم يكفان فجأة عن الشتائم ويقتربان من بعض ثم يتعدان. ومضت نصف ساعة كاملة ولم تمتد يد أحدهما على الآخر. فسحب إمام زميله وقال له: يا عم بالـلا بينا.. دي إشارة بس.. والخناقة الأسبوع القادم.

ويروى عنه أنه قابل يوماً صديقاً له يدعى محموداً. وكان ذلك الصديق يغالي في مزاحه مع إمام عندما يلتقي به حتى يصل إلى حد الإهانة أحياناً. فقال له: ما قولك يا إمام في قصيدة المتنبي التي مطلعها:

عيد بأية حال عدت يا عيد

أما هي من أحسن القصائد وأصدقها قولا؟ وقد أراد أن يشير إلى قول المتنبي من تلك القصيدة:

لا تشتر العبد إلا والعصا معه
إن العبيد لأنجاس مناكيد

وفطن لذلك إمام العبد فأجابه في سرعة عرفت فيه: ـ بلا شك. أنها قصيدة حسنة وبالأخص قوله فيها:

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن
يسيئني فيه كلب وهو محمود

ومن نوادره مع شاعر النيل حافظ إبراهيم أن إماماً سعى بالوقيعة بينه وبين عبد الحليم المصري حتى تقاطعا زمناً على نية العداء.. ثم جمعهما مجلس فأعرض حافظ عن عبد الحليم، وأعرض عبد الحليم عن حافظ. فسألهما وسيط خير في ذلك، فأخذ كلاهما يتهم الآخر بالتشهير به والقدح فيه، ويروي الأحاديث التي نقلها إليه الوشاة.

فقال حافظ: من الذي أنبأك بهذا؟.

فقال عبد الحليم بعد تردد: إمام العبد.

فدق حافظ يداً بيد وهو يقول: إن إمام العبد نفسه هو الذي حدثني عنك بما ذكرته الآن.

واتفقا على مفاجأة إمام في موعد معيّن على قهوة «جراسمو» التي كان يقضي إمام فيها سحابة نهاره يلعب النرد والدومينة ويدخن النارجيلة.

فطلع حافظ من اليمين ثم جلس، وطلع عبد الحليم من الشمال ثم جلس. وسأله حافظ: هل قلت كيت وكيت عن عبد الحليم يا إمام؟. وأعاد عبد الحليم مثل هذا السؤال. فماذا صنع إمام والشاهدان حاضران؟. لم يتردد أو يتلعثم، كما لم ينكر شيئاً مما روياه، ولكنه التفت إلى حافظ وقال له: اسمع يا حافظ إن نقلت إليك بعد اليوم شيئاً عن عبد الحليم فلا تصدقني..!، ثم التفت إلى عبد الحليم وقال: وأنت يا سي عبد الحليم إن نقلت إليك بعد اليوم شيئاً عن حافظ فالعن أبي. ثم ألقى بالزهر ومضى يقول: جهار.. يك.. يا سيدي انتهينا.

وكان حافظ نفسه دائم القفش والتندر بإمام العبد في مجالسه الخاصة، ومن مزاحه عنه قوله بأسلوبه الذي كان يخلط فيه الجناس والمجاز «إنه ـ أي إمام العبد ـ أديب ولد في حوش». وظاهر الكلمة أنه وجد في الطريق أو ما يشبه الطريق.. وحقيقة المعنى أنه ولد في «حوش» الكرة.. وقد كان الملعب في تلك الأيام يسمى «بالحوش» ولعله يسمى في بعض المدارس بهذا الاسم حتى يومنا هذا. ولم يظلمه شاعر النيل بتلك النكتة لأنه لم يكن «يعتق» حافظاً من تنكيته ولا من مطالبه المتوالية. وكثيراً ما كان حافظ إبراهيم يقول لمن يسأله شيئاً من عطاياه: «إذا عتقني العبد أعطيك».

ويروى أن إمام العبد كان يغشى مجالس الأدباء ويزعم لهم أنه أشعر من حافظ، وأنه هو الذي «خلفه» في عالم الشعراء. وبلغ ذلك حافظاً. فحفظها له في نفسه حتى جاءه يوماً وهو جالس مع بعض أصدقائه. فجلس إمام بجواره ثم مال عليه هامساً يطلب منه مدداً مالياً.. وكان الحافظ لا يبخل عليه من قبل، ولكن هذه المرة وقف حافظ في مشهد تمثيلي وأخرج له «بطانة» جيب سترته وقال له على مسمع من الجالسين:

ـ يا مولاي كما خلقتني!.

رحم الله «إماماً» فإنه لم يكن صاحب نكتة فارغة، وإنما كان أديباً صاغ أدبه في نكاته، وكان شاعراً امتلأت منتديات الأدب بقصائده وأشعاره ومع ذلك كله عاش يتلهف على العطف والحنان وقدر له أن يعيش شقياً ويموت شقياً.

رحم الله هذا الشاعر البائس، فقد كان رساماً بارعاً.. لوحاته عبارات ينطقها بنت لحظتها.. وكان مقاتلاً جعل من لسانه خنجره وهو مع كل ذلك وبعد ذلك كله لم يبق منه على شفاه الزمن سوى كلمات تتردد على ألسنة محبيه ومن تبقى من أصدقائه ومعاصريه.

الهوامش

(١) «نظرات أدبية»، للدكتور محمد رجب البيومي، ص ٧١.
(٢) كتاب «فلاسفة وصعاليك»، لفهمي عبد اللطيف، منشورات الدار القومية ـ مصر.

هذا الموضوع كتبه الأستاذ عامر العقاد قبل وفاته تغمده الله بواسع رحمته

غيرتها..

شعر: د. يوسف حسن نوفل



أتحثني ألا أغار وأنت لي أمل انتصار
لكن لأنك طيف أحلامي وأغنية النهار
لكن لأنك ثروتي أدعوك.. في لهف الصغار
وأظل في لهفي أغار لأن فيك هوى مثار

★ ★ ★

ضار.. وملمسه الحرير وأنت تمسح بالعبير
قلبي.. وتفرش دربيّ الغيمات بالورد النضير
ويداك قد عصرت هواي رؤى تعوم بها العطور
وتحثني ألا أغار وأنت تهمس كالحرير

★ ★ ★

أفلا يغار الزورق المحروم من شط النجاه؟
أفلا تغار شواطئ سرقت أهازيج المياه؟
أفلا يغار معذب ملَّ الحياة بلا هواه؟
وتحثني ألا أغار وأنت لي دفء الحياه

★ ★ ★

إن طال ليل الشوك والتبريح والدمع القصيّ
إن طال ليل الساهرين على صدى أمل خفي
وعدا الضبابُ على الهلال الغض في الأفق القصي
فلسوف يمرح فجري الوسنان إذ تحنو علي

★ ★ ★

وتوسوس النسمات أزهاراً تعيش بمحجري
وسدتها بيديك مائدتي لتشعل لهفتي
ومضيتَ خلف هوى جديد.. رُحْتَ تقلب صفحتي
أنسيتَ شعرك لي.. نسيتَ هوايَ.. حبي.. ثورتي؟

★ ★ ★

ارفق بقنديلي الذي يرتج كالقلب الجريح
يُبدي شعاعاً شاحباً عصفتْ به أنفاسُ ريح
فترنحتْ ومضاته.. كالطير..، كالطير الذبيح
وأنا أشيّعه بصمتي.. بالدموع ولا أبوح

★ ★ ★

وإذا شكوتُ.. رجوتُ.. أبكيتُ الجليد.. نهيتني
وإذا لجأتُ إليك أستجدي رضاك عصيتني
وبرغم ذاك أرشُّ دربك بالشذا والسوسن
وبرغم ذاك تحثني ألا أغار... ظلمتني!

قصة قصيرة

بقلم : غالب حمزة أبو الفرج

يوم مولدي



أجمل ايام العمر، تلك التى يقضيها الانسان فى سعادة غامرة، تدخل اعماق القلب، تتسلل الى الافئدة، تملأ النفوس بهجة وسرورا ..

فى العيد ولدت .. وفى العيد تزوجت .. بين يوم مولدى وزفافى ثمانية عشر عاما . مرت .. مضت سراعا .. لا ادرى كيف مرت: وان كنت خلالها قضيت طفولتى وحياتى فى بيت كبير يربض هناك على التلة الكبيرة، فى مدينة الطائف يوم تزوجت، طلب أبى من زوجى ان يعيش معه فى بيتنا القديم فرفض . لكنى وبعد ان حاولت بنفسى معه .. وافق على ان نستقل بمعيشتنا فى جزء من هذا البيت الذى يكاد يمتلىء عن آخره بالخدم .

امى ماتت بعد يوم مولدى بشهور قليلة، قضى عليها مرض القلب الذى اصابها وهى صغيرة ، صورها تنتشر فى ارجاء البيت وفى غرفة ابى، احس بها رغم اننى لا اعرفها .. تكاد تسيطر على حياة ابى فى هذا البيت الكبير .

لم يحاول ابى ان يلبى رغبة اخيه ، وهكذا عاش طوال سنوات حياته لى وحدى ، مدللا على مقدار حبه للغالية التى ذهبت فى بداية عمرى الصغير، كنت احب عمتى التى كانت تقيم معنا .. لكننى وبعد ان تزوجت، ادركت بأن علىّ ان اعايش الوحدة فى هذا البيت بمفردى. لكنّ ابى لم يتركنى فريسة مشاعرى التى احسست بها بعد زواج عمتى، كان ابى دائم الجلوس والحديث الىّ حتى فى الفترات التى كنت اشعر فيها بشىء من المرض كان يقضى ايامه ولياليه بجانبى .

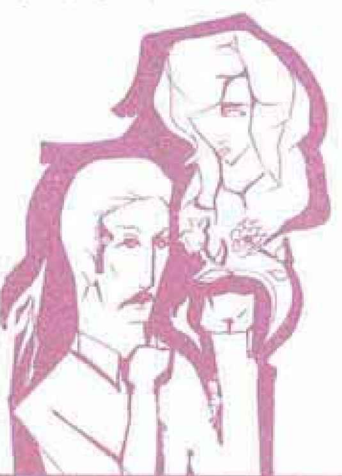
غرفة امى ظلت على ماهى عليه منذ ان توفاها الله ، اشبه بغرفة عروس هجرتها عروسها لسفر . لم يدخلها ابى طوال كل هذه السنوات. لكننى وبدافع حبى لامى كنت احس بكثير من الراحة وانا اقضى الساعات فى غرفتها التى عاشت فيها سنوات مربيتى « فاطمة » التى قاسمتنى سنوات الطفولة تركت بيتنا بعد ان توفيت ابنتها وتركت لها ثلاثة صبية . ومع هذا كانت لاتنقطع عن زيارة بيتنا ، فقد كانت تحبنى كثيرا .

يوم تركت بيتنا، كانت تبكى بحرقة جعلتنى احس بأننى ظلمتها يوم قسوت عليها داخل نفسى ، وقلت بانها غير وفية .

وبدأت افكر فى امر هذه المسكينة التى رزئت بهذه المصيبة ، مصيبة موت ابنتها ، وقيامها بمعيشة هؤلاء الاطفال الثلاثة .

ابى قال لها، بعد ان تحدثت له عما يجول فى خاطرى، حديثا طويلا انهاه بأن ترك لها حق تسلم راتبها التى كانت تتقاضاه معنا شهريا . انكفأت المسكينة على يد ابى تحاول ان تقبلها فرفض وقال لها انسيت سنوات العمر التى قضيتها معنا فى هذا البيت ؟!..

طفولتى رغم كل الذى اصابنى بفقدان امى .. لم تكن شقية، وان لم أكن انا نفسى راضية .. فقد احسست منذ اليوم الاول الذى تفتحت فيه عيناى على



الحياة ، ان الحياة لايمكن ان تعطى الانسان كل مايرغب! بعض صديقاتى فى المدرسة يقلن عنى بأننى متشائمة، وبعضهن الاخر يظننى متفائلة، وانا اعيش بين التفاؤل والتشاؤم فى صمت، احاول من خلاله ان افسر معانى ما الاقى واجد فى دنياى الصغيرة .

حتى زوجى لم يكن غريبا عنى، فهو من ابناء الاسرة وان كان من بعيد! فى وجهه وسامة وفى عينيه قسوة من يعرف كيف يشق طريقه الى الحياة ..

اخته « رشا » قريبتى هى التى زينت لى ان اتزوج باخيها « سمير »، وقد كان. ولهذا عندما ارادوا ان يعقدوا قرانى طلبت من ابى ان يتم ذلك فى العيد، نظر ابى الى وجهى وسألنى: لماذا؟! فقلت متضاحكة: لاننى احب يوم مولدى، فأنا هنا بعكس المطرب فريد الاطرش الذى كره يوم مولده ..

ضحك ابى وقال فى عفوية: لك هذا وقد كان يوم عقد القران. كان يوما فريدا متميزا لاننى ابيت ان تتم الدخلة الا فى عيد العام الذى يليه .

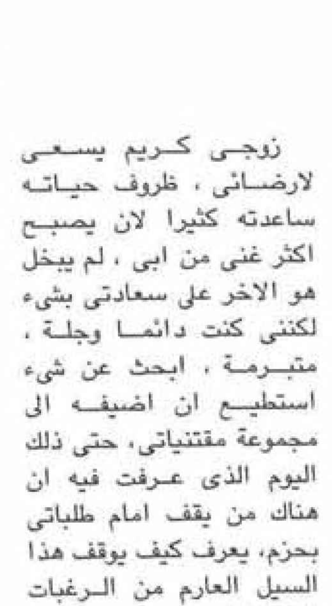
دهش « سمير » ولكننى طيبت خاطره وقلت له: إن السبب هو حرصى على ان انهى دراستى الثانوية، الناس يحتفلون بالعيد على انه عيد حجّ وانا احتفل به على انه عيد مولدى وعيد زفاف . احرص ان اقضيه فى مسقط راسى، الا اذا حدث مايحول بينى وبين تحقيق هذه الأمنية ..

صديقاتى يقلن عنى بأننى محظوظة: اب طيب وزوج نادر وبيت كبير وسعادة دائمة . حساسيتى المفرطة . كانت تسبب لى الكثير من الالام، ولا تظنوا بأن هذه الالام ناتجة عن اساءات تلحق بى بمقدار ما احس بأننى كثيرا ما اسىء الى صديقاتى عن حسن قصد .

هكذا الحياة بذلها . من يعايش الرخاء طيلة يومه يبحث عن شىء ما .. لايدرى ان كان يجده ام لا .! حتى اذا وجده مله هو الاخر استغراقا فى البحث عن شىء آخر .

لاتقولوا عنى بأننى مجنونة ، فمثيلاتى فى هذه الدنيا كثيرات ، فلقد سولت لى نفسى ان ابحث دائما عن الجديد . لامتلكه ، لدرجة جعلتنى افقد راحتى وهدوء نفسى . فظننت فى يوم من الايام اننى لم احب زوجى وانما امتلكته .





زوجي كريم يسعى لارضائي، ظروف حياته ساعدته كثيرا لان يصبح اكثر غنى من ابى، لم يبخل هو الاخر على سعادتي بشيء لكنني كنت دائما وجلة، متبرمة، ابحث عن شيء استطيع ان اضيفه الى مجموعة مقتنياتي، حتى ذلك اليوم الذى عرفت فيه ان هناك من يقف امام طلباتي بحزم، يعرف كيف يوقف هذا السيل العارم من الرغبات الباهتة فى نفسى.

لم تكن اختا لى او قريبة .. وانما زميلة فارقت بينى وبينها ظروف الحياة، انتقلت اسرتها الى الرياض ثم عادت ..

حاولت ان تكون لى صديقة، فلم ترفض لكنها وفى يوم من الايام قالت لى :

صدقيني انني لا احبك ولا اكرهك، لكن زمالتنا السابقة تجعلني فى موقف محير . فانا انسانة لا احب ان اعايش ايه انثى عندما اجدها بلا طعم ولا لون، وانت كذلك ؟!

نظرت اليها بكلتا عينيّ وقلت: ولماذا تقولين هذا .

قالت : اسلوبك ، طريقة صوتك ، رغبتك الملحة فى الاقتناء معاملتك لاهل بيتك، كلها امور تجعلك خارج دائرة معارفى فانت انسانة فى قلبها مرض وانا ابحث عن صديقة لا مريضة .

اتظنين انني مريضة !

قالت : وشيء من الضيق يغلف وجهها .

نعم انت مريضة وفى حاجة الى طبيب نفسى .

فالمرأة عندما تتصاعد رغبتها فى الامتلاك تفقد النشوة بعد ان تمتلك ماتريد .

انت ياصديقتي .. فتاة ضيعها اليتم وابطرها الحنان .. فاصبحت مجرد خواء فارغ .. حديثك تافه ورغباتك محمومة واجواؤك كلها لاتمت الى ارضية .

بكيت كثيرا ومن كل قلبى فهذه الصديقة استطاعت ان تصل الى قلبى وان تعزف على اوتاره، والا ماذا يمكن ان اسمى رغباتي التى اراها تطل حتى اذا ما تحققت نسيتها بلا رغبة ؟؟!

كنت اهتم كثيرا بيوم مولدى، لكنني وبعد ان انجبت، نسيت كل ذلك . وبدأت افكر فى يوم مولد ابنى الذى جاء فى نفس يوم مولدى .. احسست لاول مرة بانني انسانة طبيعية فالامومة مظهر من مظاهر وجود المرأة وعطائها على هذه الارض .

ويومها رأيت انني فى حاجة الى أم، انا التى كبرت ونظرت فوجدت انني ظلمت ابى كثيرا فهو وفى اعقاب وفاة امى عاش طوال سنواته لى ، لى وحدى .

نظرت الى وجهه وقلت: ابى!! حان الوقت لان تتزوج ، ضحك ابى وقال : وكيف اتزوج وقد بلغت هذا السن .. ومن هى التى سترضى بى ؟؟

اجبته وانا ابتسم : انت شاب يا ابى وانا فى حاجة الى اخوة يشدون ازرى .

استدار ابى اليّ وقال : لو اردت ان اتزوج لتزوجت واحدة فى سنك على الاقل .

قالها فى ضحك .

اجبته على الفور : لك هذا.. وسأرتب الامر على ماتريد. بدأ ابى يضحك وتركنى ومضى واخذت ابحث وابحث فلم اجد افضل من صديقتى « سهى » التى استطاعت ان تدلنى على نفسى .. حادثتها فى الامر بجدية فاستغربت باديء ذى بدء .

سهى فتاة تكبرنى ببضع سنوات، فى عقلها رصانة .. وفيها دمائة.. حدثت ابى عنها وكان يعرف كل شيء عن والدها المتوفى وعن عملها كمدرسة .

لم يكن ابى ينتظر منى ان امضى فيما تحدثت فيه معه . كان يظنها مجرد مزحة لكننى لم اكن امزح .

وتزوج ابى سهى واحسست بعد ايام بأن هذه الصديقة التى عرفت، هى بمثابة أم صغيرة لى، استطاعت بما تملك من صفات ومقومات ان تصنع منى « انا » الانسانة اللاهية، انثى تعرف دورها فى هذه الحياة .

لقد احببت سهى حبا يماثل حبى لابى الذى اصبح وجهه اكثر اشراقا حتى اذا ما ولد اخى .. اصبحنا جميعا نحاول تدليل الصبى ، أما سهى فكانت تحاول دائما ان تعطى من نفسها لابنها بقدر ، لانها تخاف عليه من كثرة الدلال والتدليل ..

واصبحنا نحتفى جميعا بمولدى ومولد ابنى واخى الذى صادف نفس اليوم .. يوم عيد الاضحى المبارك !!.

رشيدة

انقبضتُ وحزنتُ وأدركت أنني لا بد واقف وقفة مع سر الحياة ولغز الموت وأنا أتسلم التلغراف وأشيع — **بيني وبين نفسي** — قريبة عزيزة ربطتني بها أحداث الحياة وصلات القربى. فأين تلك الأيام التي كنا أنا وإخوتي وأولادها نلعب في «**بحراية**» بيتها، ونزعق ونصرخ ولا نعبأ بزجرها وشتمها لنا، وسرعان ما تطعمنا بيدها كأننا لم نحوّل دارها إلى (**طابونة**). ولم نكن نصدق أنها ثائرة أو محتدة وهي في عز غضبها. تزجرنا وهي تضحك، وعيناها تفيضان بالوداعة والحب، وأبداً لا تقطب ملامحها ولا تشيح بوجهها عن أحد، بل كنا نستعذب كلماتها اللائمة، وهي تخرج من فمها الحلو الصغير، وكأنها كلمات تشجيع وتأييد واعتراف بالبراءة التي تغلي في عروقنا الغضة. أذكر أن وجهها القمري الجميل كان يغرينا بالاقتراب منها، وسماحتها تغرينا بمعاكستها دون خوف، وأبداً لا نراها تتشاجر مع الأقارب والجيران كعادة أهل القرية، ونادراً ما تختلف مع أحد في حديث، ودائماً ما تقدم الطعام والشراب لكل من يدخل بيتها، حتى أننا تصورنا في صبانا أنها راقدة على كنز.

انقبضتُ وحزنتُ لموتها بحق، رغم أنني لم أكن من صبيان العائلة المقربين إليها، فقد كنت انطوائياً بطبعي، وأحياناً أكون عدوانياً شرساً، وأحياناً لا أكون مجاملاً رقيق الحس سلس القياد. وصفاتي هذه ضد روحها وطبعها، ومع ذلك لا أذكر أنها كانت تكرهني أو تنفر مني أو تغضب، وإنما وقفت طباعي هذه حائلاً بيني وبين أن أسعد بأمومتها وصداقتها لكل البشر ومساندتها لكل ذوي المحن، كنت أسعد بها من خلال صداقتها الحميمة لإخوتي الوديعين ومداعباتها لهم، ولا أذكر أنني عاتبتها — **بيني وبين نفسي** — لأنها تتقرب منهم، ربما لأنني لم أشعر أنها احتجت على طباعي ولم تزجرني مرة. كنت أحلم بيوم زيارتنا **لرشيدة زوجة خالي**، وأنام مستيقظاً أتعجل الذهاب إليها مع إخوتي، وكثيراً ما كنا نسوق حججاً واهية لأمنا أو أبينا نتعلل بها للذهاب إليها وإلى خالي.

أخذت أقلب التلغراف بين يدي وكأن الزمن قد مضى بنا بعيداً عن أيام الصبا.. فقد رحلت عن القرية في سن العشرين وكنت أذهب إليها إما زائراً أو في المناسبات. أنا الآن في الأربعينات ولي زوجة وأولاد وعمل يستغرقني، وأعيش في خضم المدينة الهادر، وقد انقطعت أسباب اتصالي بعهد قريتنا الحبيبة.

كان واضحاً لي أني سأتخلص من كل متاعب المدينة وأحزم حقيبتي وأمضي بها إلى القرية لأقوم بواجب العزاء. اكتشفت أن خالي لم يرسل لي مندوباً على وجه السرعة حتى أتمكن من المشاركة في تشييع الجنازة. تذكرت أنه لا يحب المراسم والطقوس وأنه لا يعنيه إلا صدق العواطف والمشاركة الوجدانية الحقيقية، فخفف عتابي له.

تذكرت خالي وتخيلت قدر الحزن الذي ألم به، ولم أتخيل كيف سيستطيع مواصلة الحياة بعدها، وقدرت أنه لن يطول عمره أياماً، فهي كل شيء في حياته، هي الدنيا بكل ما فيها من بهجة وفرحة.. من صبر واحتمال، وقصة حبها كانت ولم تزل حديث أهل القرية.. يعجبون بها مرة ويتشددون بها مرات، إذ إن أهل قريتنا لا يعلنون عن عواطفهم. وربما لأن خالي تعلم وأصبح مدرساً في مدرسة القرية ويحب زوجته حباً عميقاً، فلم يكن يتحرج من الإعلان عن حبه، وأن يكون

بقلم: محمد الجمل



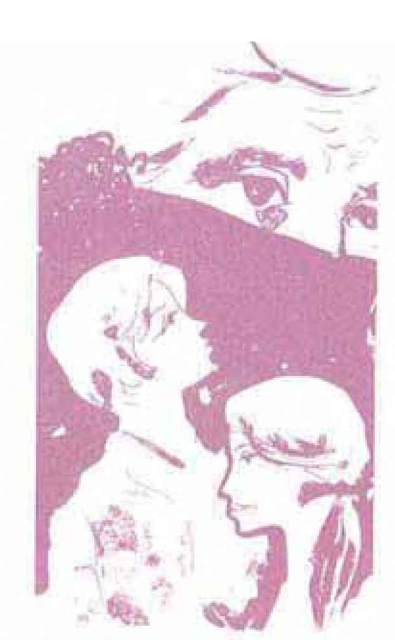
مجال حديثه في مجالس السمر ولقاءات الأقارب. ودائماً ما كنت منبهراً لشخصية خالي، وأشعر أنني منجذب له منذ صباي المبكر، كان يؤثرني باهتمامه وأنا أقرب الصبية إلى قلبه حيث ألحظ إعجابه بي وأنا أتسلل إلى مجلس الكبار — مجلسهم — لأستمع إلى أحاديث السياسة، وما جرى **لسعد زغلول ومصطفى كامل**، وأخبار **الحرب العالمية الثانية وعلاقتها بالحرب الأولى**. وأستمع إليهم باعتبارهم مدرسو القرية ومثقفوها وجيل الريادة، عندما يتحدثون عن **طه حسين والعقّاد**، وأتابع مناقشاتهم في شؤون الدنيا والدين. وزاد إعجابه بي عندما كنت أتسلل إليه وحده دون غيره لأسأله فيما غمض عليّ من أحاديثهم، وأشعر أنه الوحيد الذي سأفهم منه وهو الوحيد الذي سيصبر على جهلي ولن يتجاهلني، ورأيت فيه أبي الروحي وهو قد سماني «**الصبي العاقل**»، ولم يتورع عن الحديث معي في مسائل الحياة والموت رغم صعوبتها وتعقدها، ويزداد إعجابه لمدى استجابتي معه في مثل هذه المسائل العويصة في هذه السن المبكرة. كنت أنسى معه أن لي طباعاً حادة وأن هناك من يقبلني وأنني محل تقدير من البعض على أي حال.

غادرت المنزل وركبت القطار المتجه إلى القرية، وشعرت أنني أملك وقتاً خاصاً، وأنني قادر على الجلوس مع نفسي، وأنني أستطيع أن أحزن بعمق عندما تثور شجوني. وأدركت والقطار يزيد من سرعته أنني أقوم بعزاء حقيقي، وأنني لا أقوم بواجب تقليدي تفرضه المراسم الاجتماعية. أنا ذاهب لأواسي أبي الروحي.. لأخفف عنه البلاء.. وبدأ حزني على رشيدة يتخذ طريقه عبر خالي ومن خلاله. حزين أنا عليها من خلال وسيط. أقلقتني هذه الفكرة فجأة. شعرت بوخزة ضمير. **هل يجوز الحزن بالوساطة؟.. الأكثر إزعاجاً: هل يرضى خالي عن هذا النوع من الحزن؟** لا أجرؤ على الاعتراف بهذه الفكرة له. لا أتصور أنها تسعده مهما كان فيها من إعلاء لقدره عندي. إنه يريد الحزن على رشيدة بذاتها. الحزن لها ومن أجلها. لا بد أنه يرى الآن كل شيء وقد تلطخ بالسواد. السماء تبكي والسواقي تنتحب والأشجار منكسة الفروع والحناجر تردد في جزع.. **سبحان من له الدوام**. وطردت الفكرة من رأسي في الحال، وأقنعت نفسي أنني حزين عليها بشخصها وذاتها التي رحلت، لتخلف له فراغاً سحيقاً. كانت هي ما تبقى له من الحياة بعد تفرق الأبناء بالتوظف والزواج، وبعد إحالته

إلى المعاش ، وبعد غياب معظم الأصدقاء بالموت أو بالرحيل عن القرية . كان راضياً بما تبقى له ، فقد كانت هي الوسيلة والغاية . . الحياة كل الحياة .

توقف القطار عند محطة وصولي كما توقف قطار رشيدة عند محطة وصولها . نزلت . أخذت أقطع بعض المنحنيات إلى أن استقرت قدماي على الجسر الطويل الموصل إلى قريتنا . (وابور الطحين) ما زال يدق دقاته المدوية الرتيبة . الغلال تتحول إلى دقيق ، لتطعم رشيدة كل ضيوفها من أطفال وصغار وكبار . النسيم العبق العطري الصاعد من قلب الحقول المزهرة المترامية الأطراف من حولي . . نسيم يثلج الصدر ويريح الفؤاد مثل أنفاس رشيدة وهي تسبح بين شفتيها ليستقبلها خالي في صدره . وأخذت أرى كل شيء بعينيه المحبتين كما كان يرى قبل أن تموت رشيدة . . ظلال الأشجار الوارفة ترحم المارة وتعينهم على الرحلة مثلما ترحم رشيدة المعذبين والمتألمين . الأرض تقذف بثمارها ليشبع الجميع . . ليفرحوا . . ليناموا نوماً هادئاً . وهم يشكرون . رشيدة تحب أن يشبع الجمع وينامون في هدوء . المياه السمراء تسيل في الترع والقنوات ، وتفيض على الضفاف ليشرب البقر والزرع والشجر والناس . ورشيدة تحب أن يشرب الجميع ولا شيء ولا أحد يشكو من جفاف الحلق . أنا أراها بعيني خالي . . أراها أيضاً بعين الخيال . . إذا لم أكن أعرف عن تفاصيل حياتها الكثير منذ أن رحلت عن القرية ، كنت أعرف عنها ما يقوله لي خالي وما أسمعه من الأقارب . كنت أقرؤها من خلال ما أقرؤه على صفحة وجه خالي وهو كثير . . الرضا والاطمئنان . الحماس والأمل . . الثقة والتفاؤل .

وصلت إلى مشارف القرية . الحزن والصمت يخيمان . أدركت

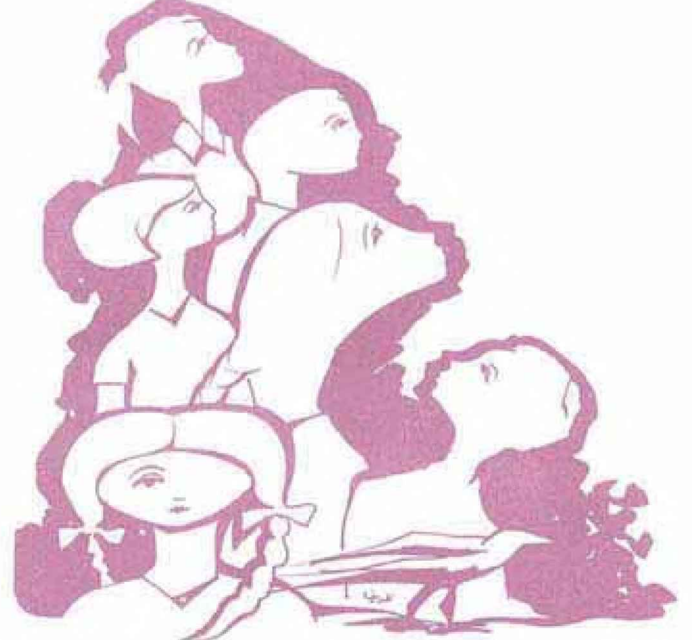


أنه قد تم تشييع الجنازة وأنها استوت الآن في مقرها الأخير . كان الوقت عصراً والحواري خالية إلا من بعض أطفال يجلسون على حافة الترعة وبعض البهائم المربوطة بالأشجار وبائع البلح الجالس أمام داره **وعم جمعة** الواقف في دكانه وبطات قليلة تزعق وهي تسبح فوق مياه الترعة ، وكلب يعوي وقطة تموء .

تزاحمت في رأسي ذكريات الصبا وأنا متجه نحو بيت رجاء . لا بد أن خالي يقيم مع ابنته الآن . لن يتركوه وحده في بيته ورشيدة غائبة عنه . لن يقيموا معه في بيته وخيالها ماثل في كل ركن من أركان البيت يفجر أحزانه . لن يقيم إلا مع رجاء ، كبرى بناته . . قسماتها نفس قسمات رشيدة . . نفس العينين . . نفس الأنف والفم . حنانها نفس الحنان . كرمها نفس الكرم . فتحت الباب الموارب . خالي متربع فوق **المصطبة** . قبضته مغروسة في خده . كوعه مزروع في فخذه . ما إن رآني حتى نهض كالمستغيث . احتويته في صدري وأنا أربت على ظهره . أخفى وجهه في تجويف كتفي . شعرت من هزات رأسه وتهدج صدره أنه يبكي في صمت وحرقة . جلسنا فوق المصطبة صامتين لم أشأ أن أثير شجونه بكلمات عزاء خاوية لا تنفع ولا تفيد .

دعاني للذهاب إلى داره . اعترضت برقة . نهض وأخذ المفاتيح من رجاء وتقدمني سائراً بلا مناقشة . قطعنا الطريق المترب صامتين ، وطالما قطعناه في أحاديث لا تنتهي . كنت أشعر بالرهبة وأنا أقترب من داره . أتأمل الدور التي خلت من الأحباب والحواري التي كانت مرتعاً لصباي والدوار الكبير الشاهد على كل ما يجري . وقفنا أمام الباب الكبير الموصد وكأننا أمام معهد عتيق . فتح الباب . أخذت أتبعه وهو يتجول في الحجرات . . يصف ويحكي . . يحكي ويقول . . تداعت أحداث السنين وذكريات عمر طويل . . رشيدة قالت هنا كذا . . فعلت هنا كذا . . قلت لها وقالت لي . . ضحكنا . . بكينا . . قلقنا . . فرحنا . . غضبنا . . انهمرت دموعه وانهار جالساً في البحراية . تصادف أن كان موقعه بجوار موقع رشيدة المفضل في البحراية تتابع العمل في الداخل وترقب الحياة في الخارج وتجلس في مواجهة مكتب باب زوجها . لم أجد في رأسي ما





أقوله عندما تماسك خالي ودعاني إلى حجرة مكتبه . جلس خلف المكتب وأخرج كراسة مذكراته وهو يقول لي :

ـ كتبت نصف هذه المذكرات قبل وفاتها بأيام ودفنت حزني في إكمالها ليلة أمس .

ـ عليك أن تريح نفسك قليلاً .

ـ الناس أزعجوني بكلمات العزاء المحفوظة الخالية من الإحساس بقدر الكارثة ، وكأنهم يؤكدون لي أنها ماتت .

ـ لا يستطيعون أن يدركوا قوة ارتباطك بها .

قلب بضع ورقات ثم نظر إليّ بعينين محمرتين وهو يقول :

ـ هل أنت على استعداد لأن تسمع ؟ .

لم أتردد لحظة . ارتحت للعرض لما فيه من تخفيف عنه وأخذت أنصت إليه ، وتوقفت عند جمل كثيرة وردت في المذكرات . . .

« أنت لم تموتي بل سافرت في رحلة طويلة . . سوف أتبعك بعد قليل . . ما زالت ابتسامتك تنير الكون . . ما زال تفاؤلك العجيب يسخر مما يسميه البشر مشاكل ومصاعب ومتاعب . . ليت الناس يتعلمون منك معنى الصبر في أوقات المحن . . معنى الحب تحت كل الظروف . . أي قدرة مكنتك من قبول طباع أمي ومعاناتي على التقصير في رعايتها . . إخوتي كانوا إخوة لك . . جعلت مني أخاهم الأكبر مع إني أصغرهم سناً . . تأمرينني بتقديم المال إليهم في فترات الضيق والأزمات مع إننا لم نكن في حال ميسورة . . تعاونين الجيران وتقطعين من قوتك ليشبعوا فتشرق روحك بالرضا والاطمئنان . . تشاركين في مجالس السمر بحسن الاستماع . . تطيبين خاطر المهزومين . تخففين من غضب الغاضبين . . كنت الملاذ لأخواتي المتعبين من قسوة أزواجهن . . كنت الرحمة والنور والخير لأبنائك . . شقيهم وعاقلهم . . غبيهم وذكيهم . . ضعيفهم وقويهم . . كنت لي الأم ، والزوجة والصديقة » .

وبدأت أفهم الكثير . . الذكريات تتدافع في رأسي . . يوم أن غضبت أمي واختارت بيت رشيدة مكاناً لغضبها . . يوم أن حضرت إلى بيتنا تصالح أمي على أبي بعد خناقة كبيرة . . يوم أن ترك أخي البيت ـ بعد اختلافه مع أبي ـ واختار بيت رشيدة ليقضي فيه شهراً . . ووجدت نفسي أعيد قراءة رشيدة بعين الواقع ، بعد ما تذكرته وعرفت ما لم أعرفه بكل ما في حياتها من تفاصيل وأحداث ، وقد استحالت إلى وجه مشرق مضيء ، لا يعكر صفوه غمامة ولا يعتريه كسوف .

وأخيراً أوصد الكراسة كمن طوى صفحة من صفحات الزمن الغابر . أخذ يجفف دموعاً كان يستحب سقوطها الآن . قال وهو يحاول أن يستعيد هدوءه واتزانه :

ـ أثقلت عليك . . لقد قمت ـ ناحيتي ـ بعزاء حقيقي .

ـ ليتني أستطيع ان افعل شيئاً .

ـ ارتحت لحضورك . . وارحتني بالاستماع إليّ .

شرد قليلاً وعاد يقول :

ـ هل تعرف ماذا فعلت بملابسها وأشيائها الخاصة ؟ .

ـ لا أعرف .

ـ وزعتها على الفقراء والأصدقاء والمعارف .

ـ عمل طيب وكريم .

ـ قصدت أن تعيش رشيدة في داخلهم أطول فترة ممكنة .

ـ أظنها تحيا في داخلهم بعد كل ما عرفت وسمعت .

اعتدل في جلسته . بدت عليه بارقة حيوية وانتعاش . . قرب رأسه مني وفتح عينيه على آخرهما :

ـ ماذا تقصد بقولك ؟ .

ـ أقصد انه بعد كل ما عرفت ، فإن رشيدة موجودة في داخلي الآن تحيا وتعيش .



ـ يبدو أنني فعلت شيئاً له قيمة .

ـ هذا ما حدث .

ـ ولكنك لم تكن وثيق الصلة بها مثل أخواتك .

ـ صلتي بها الآن أقوى من صلة إخوتي بها .. لقد رأيتها بعين الخيال والواقع معاً .

ـ ولكنك رأيتها من خلالي ! .

ـ هي نقية في داخلي من غير سوء .

ارتد إلى مقعده في ارتياح . سرعان ما اعتراه الشك في قولي فعاد يقول :

ـ ولكن الأقارب والمعارف كانوا يأخذون عليها بعض المآخذ .

ـ لم أر سوءة لها .

ـ أنت الوحيد الذي يراها بلا سوءات .

ـ لا أعرف لها سوءات .

ـ كانوا يلومونها في بعض التصرفات .

ـ لا أريد أن أعرفها الآن .. أريد الصورة صافية كما هي .

عاد يقول وهو غير مصدق لما يسمعه مني :

ـ لم أر إلا هذه الصورة الصافية طوال حياتي معها .. لقد توحدت معي الآن .. كلانا لا يرى إلا الصورة الصافية .

ـ أنا صادق معك .. ثق في .

غاب عني . استغرق في التفكير . بدا كمن ينوي أمراً . عاد يقول :

ـ هل تعرف الشيء الوحيد الذي استبقيته لنفسي من أشيائها الخاصة ؟ ..

ـ لا أعرف .

ـ استبقيت الشيء الوحيد الذي كانت تحبه بلا حدود .

ـ ما هو ؟ .

نهض من مقعده بهمة . اتجه نحو دولاب الحائط . صعد فوق الكنبة . فتح الدولاب وأخرج منه علبة أنيقة صغيرة . عاد بها إلى مجلسه . شملني بنظرة حب تفيض بالوفاء وهو يقول :

ـ خذ هذه الزجاجة هي الشيء الوحيد الذي استبقيته لنفسي .. هي لك .. أنت الوحيد الذي يستحقها .

ـ ما هذه ؟ .

ـ زجاجة العطر الوحيد الذي تحبه بلا حدود .

قلت بإصرار وأنا مندهش :

ـ مستحيل .. مستحيل .

ـ أرجوك .. هي لك .. لا ترفض هديتي .

ـ أتوسل إليك .. ماذا أفعل بها ؟ .

ـ احتفظ بها عندك .. هذا الإهداء يريحني بشكل ما .

ـ لا تفرط في الذكرى الوحيدة المتبقية لك .

ـ أنت الوحيد الذي يرى الصورة صافية كما أراها .. يهمني أن تحيا هذه الصورة في داخلك على الدوام .

ـ لست بحاجة إلى حافز الآن .

ـ فليكن لنا مثوى عندك .. أتمنى لك طول العمر حتى يحيا كلانا في مثواك ـ على الأرض ـ مدة أطول .

قلت بتوسل وأنا أواسي وأعزي وأدرك الحال التي وصل إليها :

ـ هوّن عليك .. قطعت شوطاً بعيداً في الاستغراق والتوحد .

عاد يقول كأنه لم يسمع ما قلت :

ـ لا تخش أن تتنازع في داخلك فهي لم تكن ترى سوى صورتي الصافية .. بلا مآخذ أو عيوب .

ـ قلت بعفوية الصدق :

ـ إنني أيضاً أرى صورتك الصافية .. أنت أبي الروحي .

تنهد في ارتياح وهو يقول :

ـ غريب أن يجمعنا الصفاء ونحن في هذا الموقف .

قلت وأنا آمل أن يستعيد اتزانه بعد صدمة الحادث :

ـ هوّن على نفسك الآن .. وسوف نعود فيما بعد إلى حديثنا القديم عن سر الحياة ولغز الموت .

* * *



بقلم: منصور مهران كمال الدين

«الذئب يُكْنَى أبا جَعْدَة» كلمة حكيمة أُرسلَت مثلاً في كل اسم حسن لمعنى قبيح. والذئب كذلك شُرِّفَ بالكنية على سرعة غدره وتَقَلُّبه، فهو لا يبقى على حالة واحدة، وقد فُطر هذا الحيوان على الشراسة والغدر والختل والغيلة؛ فلا يزال يعدو على الناس والماشية في جرأة وفي شدة حتى قَبَّح الناس أفعال الغدارين منهم فقالوا: «أغدر من ذئب»، وكرهوا هذا الحيوان البغيض أكثر مما كرهوا ما سواه من الحيوانات المؤذية الفتاكة. وكثر القول في وصف هذا الحيوان من منظر بشع إلى فعل خؤون. فلم لا يكون شأنه مع الناس إلا القتل يناله منهم في كل حال: غدر أو لم يغدر.

وقد اتهم مرة بالجُرْم — وهو منه براء — كما وقع ذلك من إخوة يوسف — عليه السلام — لما غدروا به وجاءوا أباهم عشاءً يبكون وافتعلوا دماً كذباً على قميص يوسف وألصقوا التهمة بذئب مزعوم؛ فكان شريفاً وهو الخؤون وكان متهماً وهو البريء، غير أنها البراءة الفريدة والنادرة التي ليس لها شبيه.

ولعل أشهر ذئب — بعد ذئب يوسف عليه السلام — هو ذئب أهبان بن أوس الأسلمي الصحابي المعروف بمُكَلِّم الذئب، وذلك أن أهبان خرج يرعى غنماً له فشَدَّ الذئب على غنمه فأصاب شاةً منها، فصاح عليه أهبان يطرده عنها، فأقعى الذئب على ذنبه وخاطب أهبان، وقال:

— عجبت لك تَحُول بيني وبين رزق ساقه الله إلي، فمن يكون لها يوم يُشْغَل عنها؟.

وحديث أهبان وذئبه ليس حديث خُرَافة، وإنما هو من يقين القول.

الذئب في الشعر

إن الحديث عن الذئب في الشعر، فقد يكون مفتعلاً وقد يكون حقيقة، ولكنه على كل حال لا يخلو من طرافة، وهو موضوع جدير بالبحث والجمع على سبيل الاستقصاء، ولقد حاولت ذلك — جهد الطاقة والوسع — فتوافر لدي قدر مقبول تخيرت منه للقارئ ستة من الشعراء بين جاهليين وإسلاميين، وكذلك من العباسيين لنقف على طبائع مختلفة أمام حيوان له طبع واحد هو طبع الشراسة والفتك.

وأول هؤلاء جميعاً هو المرقِّش الأكبر، الذي يروي لنا في شعره أنه أضاء النار لشواء اجتمع عليه هو ونفر من صحبه، فطلع عليهم الذئب في حال بؤس، فأشفق عليه المرقِّش الأكبر ورمى إليه بقطعة من الشِّوَاء؛ رماها إليه حياءً من جلسائه لئلا يوصف عندهم بالبخل والشَّرَه، وكان للذئب فرح بما نال كفرح البطل الشجاع بما نهب في حَرْبِهِ، ونال المرقِّش شرف إطعام الطعام ولو إلى ذئب من سباع الأرض، وطابت نفس الشاعر بما يُذْكَرُ به من كرم وسخاء وحُسْن أُحْدُوثة. فقال:

ولَمَّا أَضَأْنَا النَّارَ عِنْدَ شِوائِنَا
عَرَانَا عَلَيْها أَطْلَسُ اللَّوْنِ بَائِسُ
نَبَذْتُ إِلَيْهِ حُزَّةً مِنْ شِوائِنَا
حَيَاءً، ومَا فُحْشِي عَلَى مَنْ أُجَالِسُ
فَآضَ بِهَا جَذْلانَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ
كَمَا آبَ بِالنَّهْبِ الكَمِيُّ المُحَالِسُ

فالذئب — هنا — بائسٌ من صيد يشبعه، بائسٌ هزيلٌ وقد أتى إلى حيث النارُ والشواءُ كأنه يطلب القرى فأطعمه المرقِّش وأدى له حق الضيافة. فانصرف عنه تاركاً طبع الفتك والغدر جانباً فاستحق من الشاعر المرقِّش الأكبر أن يذكره في شعره وهو يفخر بكرم تجاوز المستحق إلى غير المستحق من سباع وبهائم.



وثاني هؤلاء الشعراء هو **النجاشي** : قيس بن عمرو بن مالك الحارثي ، فقد كان في سفر فتعرّض له ذئب كأنه «خليع خلا من كلّ مال ومن أهل» ، فنهض إليه النجاشي يدعوه إلى طعام وأجرى حواراً بينه وبين الذئب واستنطقه وتصور نطقه فوضع كلاماً على لسان الذئب ، قال له النجاشي : هل لك ميْلٌ إلى أخ يواسيك في طعامه بغير منّ ولا بُخْل ؟ فقال الذئب : قد دعوتني إلى شيء لم يفعله السباع قبلي من مؤاكلة بني آدم ، وهذا لا يمكنني فعله ، ولكن إن كان في مائك فَضْلٌ فاسقني منه ، فجاد عليه بماء فضل ، فعوى الذئب يدعو ذئاباً رفاقاً له ، وانصرف عنها النجاشي لشأنه ، يقول :

وماءٍ كلون الغسْل قد عاد آجناً
قليلٍ به الأصواتُ في بلدٍ مَحْلِ

(ويروى : «البول» بدل «الغِسْل» ، و «كلا» بدل «بلدٍ») .

وجدْتُ عليه الذئب يعوي كأنّه
خليعٌ خلا من كلِّ مالٍ ومن أهلِ

(ويروى : «لقيتُ» بدل «وجدت») .

فقلت له : يا ذئب ، هل لك في فتى
يُواسي بلا مَنٍّ عليك ولا بُخْلِ

(ويروى : «أخ» بدل «فتى» ، و «أثرى» بدل «منّ») .

فقال : هداك الله للرُّشْدِ إنَّما
دعوْتَ لما لم يأته سَبُعٌ قبلي

(ويروى : «إنّك» بدل «للرشد») .

فلستُ بآتيه ولا أستطيعهُ
ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضلِ

فقلتُ : عليك الحوْضَ إنّي تركتُه
وفي صفوه فضْلُ القلوص من السَّجْلِ

فطرّب يستعوي ذئاباً كثيرة
وعدّيْتُ ، كلٌّ من هواهُ على شُغْلِ[1]

وثالث هؤلاء الشعراء هو **أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري** المخضرم ، فإنه يصف أنه خرج في رفقة له لبعض شأنهم فاجتازوا بخوفة موحشة ، فخرج عليهم ذئب بادي الشقاء لا يرجو إلا ما يسدّ جوعته فهو يطوي بطنه حتى التصقت بصلبه من شدة ما يجد من الجوع ، فيأخذ من نفس أسماء مأخذاً عظيماً ، ويخاطبه أسماء خطاباً يعنفه فيه ثم يتراجع عن عذله أمام حاجة الذئب وإلحاحه ويمسح عنه عناءه ما دام يرجو السلم ويتقي الحرب ، ويرى ضيافته حقّاً فينهض إلى أسمن إبله فينحرها ويتركها طعاماً مريئاً للذئب وعياله ، ودونك الأبيات لتنظر في شعر جليل سلس مع حسن سبك وجمال تصوير ، يقول :

ولقد ألَمَّ بنا لِنقريَهُ
بادي الشّقاءِ مُحارِفُ الكسْبِ

يدعو الغنى أن نال عُلْقتَهُ
من مطْعمٍ غبّاً إلى غبِّ

تطوي ثميلتَهُ فألْحقها
بالصُّلْبِ بعْدَ لُدونةِ الصُّلْبِ

يا ضلَّ سعْيُك ، ما صنعتَ بما
جمّعْتَ من شُبْ إلى دُبِّ

لوْ كُنْتَ ذا لُبٍّ تعيشُ به
لفعلْتَ فعْلَ المرْءِ ذي اللُّبِّ

فجعلتَ صالحَ ما اخترَشْتَ وما
جمّعْتَ ، من نهْبٍ إلى نهْبِ

وأظنّهُ شغْباً تدلُّ به
فلقد مُنيتَ بغايةِ الشّغْبِ

إذ ليس غيرَ مناصلٍ نعْصى بها
ورحالنا وركائبِ الرّكْبِ

فاعْمِدْ إلى أهل الوقير فإنما
يخشى شذاك مُقرْمِصُ الزّرْبِ

أحسبتنا ممّن تُطيفُ به
فاخترْتنا للأمْنِ والخِصْبِ

وبغيْرِ معرفةٍ ولا نسبِ
أنّي وشعبُك ليس من شعْبي

لما رأى أن ليس نافعهُ
جِدٌّ تهاوُنَ صادقِ الإرْبِ

وألحّ إلحاحاً بحاجتِهِ
شكوى الضّريرِ ومزْجرَ الكلْبِ

ولوى التكلّحَ يشْتكي سغباً
وأنا ابنُ قاتِلِ شدّةِ السّغْبِ

فرأيتُ أن قد نلْتُهُ بأذى
من عذْمِ مثلبةٍ ومن سبِّ

ورأيت حقّاً أنْ أضيّفَهُ
إذ رامَ سلْمي واتّقى حرْبي

فوقفْتُ مُعْتاماً أزاولها
بمهنّدٍ ذي رونقٍ عضْبِ

فعرضْتُهُ في ساقِ أسْمنها
فاجتاز بيْنَ الحاذِ والكعْبِ

فتركْتُها لعيالِهِ جزراً
عمْداً ، وعلّقَ رحلها صحْبي[2]

ورابع هؤلاء الشعراء هو **الفرزدق** ، فقد رُوي أن الفرزدق خرج من الكوفة في نفر فلما صاروا إلى الغَريّيْن ــ وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة ، على حد قول ياقوت في معجم البلدان ٤ / ١٩٦ ــ عرَض ذئبٌ لسلوخة الفرزدق ، وكان شدها على بعير له لما أعجله السير ، فجاءها الذئب فحركها من مربطها فذعرت الإبلُ وجفلت منه وثار الفرزدق فأبصر الذئب ينهسُها فقدَّمَ إلى رجْلٍ. الشاة فجزها ورمى بها إلى الذئب فأخذها وتنحى عنه ، ثم عاد فقطع اليد ورمى بها إليه ، فلما أصبح القوم خبَّرهم الفرزدق بشأنه مع الذئب البارحة ، وصور نفسه كريماً سخياً شجاعاً لم يتهيب الذئب لما أقبل على الشاة ولم يخش غدره وفتكه المتوقع ؛ لأنه كان حذراً يتحسس سيفه البتار بساعد قوي ورباطة جأش حين كان يقضي حق الضيف العنيد الفاتك الغدار ، وقَدَّ الزاد مناصفة أو شبه المناصفة بينه وبين الذئب وأناله ما أراد حتى انصرف آمناً مأموناً ، والفرزدق في أبياته بدوي النزعة ، يتمدح بكرمه وشجاعته متأثراً بالمرقّش أو بأسماء أو بالنجاشي أو غيرهم فجاء بشعر معتسف ، يقول :

وليلةٍ بتنا بالغَريّيْن ضافنا
على الزاد ممشوقُ الذراعيْن أطلسُ
تلمَّسنا حتى أتانا ولم يزل
لدُنْ فطمَتْهُ أمُّهُ يتلمَّسُ
ولو أنَّهُ إذ جاءنا كان دانياً
لألبسْتُهُ لو أنَّهُ كان يلبَسُ
ولكن تنحّى جنْبةً بعدما دنا
فكان كقيدِ الرُّمْحِ بل هو أنفَسُ
فقاسمْتُهُ نصفيْن بيني وبينهُ
بقيةَ زادي والركائبُ تنعَسُ
وكان ابنُ ليلى إذ قرى الذئبَ زادَهُ
على طارقِ الظلْماءِ لا يتعبَّسُ[3]

ويقول :

وأطلسَ عسّالٍ وما كان صاحباً
دعوْتُ بناري موهِناً فأتاني
فلمّا دنا ، قلتُ : ادْنُ دونكَ إنّني
وإيّاكَ في زادي لمشتركانِ
فبتُّ أسوّي الزادَ بيني وبينَهُ
على ضوءِ نارٍ مرّةً ودخانِ
فقلتُ لهُ لمّا تكشَّرَ ضاحكاً
وقائمُ سيفي من يدي بمكانِ
تعشَّ ، فإن واثقتني لا تخونني
نكنْ مثلَ منْ ، يا ذئبُ ، يصطحبانِ
وأنتَ امرؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كنتُما
أخيّيْنِ كانا أرْضِعا بلبانِ
ولو غيرَنا نبَّهْتَ تلتمسُ القِرى
أتاكَ بسهمٍ أو شَباةِ سِنانِ
وكُلُّ رفيقٍ كُلِّ رحْلٍ ، وإن هُما
تعاطى القنا قوْماهُما ، أخَوانِ

[انظر ديوانه ، ص ٨٧٠] .

وخامس هؤلاء الشعراء هو **البحتري** ، وذئبهُ ليس كذئاب من سردناهم قبْلُ ، فهو ذئب شكِسٌ باقٍ على طبعه من غدر وشراسة ، وقد لقيه البحتري في فلاة ، وكان له مع الذئب شأن أي شأن فصَّله في شعره فبدأ بوصف الذئب في لونه الأطلس ، وذيله الطويل يجره وراءه ، ومتنه المعوج المقوس ، وجسمه المنهوك ، وعظامه المقضقضة ، ويجمع إلى ذلك جوعاً قاتلاً أيأسه من الحياة في بيداء لا يرجى فيها عيش والمظنون منه أن يفتك بالشاعر فقد جاء وصفه يطبع في النفس صورة رهيبة وخشية على من يلقاه ، ولكن البحتري انبرى له ، وجرد من نفسه ذئباً أمام الذئب وكلٌّ كان يحدث نفسه بقتل صاحبه ، ونشبت بينهما معركة تحسّها وتعيشها في أبيات من روائع شعره ، تبدي جرأته وجرأة ذئبه واستماتة كل منهما في الدفاع عن نفسه ومحاولة اغتيال عدوه فكان كلا الذئبين : البحتري المتذئب والذئب الحيوان ، عظيمين على السواء يقول :

وأطلسَ ملْءِ العينِ يحملُ زوْرَهُ
وأضلاعُهُ من جانبيْهِ شوًى نَهْدُ
لهُ ذنَبٌ مثلُ الرِّشاءِ يجرُّهُ
ومتْنٌ كمتنِ القوْسِ أعوجُ متْأدُ
طواهُ الطوى حتى استمرَّ مريرُهُ
فما فيهِ إلا العظمُ والروحُ والجلْدُ
يُقضْقِضُ عُصْلاً في أسرَّتِها الرَّدى
كقضْقضةِ المقرورِ أرْعدَهُ البرْدُ
سَما لي وبي من شدةِ الجوعِ ما بهِ
ببيْداءَ لم تُحْسَسْ بها عيشةٌ رغْدُ
كلانا بها ذئبٌ يُحدِّثُ نفْسَهُ
بصاحبِهِ ، والجدُّ يُتْعِسُهُ الجدُّ
عوى ثم أقْعى ، وارتجزْتُ فهِجْتُهُ
فأقبلَ مثلَ البرقِ يتبعُهُ الرَّعْدُ
فأوْجرْتُهُ خرْقاءَ تحسبُ ريشَها
على كوكبٍ ينقضُّ والليلُ مسْودُّ
فما ازدادَ إلا جرْأةً وصرامةً
وأيقنْتُ أنَّ الأمرَ منهُ هو الجِدُّ
فأتْبعْتُها أخرى فأضْلَلْتُ نصْلَها
بحيثُ يكونُ اللُّبُّ والرُّعْبُ والحقْدُ
فخرَّ وقد أوردْتُهُ منْهلَ الرَّدى
على ظمأٍ لو أنّهُ عذُبَ الوِرْدُ
وقُمْتُ فجمَّعْتُ الحصى ، واشتوَيْتُهُ
عليهِ ، وللرَّمْضاءِ من تحتِهِ وَقْدُ
ونلْتُ خسيساً منهُ ثُمَّ تركْتُهُ
وأقلعْتُ عنهُ وهو منعفِرٌ فرْدُ[4]



على طمعٍ لو أنّه عذّبَ الـــورْدُ
وقمْتُ فجمّعْتُ الحصَى ، واشْتَوَيْتُهُ

ولكني أتساءل : كيف اشتواه البحتري؟ وكيف نال خسيساً منـه؟ لا أدري! ولعل الجوع الجاء إلى الضرورة فلا جُنَاحَ عليه في أكله!.

وآخر هؤلاء الشعراء هو **الشريف الرضي** ، وقد وصف ذئبه وصفاً كأنه ينظر معه إلى وصف البحتري : فالأخذ ظاهر والانتحال بَيِّنٌ كُلَّ بيان ، إلا أن الشريف الرضي أفاض من جمال الصنعة على شعره ما عَوَّضَهُ من حسن التصوير للمعركة كما فعل البحتري ، ولكن الشريف أَجْمَلَ المعركة ونتيجتها في بيت واحد دل على جراة الذئب في المبتدأ وظفر الشريف به في المنتهى إذ جاء الذئب مُسْتَطْعِماً فعاد طُعْمَةً ، يقول :

وعـــاري الشّوَى والمنكبَيْنِ مـــن الطَّوَى
أُتيحَ لــه بالليلِ عَاوِي الأشاجعِ
أَغَبَّرَ مقطوعٍ مـــن الليـــلِ ثوبُهُ
أنيسٍ بأطرافِ البـــلادِ البـــلاقعِ
قليـــلِ نُعاسِ العَيْنِ إلا غِـــيابةً
تَمُرُّ بعيْنَيْ جائِمِ القلـــبِ جائعِ
إذا جَنَّ ليـــلٌ طـــاردَ النـــومَ طرفُهُ
ونَصَّ هُـــدى أَلْحاظِهِ بـــالمطامعِ
يُـــراوِحُ بـــين الناظِرَيْنِ إذا التَقَتْ
على النومِ أَطْبَاقُ العيونِ الهـــواجعِ
لــــه خَطْفَةٌ حَذَّاءُ مِـــن كلِّ ثَلَّـــةٍ
كَشَعْلَةِ أَقْبَسٍ بِنَفْضِ الطَّلِّ واقـــعِ
أَلَمَّ وقـــد كـــاد الـــظلامُ تَقَضِّيًا
يُشَرِّدُ فُـــرّاطَ النجومِ الـــطوالعِ
طَـــوَى نفـــسَهُ وانْـــسَابَ في شَمْلَةِ الدُّجى
وكلُّ امرئٍ يَنْقادُ طـــوعَ المطـــامعِ
إذا فـــاتَ شيءٌ سَمْعَـــهُ دَلَّ أنفُهُ
وإنْ فـــاتَ عَيْنَيْهِ رَأَى بـــالمسامعِ
تطالَعَ حتّى حـــكَّ بـــالأرضِ زَوْرَهُ
وراغَ وقـــد رَوَّعْتُهُ غيرَ ظـــالعِ
إذا غالَبَتْ إحـــدى الفرائسِ خطمَهُ
تَدارَكَها مُسْتَنْجِداً بـــالأكارعِ
جـريءٌ يسومُ النفسَ كلَّ عـــظيمةٍ
ويمضي إذا لم يَمْضِ مَـــن لم يـــدافعِ

إذا حـــافَظَ الـــراعي على الضأنِ غِرَّةً
خَفِيُّ الـــسُّرَى لا يُتَّقَى بالطَّلائعِ
يُخاوِعُهُ مُسْتَهْـــزِئاً بلحـــاظِهِ
خـــداعَ ابـــنِ ظَلْماءٍ كثيرِ الـــوقائعِ
ولمّا عـــوى والـــرملُ بـــيني وبينـــه
تَيَقَّنَ صَحْبي أنَّهُ غـــيرُ راجـــعِ
تأوَّبَ والظَّلْمَاءُ تَضْرِبُ وَجْهَهُ
إلينـــا بـــأَذيالِ الـــرِّياحِ الـــزَّعازعِ
لَهُ الـــويلُ مِـــن مُسْتَطْعِمٍ عـــادَ طُعْمَةً
لِقَـــوْمٍ عجالٍ بالقِسِيِّ النَّوازِعِ

وبعد ، فإن ذئاب المرقش الأكبر والنجاشي وأسماء بن خارجة والفرزدق لقيت منهم كرماً وانصرفت عن شبع فلم تخن عهدهم ، أما ذئبا البحتري والشريف الرضي فقد جاءا بطبع الغدر . والشـاعران قـابلا رغبـة الفتـك بالفتك ، وأنهيا معركتيهما بقتل الذئبين ، فكيف استأنس الشاعر لعواء ابن آوى ونفر من صوت ابن آدم ، فقال :

عوى الـذئب فـاستأنست للـذئب إذ عـوى
وصـوّت إنســان فـكدت أطـير

لعله مطعون من شرار الناس ، وهؤلاء شرهم أشد من شر الذئب بل أشد إضراراً حيث يأتيك الهلاك من المأمن والمُطْمَأَن .

مراجع البحث

١ ــ ديوان البحتري بتحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، طبعة دار المعارف بمصر .
٢ ــ ديوان الشريف الرضي ، طبعة المطبعة الأدبية ، بيروت سنة ١٣٠٧ هـ .
٣ ــ ديوان الفرزدق بشرح عبد الله الصاوي ، مطبعة الصاوي ، القاهرة .
٤ ــ المفضليات بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر .
٥ ــ الأصمعيات بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر .
٦ ــ شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر البغدادي بتحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون ، دمشق .
٧ ــ خزانة الأدب ، بولاق .
٨ ــ المعاني الكبير لابن قتيبة ، حيدرآباد .
٩ ــ أمالي المرتضى بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
١٠ ــ ديوان امرئ القيس بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر .

الهوامش

(١) للنجاشي في كتاب (المعاني الكبير) لابن قتيبة ١/ ٢٧٠ ، وأمالي المرتضى ٢/ ٢١٠ ، والخزانة ٤/ ٣٦٧ ، وتروى لامرئ القيس وهي في ديوانه ، ط/ القاهرة ١٩٥٨ م ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) انظرها كاملة في الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط/ دار المعارف بمصر ، ص ٤٨ .

(٣) ديوانه ، ص ٤٨٥ .

(٤) ديوانه ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ص ٧٤٣ .

لم يكن لاتصال العرب قبل الإسلام بالأمم المجاورة أثر يذكر في التعرف على حضاراتهم وثقافاتهم ، ولم يحدث هذا الأثر بالمعنى الواسع سوى في العصر الإسلامي حيث تمت الفتوحات وتوسعت رقعتها وإن لم يكن الفتح في بلاد الشام والعراق عنصراً جديداً عليهم كما هو الحال في الأندلس ، لذلك فإن المعرفة الإنسانية بالأدوية مركزة في بلاد الشام والعراق ، وهي قديمة تعود جذورها إلى العصر الهلستيني .



في القرن الثالث قبل الميلاد كانت **الإسكندرية** من أهم المراكز العلمية ، امتزجت فيها أرقى الحضارات العالمية لتعطي للبشرية فا... لانطلاقها في مجال التقدم العلمي ، بينما نجد **مدينة الرها** في شمال سورية التي ... كنها **النساطرة** ... ـيين من السريان مركزاً هاماً للثقافة الدينية والعلمية ، ومركز دراسة الحضارة والثقافة اليونانية من قبل النساطرة السريان بمختلف فروعها الفكرية والطبية . إلا أن الاضطهاد الديني نقل مدارس الرها في القرن الخامس الميلادي (٤٧٩ م) ، إلى ما بين النهرين وانتهى المطاف بعلمائها فيما بعد إلى **جنديسابور** في بلاد فارس . هذا إلى جانب المدارس الهامة في **الجزيرة العربية** التي كانت مراكز هامة للحضارات منها « **الحيرة** » عاصمة المناذرة التي كان أهلها يتكلمون العربية ويكتبون بالسريانية ، و « **بصرى** » عاصمة الغساسنة التي كانت تنافس الحيرة ، و « **حرّان** » مدينة الصابئين وسكانها من السريان التي انتقلت إليها وإلى أنطاكية معارف الإسكندرية الهليستينية سيما المعارف الطبية التي حافظت على مركزها الثقافي والعلمي قبل و... الإسلام ، وعن طريق أهلها الذين كانوا يتقنون اللغة السريانية ، اللغة التي كانت صلة الوصل بين اليونانية والعربية .

أما جنديسابور في بلاد فارس فقد جمعت شتات **المدرسة الأفلاطونية** الجديدة بأثينا بعد أن أغلقها **الإمبراطور جستينيان** في القرن السادس الميلادي (٥٢٩م) ، بالإضافة لاستقبالها النساطرة السريان المتنقلين مما بين النهرين مما نقل إليها التراث الإغريقي من السريانية . كما ساعد وجود النساطرة السريان فيها على تعلّم **اللغة الفهلوية** التي مكنتهم من الاطلاع على الثقافة الفارسية والهندية . كل هذا انتقل فيما بعد إلى **بيت الحكمة في بغداد** . ومن هنا نجد أن الفتح الإسلامي قد أتى على أرقى الحضارات وأكملها في ذلك العصر ، كما أن ارتقاء المعرفة قد أتى من تعدد المصادر والتفاعل بين الحضارات .

ومن دراسة تاريخ ا... ب القديم نجد أن الأدوية كانت تنقل مباشرة من يد الطبيب إلى العليل دون وسيط ، وتاريخ الطب في العصر الإسلامي لا يشذ عن هذا . كان الطبيب في البلاد الإسلامية هو نفسه صيدلي له بالطبع أعوان يسا...ونه في أعماله ويجمعون له الأعشاب والنباتات الطبية . وهكذا تطور جمع الأعشاب حتى أصبح المسلمون هم أول من بدأ المبدأ العام للصيدلة الحديثة كمهنة ، وقد نصت دساتير الأدوية وقوانين الصيدلة عندهم على التمييز بين علم الصيدلة والطب . وتحفل المصادر الطبية بالعديد من المفردات الدوائية التي استعملها عدد من الأطباء المسلمين في علاج الأمراض المعروفة عندهم ، وأدى اختلاف المصادر التي تجمعت لديهم بسبب احتكاكهم بأمم عديدة إلى تعدد الأسماء للدواء الواحد .

فنجد في أكثر الأحيان أكثر من اسم لدواء مفرد واحد ، وهذا الأمر اضطرهم للتعرف على الأدوية بأسمائها المختلفة ومواطنها المختلفة وبالتالي اضطرارهم إلى كتابة القواميس المتعددة اللغات منها الفارسية والهندية واليونانية والسريانية والعربية وذلك منذ القرن العاشر الميلادي .

فظهر قاموس القمري .. (التنوير في المصطلحات الطبية) ، وقاموس البيروني (الصيدنة في الطب) فكان الدواء يعرف بكل اللغات وهذا مما أدى إلى تجانس المصطلحات في الشرق والغرب .

هذا ولا يعني أن المسلمين قد سلموا بأقوال السابقين ، بل اتجهوا للدراسة والشرح والتمحيص والتعليق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، فجاءت مؤلفاتهم ونظرياتهم وتعليقاتهم دليلاً مادياً على استيعابهم لهذه الحضارات المختلفة ، فكانت عصارة جاهزة أعطت النفس للبشرية فيما بعد للعبور من العصور المظلمة إلى النهضة الأوروبية . فكثيراً ما يربّون النباتات ويرعونها في مختلف مراحل نموها ، ويدرسون تكاثرها واصفين تربة ومواطن نموها ، وتتبعوا طبائعها وقواها ، وبذلوا في طرق تطبيقها واستخدامها ، وأضافوا لطرق تحضيرها بعض العمليات البسيطة (كالحرق ـ السحق ـ العصر ـ التخمير . . .) أو مزج بعض الأدوية مع بعضها بنسب معينة ليحصلوا في النهاية ، على دواء فعّال ، فكانت **الأدوية المركبة (الأقرباذين)** .

ولم يقتصر الأمر على هذا فقد حضّرت الأدوية بأشكال صيدلانية مختلفة وعديدة نذكر منها : الكحل ، والشياف ، و... سول ، والذرور ، والشراب



الحلي ، والحبوب المغلفة بالذهب أو الفضة . . . إلخ .

وكانت المداواة عندهم على شكلين : الغذاء والدواء . . والأدوية تعطى إما عن الطريق العام للاستفراغ والإدرار أو موضعية . . وكانت تطبق على العضو المصاب . ونذكر في هذا الصدد الأدوية التي ذكرها الأطباء الكحالين العرب في معالجة التهاب القرنية وكثافتها كإقليميا الذهب وإقليميا الفضة والبيض والبورق والأدوية المركبة التي استعملت ذروراً أو تكحيلاً كما استعملت أدوية لصبغ القرنية ، وهذه الأخيرة ليست لها منفعة سوى أنها تحسن منظر العين ، ومن هذا نجد أن الغرض من المداواة العينية لم يكن يقتصر على شفاء التهاب أو إزالة احتقان أو طرفة ، بل تعداه إلى ما يمكن أن نسميه بالمعالجة التجميلية كإزالة الكثافات القرنية ، إما بمحاولة شفافيتها لتحسين الرؤية ، أو بصبغها لإخفاء منظرها ، حيث كان يطلب من الطبيب تحسين عين مملوك يراد بيعه أو جارية في السوق فكان يوصف لبن الإبل الحار وتكحّل به العين .

واخيراً لا بد ان نذكر أن الكحالين المسلمين كانوا سباقين في الاكتشافات التي أضافوها إلى علم المداواة المعروف في عصرهم ، ونذكر ما اكتشفه **أبو بكر الرازي** ، مثلاً ، مشيراً إلى سمية الدواء حيث نهى عن الإفراط في استعمال الأدوية المخدرة لمعالجة أمراض العين منها البابونج والأفيون واللفاح .

المراجع والمصادر

١ ــ ابن البيطار . جامع مفردات الأدوية والأغذية . طبع في العراق .

٢ ــ الأب قنواتي (جورج شحاته) . تاريخ الصيدلة والعقاقير . دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م .

٣ ــ حميد موراني (دكتور) . العلوم عند العرب . طبع في العراق .

٤ ــ سامي حمارنة (دكتور) . فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الطب والصيدلة ، مطبعة دمشق ، ١٩٦٩م .

٥ ــ شوكت الشطي (دكتور) . العرب والطب . جامعة دمشق ، ١٩٦٢م .

٦ ــ نشأت حمارنة . تاريخ الطب (أمالي لطلاب كلية الطب ــ جامعة دمشق) .



إلكترونات



إشارة Signal :

مقدار كهربائي كالتيار أو الجهد أو الموجة الإلكترونية المغنطيسية ؛ **وتستخدم** لنقل معلومات أو إجراء اتصالات ، أو تحقيق عملية تحكم قريبة أو عن بعد ، أو إجراء عمليات حسابية وغير ذلك .



بثق ، بث إلكترونات Electron, emission :

إصدار المادة للإلكترونات إلى الفضاء المحيط بها . وقد يتم ذلك بواسطة تطبيق الحرارة أو الضوء أو تأثير إلكترونات أو مجال جهد عالي أو أي مؤثرات أخرى ، حسب نوع المادة .



تحكم إلكتروني Electronic, Control :

علم التحكم بالآلات والأجهزة بواسطة دارات إلكترونية ، سلكياً أو لاسلكياً .



ثاميركتور Thyrector :

ديود (**صمام ثنائي**) من **السيليكون** ، يبدي مقاومة عالية جداً بما يشبه ممانعة الأجسام العازلة لغاية جهد أو « فولطية » عالية لا تعود الأداة قادرة من بعدها على هذه الحالة ، إذ تعود لحالة الناقلية بمقاومة منخفضة .



جسر ويتستون Wheatstone bridge :

دارة ذات أربعة أذرع متوازنة ، لها مقاومة على كل ذراع ، وتستخدم لقياس مقاومة مجهولة بالاستناد لمقاومة قياسية . وتتم تغذية الجسر بتيار مستمر ، أو متناوب إذا كانت المقاومات الأربعة المشكلة له غير حثية أو تفاعلية .



حافظة Latch :

دارة حلقية (Loop) للتغذية العكسية في الدارات الرقمية المتناظرة ، مثل القفاز (Flip – Flop) ، وهي تستخدم للمحافظة على حالة معينة قبل زوال الذاكرة في جهاز يعتمد على مبادئ الحاسب الإلكتروني .

حقن الإشارة Signal injection :

طريقة **لكشف الخلل في الأجهزة الإلكترونية** ، حيث يستخدم مولد إشارة لدفع إشارة فحص عبر الدارة المشكوك بخللها عند نقاط ومراحل متتالية من مخرج الدارة وحتى مدخلها إلى أن يتم تحديد النقطة أو المرحلة المعطلة .



خانقة ، وشيعة Choke coil :

وشيعة ذات مؤشر يظهر معاوقة عالية للتيار المتناوب بينما لا يظهر أي ممانعة للتيار المستمر .



معظم الحالات يتم استخدام جهد أو تيار ضعيف نسبياً لجعل « الريليه » تشغّل تياراً أو جهداً أعلى ؛ وقد تكون « الريليه » إلكترومغنطيسية أو إلكترونية بالكامل (أي بدون أجزاء متحركة) .



دارة متكاملة Integrated Circuit :

دارة يتم تكوين عناصرها وأسلاك توصيلاتها بواسطة قوالب معدنية دقيقة على شريحة من مادة نصف ناقلة . ويتم توصيل أجزائها حسب أنواعها الثلاثة : أحادية الشريحة (monolithic) ، الشريحة الرقيقة (Thin – Film) والدارة الهجينة (Hybrid) .

دارة مطبوعة Printed Circuit :

نموذج من النواقل المرتبة حسب ترتيب أسلاك دارة إلكترونية مناظرة على لوحة عازلة باستخدام عملية ضغط ذات حساسية عالية بقوالب جاهزة ، ويتم لحام أجزاء النواقل لتشكيل التوصيلات المطلوبة ، وهي على درجة عالية من الدقة وتستخدم في أجهزة الترانزستور وسائر الأجهزة الإلكترونية ، ولا يمكن تصليحها عند تعطلها بل تستبدل لوحتها بكاملها (Printed Circuit Board) .



ذاكرة Memory :

القسم الذي يسجل المعلومات ويحتفظ بها لحين الطلب في أي جهاز إلكتروني يعمل على مبدأ الحاسبات الإلكترونية الرقمية (Digital Computers) .



ريليه Relay :

أداة تشغيل وإيقاف تعمل بالإشارات التي يتلقاها مدخلها ؛ وفي



زاوية الإشارة اللاسلكية Angle of beam :

الزاوية التي يحيط ضلعيها الوهميين بمجمل الإشارة المرسلة من هوائي إرسال موجه .



سحابة إلكترونية Electronic cloud :

مجموعة من الإلكترونات الحرة التي تتحرك بشكل مشابه للذرات المكونة لأي من الغازات النشطة .



شبكة رباعية النهايات Four – terminal network :

شبكة ذات نهايتي مدخل ونهايتي مخرج . يمكن توصيل إحدى نهايتي المدخل بإحدى نهايتي المخرج من الداخل (كما في حال عملية التوصيل الأرضي المشترك) ولكن ذلك ليس إلزاماً .



صمام « فليمنغ » Fleming valve :

التسمية الأولى للصمام الثنائي الأنبوبي (Tube diode) ؛ وقد تم استخدام تعبير « الأنبوب » (Tube) إثر الاستفادة الأولى من ظاهرة

« أديسون » في الكشف عن الموجات الراديوية . وتدل تسمية « صمام » على خاصية التقويم التي يتمتع بها « الديود » .



ضارب إلكتروني Electronic multiplier :

أداة إلكترونية يكون خرجها مساوياً لضعف دخلها أو معادلاً لعدة أمثال منه ، وهي تستخدم لإجراء عمليات الضرب الحسابية .



طيار آلي إلكتروني Electronic auto – Pilot :

جهاز آلية مؤازرة يستخدم لكشف وتصحيح مسار طيران الطائرة .

طبلية Drum :

أسطوانة دوارة ، مغلفة بمادة مغنطيسية ، يمكن تسجيل معلومات رقية عليها على شكل بقع ممغنطة صغيرة جداً يمكن تحويلها لمعطيات مقروءة بواسطة رؤوس استشعار عند تدوير الأسطوانة ، كما يمكن محوها عندما لا تعود هناك أي حاجة لها .



ظاهرة شرق – غرب East – West effect :

وهي الظاهرة التي تكون فيها الأشعة الكونية التي تتجه إلى الأرض عند خط الاستواء أكثر عند جهة الغرب منها من جهة الشرق بمقدار (١٠٪) .



عدسات إلكترونية ساكنة Electro Static Lens :

مجموعة من الصفائح أو الأسطوانات العاكسة التي يتسبب المجال الكهربائي المولّد بها بانحراف أي شعاع إلكتروني يمر عبرها ، بنفس الطريقة التي تنحرف بها الأشعة الضوئية عند مرورها عبر العدسات الزجاجية .



غاما ، أشعة Gamma Rays :

الأشعة التي تطلقها العناصر ذوات النشاط الإشعاعي وهي تشبه أشعة (X) (السينية) في تجاوزها للأنسجة العضوية وتوقفها عند المركبات الحاوية على معادن ، ولكنها تتميز بأطوال موجات أقصر .

فاصل Separator :

رمز يستخدم اثناء العمل على الحاسب الإلكتروني لفصل وحدات المعطيات المنطقية ، كما يستخدم للدلالة على الصفيحة العازلة المثقبة التي تفصل بين الصفائح النشطة ضمن خلية تخزين .



قادحة : زناد قدح Trigger :

نبضة أو جزء إصدار نبضات لتشغيل أو إيقاف عمل دارة أو أداة كما هي الحال بالنسبة للقفاز (Flip – Flop) .

قلاب Flip - Flop :

ويليه ذات وضعيتين تغفل وفق وضعين متعاقبين عند استقبال نبضتي تشغيل متتاليتين .



كليسترون Klystron :

صمام للموجات البالغة القصر (الميكروية micro) ويعتمد مبدأ عمله على تعديل سرعة الشعاع الإلكتروني .



لايزر : ليزر Laser :

جهاز لتوليد ضوء كثيف ومتوازي الأشعة ، وهو يتألف في أبسط أشكاله من قضيب مصقول من الياقوت (Ruby) ، وله مرآة عاكسة عند أحد طرفيه ومرآة شفافة عند الطرف الآخر ، ويلتف حوله صمام وامض ذو جهد (فولطية) عالي يطلق ومضات ساطعة من الضوء يتم انعكاسها بين المرآتين ويحفّز إلكترونات الياقوت على توليد المزيد من الضوء .

ويكون الضوء الناتج عبر خطوط الأشعة المتوازية الصادرة عن المرآة الشفافة أشد كثافة من الضوء الصادر عن الصمام الوامض .



مجهر إلكتروني Electron microscope :

وهو مجهر ذو طاقة تكبير تصل الى (٢٠٠,٠٠٠) مرة ، ويستعيض عن الضوء ، كمصدر للإنارة ، بحزمة من الإلكترونات يتم تركيزها بواسطة عدسات إلكترنية .



نبضة Pulse :

تعني في مجال الإلكترونات تلك الإشارة العابرة القصيرة الأمد ، التي تكون سعتها ثابتة وقطبيتها واحدة .



هوائي Antenna Aerial :

هيكل من القضبان والأسلاك المصممة بحيث تتلقى الموجات الإلكترونية المغنطيسية المبثوثة في الهواء من محطة إرسال إلى جهاز استقبال (اتصال لاسلكي ؛ راديو ؛ تلفزيون) بحيث تساعد على بث هذه الموجات عبر الهواء أو الفضاء إلى محطة أو جهاز استقبال ، وقد يكون الهوائي سلكاً أو قضيباً بسيطاً أو مجموعة متشابكة من القضبان والأسلاك مرفوعة على عمود معدني عالٍ أو « صاري الهوائي » .



وحدة وامضة Flasher :

أداة إلكترونية أو كهربائية أو دارة تصدر ضوءً وامضاً أو سلسلة من الأضواء الوامضة ، لالتقاط صورة فوتوغرافية أو لأي غرض آخر .



يوكه Yoke :

شبكة من الملفات أو الوشائع التي تستخدم لإحداث الانحراف المغنطيسي لحزمة من الأشعة الإلكترونية ، ضمن صمامات الأشعة المهبطية ، كالتي تستعمل في أجهزة التلفزيون (أسود ـــ أبيض) .

ملاحظات حول مقالة التحليل النفسي في القصص القرآني

تحت عنوان «**التحليل النفسي في القصص القرآني**»، ناقش **الدكتور حسن محمد الشرقاوي** في العدد (٩٦) جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ، السنة الثامنة، آذار (مارس) عام ١٩٨٥ م، من **مجلة «الفيصل»** مشكلة تخلي علم النفس عن النفس. وكونه انصرف إلى دراسة السلوك بدلا من البحث في طبيعة النفس وماهية الشخصية، الأمر الذي اعتبره جهلاً فاضحاً وتأخراً. وقال إن حل هذه المشكلة لا يكون إلا بالعودة إلى القرآن الكريم والهدي النبوي العظيم.

وإذا كنا نقدر للكاتب حماسه ومنطلقه الإسلامي، فإن هذا التقدير لا يمنعنا من إبداء جملة من الملاحظات، نرجو أن يتسع لها صدر المجلة وكاتبها.

فالكاتب يقول: لو علم علماء النفس الغربيين وصف النفس الإنسانية في حالاتها المختلفة في القرآن الكريم، والهدي النبوي لنجحت الدراسات النفسية في تحقيق تقدم هائل في أبحاث النفس والشخصية الإنسانية. ولكن ظنهم أن القرآن الكريم مجرد كتاب ديني جعلهم يخطئون التقدير، فوصلوا إلى باب مسدود. فالدعوة هنا موجهة إلى علماء النفس الغربيين حصراً. فإن كانت دعواه صحيحة، فيجب أن تكون للغربيين والشرقيين والشماليين والجنوبيين، والمسلمون أولى بالاستفادة منها. فهل يعني أن الغربيين هم فقط الذين يحتاجونها، وأن الشرقيين في غنى عنها؟.

وإذا كان من الممكن تجاوز ذلك، فهل يمكن بناء العلم استناداً إلى الوصف؟ وهل يريد القول إن الشخصيات الموصوفة في القرآن الكريم هي نماذج ثابتة لا يمكن أن تتغير، بحيث أن ما ينطبق عليها ينطبق على الشخصية في كل مكان وزمان؟ أفليس هذا مزجاً بين الشخصية والطبع[1]، وبينهما من الفروق ما يجبر على التمييز بينهما. وهل على القارئ أن يذكر الكاتب الكريم أن الشخصية نامية ومكتسبة، في حين يتسم الطبع بالثبات؟.

ثم ماذا يستفيد التحليل النفسي من معرفة شخصية **فرعون** [الذي عاش ٤٠٠ سنة بدون أن يصاب بمرض؟].

وبودي لو عرفت من الكاتب الكريم الدليل النقلي الذي يعتمده تأييداً لهذا القول. فإن كان فرعون طاغية (وهو لم يحدد أي فرعون يذكر)[2]، فهل يمكن القول إن نموذج فرعون كطاغية، ينطبق على كل طاغية؟.

وطريف من الكاتب تحديده الفروق بين الشخصيات في إطاري اتباع طريق الحق، أو طريق الهوى فقط، متناسياً أن الفروق الفردية كثيرة في جوانبها البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية. ولكن، إن قبلنا جدلا أن هذا هو فقط الخلاف بين الأشخاص، فإنه يميز بين الناس بهذا التقسيم على أساس السلوك، لأن اتباع أحد النجدين هو سلوك، فما باله يرفض من علم النفس العناية بالسلوك، إن كان هو يعتمده مميزاً؟.

ويطالب الكاتب علم النفس بالبحث في طبيعة النفس وماهية الشخصية. والمطالبة بذلك أمر جميل، لكنه غير صحيح، فلا علم النفس، ولا أي علم آخر قادر على الوصول إلى طبيعة أي أمر أو ماهيته. فالقضية لا ترتبط بمعرفة وصف أو عدم معرفته، وإنما ترتبط بأن البحث في الماهية بإطلاق طريق مسدود، فالعلم حين يكتفي بالقياس و بما يقبل القياس فلأنه يُدرك أن البحث في غير ذلك غير مجدٍ، وعدم الجدوى متأت من أن المعارف المحصلة، بغير هذا المنهج لا تقبل الانتقال، لغلبة الذاتية والكيفية عليها.

وأنا هنا لا أنكر أهمية النور الذي يلقيه الله في الصدور. ولكن في بناء عالم يريد العلاقات الكلية الثابتة نسبياً، والخاضعة للحتمية (أو لعلائق الارتياب)، فإن البحث في الماهية فيه يشكل جهداً ضائعاً، ولا يمكن الوصول عقلاً فيه إلى شيء.

وعليه فلعله من الأفضل أن نقول بضرورة تأطير علم النفس بأخلاقيات الإسلام، بوضعه في خدمة قضايا الإنسانية، ويمنعه من أن يكون مصدر إضرار بالإنسان. ولعله يكون أفضل أيضاً ضرورة أن يتحلى العالم النفسي، وكل عالم بالأخلاق الإسلامية في بحثه، وفي تطبيقاته العلمية أيضاً، فالعلم في صفته الأولى نزيه[3].

ويقول الكاتب أيضاً إن في **القرآن الكريم** شفاء للنفوس من الوقوع في براثن الشرك والظلم واليأس والرجعة والضلال المبين، وهذا كله حق. ولكن هل يترتب على مقوله كونه علاجاً من براثن الشرك أن نقول إنه علاج أيضاً للهستيريا التخشبية أو للذهان؟ ولا يكفي هنا أن يكرر ما ورد في القرآن الكريم في الآية ٨٢ من سورة الإسراء[4]. إذ إن المهم هو أن يبين كيف يمكن تحقيق ذلك؟ وكيف نعالج مثلاً حالة جنون اعتماداً على دعواه، فإن كان لا يملك جواباً فهل نطالب علماء النفس الغربيين أن يبينوا لنا القضية؟.

ودعوة الكاتب إلى وجوب العودة إلى القرآن الكريم في معرفة النفس دعوة رائعة وجديرة بكل احترام. فبارئ النفس أدرى بها. ولكنه حين يحصر القضية بمواقف النفس وأخلاقياتها، فإنه يحصر القضية في سلوك، عابه هو على علماء النفس. ولعلي لا أزعج الكاتب إذا قلت إن الدعوة إلى قضية لا تبين كيفية تحقيقها تفقد مبرر عرضها.

ولكن أكثر ما يثير الاستغراب في مقالته قوله إن تفهم قوى النفس المحركة وتأثيرها على سلوك الإنسان هو بمثابة العثور على كنز ظل آلاف السنين مختبئ في دهاليز النسيان. ثم يقول إن هذه القوى كما حددها علماء المسلمين هي قوى العدل والعلم والشهوة والغضب. وسبب الاستغراب تجاهل الكاتب لتطور الفكر الإنساني، فلو كلف الكاتب الكريم نفسه عناء قراءة أي من كتب الفلسفة ما قبل الإسلام، لوجد أنه نسب إلى المسلمين ما قاله غيرهم. ولست أدري ماذا يكسب الإسلام بمثل هذه الدعوى.

فعلى سبيل المثال نذكر الكاتب بأن التعلم الأول الذي انتشر في معبد ولف، هو وجوب أن يخضع الإنسان عمله لفكره وعقله[٥]، وأما الدعوة إلى الاعتدال فكانت محط اهتمام الحكماء السبعة[٦]. وكان **الفيثاغورثيون** يقولون إن العفة تنتج عن محاربة النفس العاقلة للشهوات الدنيئة[٧].

وعلى سبيل المثال أيضاً نذكر الكاتب الكريم أن **أفلاطون** (٤٢٧ ـ ٣٤٨ ق. م)، كان يقسم النفس إلى ثلاثة أجزاء هي الشهوية والغضبية والعاقلة[٨].

والكاتب يقع في التعميم حين يقرر أنه سلبي بإطلاق. وهنا أسأله: هل الغضب للحق رذيلة؟.

ثم يحكم بأن التحليل النفسي قائم على تخمينات، وعلى أساطير ليس لها تسلسل صحيح. ولكنه لا يبرهن على صحة دعواه. ولكننا مع ذلك نكمل ـ كقراء ـ قوله بتأكيد وجود مثل ذلك في التحليل النفسي (عقدة قتل الأب[٩]، لدى فرويد مثلاً)، لكن هل فساد البعض يعني فساد الكل؟.

ثم إن كان قول الكاتب في هذا المجال صحيحاً فإن دعوته إلى أن يأخذ أصحاب التحليل النفسي بالقرآن الكريم والهدي النبوي، تفقد معناها.. فالقرآن الكريم لا يكمل الأساطير، بل هو يحطمها. وهو لا يكمل التخمينات، بل ينهيها ببيان الحق. فإن كان أخذ أصحاب التحليل النفسي بالوصف الكائن في القرآن الكريم يجعلها تتقدم، فلا يعقل أن تكون كما وصفها الكاتب، وإن كان لا يجعلها تتقدم فسد مطلوب الكاتب.

وإن كان يقصد إلى هدم التحليل النفسي وإقامة غيره، وإن كان أصحاب الأساطير ليسوا أهلاً لبنائه بالاعتماد على القرآن الكريم بطبيعة الحال، فإن الكاتب انسجاماً مع العنوان الذي وضعه لمقالته، مطالب بأن يبين ما هو هذا التحليل الذي يدعو إليه، وما هو منهجه، وما هي أساليب تحقيقه؟ وكيف يمكن استخدامه في حل المشكلات النفسية[١٠]، وقاية وعلاجاً.

قضية أخيرة، لماذا لم يذكر الكاتب مراجعه ومصادره؟.

ويبقى للكاتب الكريم فضل الدعوة إلى العودة إلى القرآن الكريم، والهدي النبوي، وهو فضل عظيم، يستحق عليه كل شكر، ولكن بغير الأسلوب الذي اعتمده.

وختاماً أعتذر سلفاً عما قد يسببه كلامي من إزعاج للكاتب، وللمجلة التي أحترم. وعذري أنني في احترامي للعقل والإنسان، وفي احترامي العميق للقرآن الكريم وهدي نبيه العظيم، لا أستطيع أن أقبل استخدامها كحجة مؤثرة لإقرار ما لا يمكن إقراره بها. وإنها كمثل أعلى لكل حق وخير وجمال يطالبان بالحق الذي أكاد أجزم أن الكاتب قد توخاه، وإن كان التوفيق لم يحالفه.. والله الموفق.

د. صلاح الدين شروخ
عنابة ـ كليرسوليل ب ١

الهوامش

(١) يعرف لوسين الطبع بأنه مجموعة الاستعدادات الفطرية التي تكون الهيكل الذهني للإنسان. والطبع متين ودائم وغير قابل للتطور بل إنه يؤثر في تطور الذات النفسي انظر:
Le Senne: Traité de caracterologi P.9 – 10.

انظر أيضاً: د. يوسف مراد. مبادئ علم النفس العام. دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٧٨م، ط ٧. ص ٣٨٣.

محمود اليعقوبي. الوجيز في الفلسفة، مكتبة الشركة الجزائرية ـ الجزائر، ١٩٧٣م، ط ٣، ص ٦٦. انظر أيضاً: أوتو كلينبرغ، علم النفس الاجتماعي، ترجمة د. حافظ الجمالي، جامعة دمشق، دون تاريخ، أما الشخصية فمن تعريفاتها أنها الصورة المنظمة المتكاملة لسلوك فرد يشعر بالتميز من الآخرين. انظر: د. يوسف مراد، ص ٣٧١.

(٢) فرعون، من أعلام القرآن، وهو لقب يطلق على ملك مصر في القديم وأصله (برعو) ومعناه البيت العظيم. فإن كان الكاتب يقصد فرعون موسى، فالرأي السائد الآن أنه هو رمسيس الثاني. انظر: محمد إسماعيل إبراهيم. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٦٩م، ط ٢، ص ١٠٩.

(٣) د. عبد الرحمن بدوي. المنطق الصوري والرمزي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م، ط ٢. ص ١٧.

(٤) الآية الكريمة **﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾**.

(٥) د. عادل العوا، المذاهب الأخلاقية، جامعة دمشق ١٩٦٣م، ص ٢٤.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٧) المرجع السابق، ص ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٨) د. عادل العوا، ص ٥٦ ـ ٥٧. وللمقارنة انظر ما ورد في مجلة «**الفيصل**» العدد (٩٦)، ص ٧١، مقالة الدكتور حسن الشرقاوي، موضوع الرد.

(٩) د. عبد الكريم اليافي. مدخل إلى علم الاجتماع. جامعة دمشق عام ١٩٦٤م، ص ٤٥٥.

وللمزيد انظر: موريس روكلان، تاريخ علم النفس، ترجمة علي زيعور وعلي مقلد. الشركة الجزائرية للنشر، منشورات عويدات، بيروت ١٩٧٢م، ص ٩٧.

(١٠) في التعرف على المشكلات ومنشأ قضاياها. انظر: موريس روكلان، ص ١٤.

دائرة معارف .. مشاهير المخترعين

لقد فعلت مجلتكم المحترمة حسناً بتخصيص احد ابوابها لما اسمته «**دائرة المعارف**» الذي يخصص عادة لأحد العلوم أو لأحد جوانب النشاط الإنساني. وقد خصص الباب في **العدد (٩٦)** الصادر في شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ، **لمشاهير المخترعين** من مختلف انحاء العالم. وهذا عمل تشكر عليه المجلة. **والحقيقة أن الصفحات المخصصة لدائرة المعارف لو جمعها القراء كل بضع سنوات وجلدوها، لصارت دائرة معارف حقيقية ينتفع بها جميع أفراد العائلة.** وإدراكاً مني لأهمية هذا الباب، رأيت من المفيد إبداء بعض الملاحظات التي عنت لي أثناء قراءة العدد الأخير من «**الفيصل**». وفيما يأتي شيء من تلك الملاحظات:

١ ــ تحتل «دائرة المعارف» في هذا العدد الصفحات (١٣٩ ــ ١٤٢)، وقد ورد فيها ضمن أسماء المخترعين عدد من العلماء المسلمين، والذي لفت نظري أن تواريخ حياة هؤلاء العلماء كتبت بالتاريخ الميلادي دون الهجري، إلا في حالة واحدة، وقد جاء تاريخها مغلوطاً ــ كما سنرى إن شاء الله ــ. وهنا أود أن أقول إنني لست من المتعصبين إلى حد القول بوجوب كتابة جميع التواريخ بالتقويم الهجري، حتى لأولئك العلماء الذين عاشوا في **العهدين اليوناني والروماني**، أو حتى بالنسبة لعلماء أوروبا، ولكنني **أرى من الضروري أن تكون تواريخ حياة العلماء المسلمين مدونة بالتقويم الهجري مع ما يقابلها بالتاريخ الميلادي** لفائدة من لا يعرف التاريخ الهجري معرفة كافية. **أما بالنسبة للعلماء من غير المسلمين، فلا بأس من اتخاذ التاريخ الميلادي هو الأساس مع ذكر ما يقابله بالتاريخ الهجري.** وبذلك تتحقق الفائدة للجميع.

٢ ــ أما بالنسبة للعلماء المسلمين وغيرهم ممن عاش في كنف الحضارة الإسلامية الوارد ذكرهم في «**الفيصل**»، فهناك **ثابت بن قرة الحراني**، الذي ولد وفقاً لما ورد في المجلة سنة ٨٢٦ م، (والصحيح ٨٣٦ م)، وتوفي سنة ٩٠١ م، وكان حقه أن تؤرخ حياته بالتقويم الهجري بين سنة ٢٢١ هـ ــ ٢٨٨ هـ، ومثله **عباس بن فرناس** المتوفى سنة ٨٨٧ م، وهي تقابل ٢٧٤ هـ، وكذلك **الحسن المراكشي** الرياضي، وقد عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، الذي يقابل القرن السابع الهجري، ومثله **أبو الحسن القصادي** (الصحيح القلصادي) صاحب المؤلفات العديدة في الحساب والجبر، وقد عاش في القرن الخامس عشر الميلادي، الذي يقابل القرن التاسع الهجري. والحقيقة أن تاريخ حياة القلصادي معروف، وهو ٨١٥ ــ ٨٩١ هـ، (أي ١٤١٢ ــ ١٤٨٦ م). وقد كان من اللازم ذكر هذه التواريخ جميعها بالتقويم الهجري، وهو أمر هين يسير.

٣ ــ وعلاوة على ما تقدم، فقد وقعت بعض الأخطاء في تواريخ وفيات اثنين من العلماء البارزين، **هما جابر بن حيان** الذي ذكرت المجلة أنه توفي في سنة ٥٦٠ م!! ولو أخذنا بهذا التاريخ لصارت وفاة هذا العالم المسلم قبل ولادة **النبي (صلى الله عليه وسلم)** بعشر سنوات!!. ولو قلنا إن المقصود هو التاريخ الهجري، لكان ذلك خطأ أيضاً، لأن جابراً هذا توفي في سنة ١٩٨ هـ، والشخص الثاني هو **الخوارزمي** الذي ذكرت «الفيصل» أنه توفي في سنة ٨٤٦ هـ!! وهذا خطأ واضح لأن الخوارزمي توفي في سنة ٢٥٩ هـ، التي تقابل سنة ٨٧٣ م، أي إن سنة ٨٤٦ هـ، لا تصح حتى لو اعتبرناها بالتقويم الميلادي!!.

٤ ــ أسماء بعض المخترعين المسلمين لم ترد كاملة في المجلة، فالحسن المراكشي اسمه الحسن بن علي بن عمر، والخوارزمي (أبو عبد الله بن موسى)، اسمه محمد بن موسى، وأبو الحسن القصادي (وصحيحه القلصادي كما أسلفنا) هو علي بن محمد القرشي. وقد كان من الضروري إيراد تلك الأسماء كاملة ليتمكن القارئ من التعرف على أصحابها.

٥ ــ ولغرض جعل هذا الباب (أي دائرة المعارف) أكثر فائدة للقراء، أرى من المفيد تذييل كل فقرة من فقراتها بذكر مرجع واحد، ليتسنى لمن يريد الاستزادة عن تلك الفقرات أن يرجع إلى مراجعها. ولقد وجدت تراجم لهؤلاء العلماء جميعاً في «**معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة**، ما عدا واحداً هو «عباس بن فرناس» الذي وجدت ترجمة ضافية له في **كتاب «الأعلام» للمرحوم خير الدين الزركلي**. وكان كافياً للمجلة أن تذكر هذين المرجعين تنويراً للقراء.

وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام.

الدكتور سامي الصقار
الأستاذ في قسم التاريخ
بجامعة الملك سعود ــ الرياض

● **المجلة**: نشكر للدكتور سامي الصقار ملاحظاته القيمة .. ونأمل أن يعبر كتَّاب دوائر المعارف هذه الملاحظات لأهميتها .. والله الموفق.



مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي:

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

د ـ إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي).

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل واحدة منها اشتراك مجاني لمدة عام في مجلة «الفيصل» لكل فائز.

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة.. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص.ب (٣) المسابقة).
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة.



• الأسئلة •

السؤال الأول:

شاعر عربي فاز أخيراً بجائزة «وسام باريس» العالمية.. له ديوانا شعر.. ما اسم هذا الشاعر.. وما اسم كل ديوان من ديوانيه؟

السؤال الثاني:

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية:
أخلاق العلماء ـ وحي الصحراء ـ الإفصاح ـ المفصل في صنعة الإعراب.

السؤال الثالث:

للدلالة على انطفاء النار نستعمل (خبت ـ خمدت ـ همدت ـ طفئت ـ وانطفأت) ما المعنى الذي تشتمل عليه كل لفظة؟

السؤال الرابع:

ما اسم أول بلد عرف التدليك الرياضي.. ومتى؟

السؤال الخامس:

مسلتا «طوبزاوة» و«كيلة شين» من المسلات التاريخية.. أين توجدا.. وما اسم مكتشف كل منها؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١٠٤)

الاسم: ------------------------------------

المهنة: ------------------------------------

العنوان: ------------------------------------

● نتيجة مسابقة العدد (٩٧) ●

● فازت **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي، الأخت **سهير توفيق فرج الله**، المنوفية ـ **مصر**.

● وفازت **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي، الأخت **نجلاء بنت محمد الطيب مرزوق**، طبربة ـ **تونس**.

● وفاز **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي، الأخ **يوسف حسن حمود**، قرية الجربا، دوما، دمشق ـ **سورية**.

وهناك **سبع جوائز**، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **الجزائر** ـ باتنة، الأخت **قوده أم هاني**.

● من **العراق** ـ بغداد، حي الكفاح، الأخ **نور الدين ياسين خضر**.

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الظهران، جامعة البترول والمعادن ص ب (٦١٥٠)، الأخ **فهد عبد الله محمد الخبراء**.

● من **المغرب** ـ الدار البيضاء، الأخت **السلمي سناء متوكل**.

● من **السودان** ـ الدلنج، الأخت **مستورة علي أحمد الطيب**.

● من **الأردن** ـ عمّان، ص.ب (٣٧)، البنك المركزي، الأخ **محمد علي أبو غنيم**.

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الهفوف، الأخت **حكيمة علي العبد الوهاب**.

بالإضافة إلى **عشر جوائز**، قيمة كل واحدة منها اشتراك مجاني لمدة عام في مجلة «الفيصل»، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **قطر** ـ الدوحة، ص.ب (١٤٠٤٣٨)، الأخ **عبد العزيز محمد عبد الكريم**.

● من **الجزائر** ـ ولاية المدية، بلدية قصر البخاري، الأخ **موهوبي جمال**.

● من **الولايات المتحدة الأمريكية** ـ ولاية متشجان، مدينة أناربر، الأخت **سعاد عبد اللطيف المكينزي**.

● من **اليمن** ـ صنعاء، ص.ب (١١٣٩٢)، الأخ **عبد العزيز صالح مبارك شرهان**.

● من **سورية** ـ دمشق، الأخت **صبيحة جمال الدين كون**.

● من **مصر** ـ الإسكندرية، سموحة، شركة النقل والهندسة، الأخ **عبد الحافظ عبد الرحمن علي**.

● من **الكويت** ـ ص.ب (٥٨٢٣٢)، الأخ **بشار عبد الله قباني**.

● من **السودان** ـ جبيت، اللواء ٦١ دفاع جوي، الكتيبة ٩٤١، الأخ **أحمد الشريف عيسى**.

● من **المغرب** ـ الرباط، الدرك الملكي، الأخ **لقصير أحمد**.

● من **اليونان** ـ أثينا، ١٧ شارع أومبرو، الأخ **عبد السلام محمد**.

● أجوبة مسابقة العدد (٩٧) ●

ج ١ قدمت المجلة في باب (مدينة وتاريخ) ست مدن إسلامية وعربية، خلال عامها المنصرم «من العدد (٨٥) إلى العدد (٩٦)».. هي: الدمام.. القلعة ـ دكا.. مدينة الألف مسجد ـ دومة الجندل.. التاريخ والمارد ـ أرواد.. درة البحر ـ أربيل.. مدينة الشمس ـ تبوك أو قلعة أصحاب الأيكة.

ج ٢ وقدمت في باب (في بلاد الله) خلال الفترة نفسها ستاً من بلدان العالم: مدينة الهانزالاند ـ أيرلندا.. جزيرة الأحلام ـ الآثار الإسلامية في قبرص ـ عروس البحر.. وأحلام السندباد ـ تنومة بني شهر ـ سلطنة بروناي.. القادم السعيد.

ج ٣ ونشرت خلال باب (رحلة في كتاب) عرضاً تحليلياً لاثني عشر كتاباً صدرت بلغات أجنبية.. وللفترة نفسها، من هذه الكتب: مدخل للدراسات الأدبية المقارنة، تأليف س. س بروور ـ كيف بدأت الاتصالات في الخليج؟ تأليف هيوج بارتي كنج ـ الاقتصاد العالمي منذ عام ١٩٤٥م، تأليف د. و. م. سكامل ـ سجناء القلق، تأليف بروست راسيت ـ هيرمان هيسه (سيرة مصورة)، إعداد: فولكر ميتشلز ـ رحلة العمر، تأليف إنيس كاتياتي.

ج ٤ ومن الأبواب الأخرى نشرت المجلة:

● (لوحة وفنان)، من إعداد سمير ظريف، قدمت من خلاله اثني عشر فناناً لاثنتي عشرة لوحة.. منها: تاريخ وحضارة (ناصر الموسى) ـ طريق مكة ـ جدة (يوسف جاها) ـ قرية (حمزة عبد الرحمن باجودة) ـ الحمّال (عادل عباس جاد الله) ـ الليل والنهار (سعد المسعري) ـ تجريد (جاكسون بولوك) ـ صلاة الفجر (هابينس).

● (دائرة المعارف)، قدمت من خلالها اثنتي عشرة دائرة معارف.. منها: أوائل ـ قبائل العرب ـ الرياضيات ـ تراث الغرب ـ من روّاد العلم ـ مدن وأماكن إفريقية ـ كيمياء جسم الإنسان ـ مخترعون.

● (من عادات الشعوب)، قدمت من خلاله أربعة بلدان تناولت فيها بعض الظواهر والتقاليد الاجتماعية والإنسانية لدى شعوب تلك البلدان: آكلوا لحوم البشر (نبيل جهمي) ـ يدفنون الميت مرتين (عبد الرحمن حريتاني) ـ عرس في سفح قلعة حلب (د. عمر الدقاق) ـ قبيلة الأباش الهندية (من إعداد المجلة).

● (لقاء مع)، قدمت المجلة من خلاله اثني عشر مفكراً عربياً أو أجنبياً ناقشت معهم عدداً من القضايا الفكرية، منهم الشاعر



● أجوبة مسابقة العدد (٩٧) ●

حسين عرب ــ إبراهيم الحضراني ــ د. الشيخ سيد آزاد ــ برنار هنري ليفي ــ الشيخ حسين مخلوف ــ فاروق شوشة ــ د. كمال أبو ديب ــ مارجريت يورستار.

● (من المكتبة السعودية)، قدمت من خلاله حوالي خمسة وثلاثين كتاباً لمؤلفين سعوديين.. من هذه الكتب: صور من التاريخ (الفريق يحيى عبد الله المعلمي) ــ واستوت على الجودي «شعر» (د. أسامة عبد الرحمن) ــ ملامح وصور شعرية (د. عزت عبد المجيد خطاب) ــ مناوشات أدبية (علي محمد العمير) ــ غداً أنسى (د. أمل محمد شطا) ــ التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية (حسن عبد الله آل الشيخ) ــ النبات في عسير (محمد حسن غريب الألمعي) ــ كاتب الحي (د. محمد عبد الرحمن الشامخ) ــ النساء والحب (خليل إبراهيم الفزيع) ــ أوراق مطوية (أحمد السباعي) ــ حوار وصدى (عبد الله عبد الرحمن جفري) ــ الحكاية تبدأ هكذا «مجموعة قصص» (محمد علوان).

● (موضوع خاص)، قدمت من خلاله اثني عشر موضوعاً.. منها: القمر الصناعي الإسلامي (د. فاروق الباز) ــ الخفاش.. أو مصاص الدماء (محمد أدهم السيد) ــ السفن وركوب البحر (محمد فكري أنور) ــ رحلة إلى النجوم (هشام أبو عودة) ــ هالة الشمس النشيطة (عدنان عضيمة) ــ العلم.. وأفيون المخ الطبيعي (د. سامي عزيز) ــ إنهم يزرعون الكبد (عبد الرحمن حريتاني) ــ السفر عبر الزمن (هشام أبو عودة).

ج ٥ سؤال هذا الجواب كان عاماً لاستطلاع رأي قراء المجلة في أبوابها، وما يودون تقديمه من أبواب، والموضوعات والاستطلاعات التي يرغبون أن تقوم المجلة بنشرها. وقد اقترح الكثير من القراء نشر استطلاعات وموضوعات سبق للمجلة أن نشرت عنها. أما فيما يتعلق باقتراحاتهم إدخال أبواب جديدة، فسوف تقوم المجلة بدراسة إمكانية تحقيقها إن شاء الله. وشكراً للقراء على اقتراحاتهم وآرائهم الجيدة.



مع الأصدقاء

لنا بعض الملاحظات حول عدد من كتاب مجلة «الفيصل»، ونخص منهم بالذات أصحاب **الموضوعات الخاصة والموضوعات العلمية** التي لها علاقة بالنجوم والكواكب والأرض والأقمار الصناعية وكافة الحواس وأعضاء جسم الإنسان أمثال: **عبد الرحمن حريتاني، د. عبد المحسن صالح، د. مهندس شعبان وأخوه، هشام أبو عودة**، وغيرهم، والملاحظ:

أن كافة الموضوعات التي نشرت لهؤلاء الكتاب لم تذكر المصادر والمراجع والموسوعات التي استمدوا منها المعلومات باستثناء عدد ضئيل جداً علماً بأن مثل هذه الموضوعات وبدون أي شك مستمدة ١٠٠٪ من موسوعات وحوليات أجنبية مختصة بمثل هذه الموضوعات، نأمل من المجلة أن لا تقبل أية موضوعات دون أن يذكر أصحابها المراجع التي اعتمدوا عليها.

رحلة في كتاب،

السؤال: إذا كان عارض ومقدم الكتاب هو نفسه مترجمه فلماذا لا تذكروا ذلك؟ وإذا كان مقدم الكتاب ليس مترجمه، فعليه وفي سبيل الأمانة العلمية والأدبية والخلقية أن يذكر أنه مترجم الكتاب.

والذي نعتقده من خلال مطالعة العدد الأول وحتى الأخير أن مقدم وعارض وملخص الكتاب هو مترجمه وناقله إلى العربية.

هذا النقد موجه لبعض الكتاب.. وليس للمجلة نهائياً.

مع تحياتنا.

رقية صالح طه
دمشق ــ سورية

● **المجلة**: المعروف أنه بالنسبة للموضوعات العلمية يستمد كتاب المجلة معلوماتهم من الدوريات والمجلات الصادرة بلغات غير عربية.. وبعض هذه المعلومات قد تكون مترجمة بالنص، إلا أن بعضها يكتفي الكاتب بأخذ المعلومات ثم يصوغها بأسلوبه الخاص من خلال توظيفه لها، وتطويعها لموضوعه.. ومن الأفضل ذكر المراجع إلا أنه ليس مطلباً في كل الأحيان على أساس أن أغلب القراء لا يعرفون لغات أجنبية.. والمهتمون المختصون بهذه القضايا يطلعون على هذه الدوريات مباشرة، أما بالنسبة لباب «رحلة في كتاب» فالكتب التي تقدم من خلال هذا الباب لم تترجم إلى العربية، ودور الكتاب هو عرض محتويات هذه الكتب وتعريف القارئ العربي بها خاصة الذين لا يجيدون غير العربية.. وعرض الكتب يختلف عن الترجمة.



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة.. وندوات.. ومؤتمرات.. ومعارض.. ومناسبات.. وأحداث ثقافية.. وادبية.. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية.. والتربوية.. والفنية.. الى جانب الأدباء.. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء.. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا. والله الموفق **

في الوطن العربي

- كاتب سعودي يفوز بجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- أمسيات شعرية ومعارض فنية.
- جامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية تفوز بجائزة دولية.
- أخبار متفرقة عن التراث وكتبه.
- وفاة الشيخ أحمد حسن الباقوري والشاعرة سنية صالح.
- صحيفة لبنانية. ومجلة مصرية تصدران حديثاً.

في العالم

- مهرجان للثقافة بدول العالم في باريس. ومهرجان ثقافي خليجي باليابان.
- ندوة عن المرأة المسلمة بأميريكا.
- وفاة الباحث الأميريكي بول فلوري.
- وسام الاستحقاق الإسباني لكاتب عربي من المغرب.
- الآثار الفلسطينية في ألمانيا.






★ د. عبد الله الغذامي ★ ★ د. عبد الحليم عويس ★

السعودية

جوائز مكتب التربية الخليجي

قررت لجنة جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي منح جائزة المكتب **في العلوم الإنسانية لعام ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ، للدكتور عبد الله محمد الغذامي، وهو ناقد وأديب سعودي** يعمل في **جامعة الملك عبد العزيز بجدة** بمرتبة أستاذ مشارك. وقد حصل على الجائزة عن كتابه **«التكفير والخطيئة»**، وتبلغ قيمة الجائزة مائة ألف ريال مع البراءة الخاصة.

كما قررت اللجنة حجب جائزة المكتب في (مجالي التربية والعلوم والتقنية) لنفس العام لعدم توفر الشروط المطلوبة في البحوث المقدمة في هذين المجالين.

الجدير بالذكر أن **جوائز المكتب تمنح في المجالات التالية:**

★ الأدب.

★ العلوم الاجتماعية.

★ العلوم والتقنية.

★ التربية.

وتبلغ قيمة الجائزة لكل مجال من هذه المجالات مائة ألف ريال، وذلك بعد أن أوصت لجنة الجائزة بهذا، حيث كانت قيمتها ثلاثمائة ألف ريال، وكانت تشمل ثلاثة مجالات بدلا من أربعة، إذ كانت جائزتي الأدب والعلوم الاجتماعية مجموعة في جائزة العلوم الإنسانية.

أمسية شعرية

نظم نادي أبها الأدبي أمسية شعرية بقاعة المحاضرات **أحياها الشعراء الشباب:**

★ محمد حسن غريب.

★ علي حسن الشهراني.

★ عبد المحسن يوسف.

★ إبراهيم شحبي.

★ إبراهيم ماطر.

★ محمد مرعي.

وذلك ضمن نشاطات النادي الثقافية لهذا العام، ورغبة في استقطاب الشباب.

حضر الأمسية العديد من المهتمين.

أمسية شعرية

نظمت **عمادة شؤون الطلاب بجامعة الملك سعود أمسية شعرية** أحياها كل من الشاعرين:

★ **الدكتور نذير العظمة.**

★ **الأستاذ مأمون فريز جرار.**

حضرها عدد من المهتمين بالشعر من طلبة وأساتذة.

الحضارة والعمارة بمكة في معرض

تقيم أمانة العاصمة المقدسة خلال هذا الشهر معرضاً شاملاً لأوجه الحضارة والعمارة في مكة المكرمة، خلال الثلاثين عاماً الماضية، وسيتخلل هذا المعرض تقديم برنامج ثقافي يتضمن شرح المراحل الطويلة التي صاحبت تطور العمارة، مع الحفاظ على الطابع الإسلامي المميز بمكة المكرمة.

معرض للإلكترونيات

يقام في جدة أول معرض من نوعه وهو معرض **«السوق السعودي للإلكترونيات والأجهزة السمعية والصوتية»**، وذلك تحت إشراف وتنظيم **الشركة السعودية للمعارض والأسواق الدولية**. هذا وقد جاء تنظيم هذا المعرض نتيجة للأهمية المتزايدة للدور الذي تلعبه هذه الأجهزة في حياة المواطن بشكل عام والسعودي بشكل خاص.

جائزة النخيل العربية

بفضل جهودها المستمرة في المحافظة على النخلة، فقد **حصلت جامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية** على **جائزة (أحسن جهد عربي في مجال النخيل والتمور)**، والمقدمة من **اللجنة القومية العربية للنخيل والتمور**، وهي إحدى اللجان التابعة للاتحاد العربي للصناعات الغذائية.

المعروف أن الجامعة قد قامت بإنشاء مركز لأبحاث النخيل والتمور، هدفت منه إلى تطوير وزراعة وتصنيع وتسويق التمور، وتنفيذ الدورات التدريبية، وتشجيع المهتمين بزراعة النخيل.

كتب جديدة

● **«المختار من مسابقات نادي القصيم الأدبي ببريدة»**، صدر عن **النادي**.

● **«مكة المكرمة ـ تاريخاً وواقعاً»**، كتاب **وثائق صدر عن أمانة العاصمة المقدسة**.

● **«مشكلات الاقتصاد الإسلامي»**، تأليف **الدكتور عبد الحليم عويس**، صدر ضمن سلسلة **«كتاب الشرق الأوسط»** التي تصدر عن **الشركة السعودية للأبحاث والتسويق**.

● **«أخبار التلفزيون»**، تأليف **الدكتور محمد معوض نصر**، صدر عن **جهاز تلفزيون الخليج** ضمن **السلسلة التلفزيونية**.

● **«التبادل التلفزيوني بالأقمار الصناعية»**، تأليف **حمدي قنديل**، صدر عن



★ سنية صالح ★

جهاز تلفزيون الخليج ضمن السلسلة التلفزيونية .

● «محطات أندلسية»، تأليف **محمد حسن قجة**، صدر عن **الدار السعودية للنشر والتوزيع** .

● «من عمر الزمن»، تأليف **أمل عبد الحميد**، صدر عن **دار البلاد** .

عمان

الموسيقى التقليدية في ندوة

تعقد خلال هذا الشهر (أكتوبر) تشرين الأول، بالسلطنة العمانية الندوة الدولية للموسيقى التقليدية، التي يشارك فيها خمسون من كبار الباحثين والموسيقيين وخبراء التراث وأعضاء المجلس الدولي للموسيقى التقليدية .

المغرب

كتب جديدة

● «ودخل الحسن الثاني العيون»، تأليف **عبد القادر الإدريسي**، صدر عن **مطبعة الرسالة بالرباط** .

سورية

وفاة الشاعرة سنيّة صالح

انتقلت إلى رحمة الله تعالى الشاعرة السورية **سنيّة صالح**، وذلك عن خمسين عاماً حيث ولدت عام ١٩٣٥م .

والشاعرة سنيّة صالح هي زوجة الشاعر **محمد الماغوط**، وشقيقة الناقدة **خالدة سعيد** .

من أعمالها الشعرية ثلاثة دواوين شعرية هي :

★ «الزمان الضيق» .

★ «جسر الإعدام» .

★ «قصائد» .

كلمة

الأسطورة والشعر

أصبحت الأسطورة، وبشكل لافت للنظر عند أكثر الشعراء المعاصرين الذين ينخرطون فيما اصطلح على تسميته بحركة الشعر الحر، إحدى المكونات الأساسية في الخطاب الشعري .

وأهمية توظيف الأسطورة شعرياً لا تنبع فقط، من كونها حلية جمالية أو وسيلة من وسائل التزيين حيث يمكن اعتبارها غرضاً بلاغياً جديداً، يضاف إلى قائمة الأدوات والعناصر البلاغية المعروفة، بل أيضاً من كونها تستطيع أن تستوعب التجربة الشعرية وأن تعبر عن مواقف وأبعاد يهدف إليها الشاعر .

وهذه المكونة ـ الأسطورة ـ نجدها قد بدأت تدخل إلى ميدان الشعر في محاولات جد خجولة، مع شعراء المدارس والحركات التي عرفها الأدب العربي خلال بداية هذا القرن . إذ نتلمس جذورها الأولى في بعض الإشارات والتلميحات التي كانت تحفل بها أعمال **مدرسة الديوان، وحركة أبولو**، إلا أن هذه الحركات والمدارس لم تستطع أن تكسب التوظيف الأسطوري بُعْده الممكن .

والأسطورة كبنْية فنية قادرة على التعبير وإبلاغ الأفكار واحتواء مضامين التجربة الشعرية وكذا كلون من الألوان الجمالية للنص الشعري، لم تتبلور إلا مع ظهور حركة الرواد ـ **السياب، ونازك، البياتي** ـ على أن التوظيف الأسطوري عند هؤلاء كان في بدايته غير متمكن من نفسه، مما جعل إنتاجاتهم حافلة بالأساطير أو الرموز الأسطورية إلى حد تبدو معه فعالية النص باهتة . إذ بدا للعيان واضحاً، أن هؤلاء الشعراء في تجاربهم الأولى كانوا عالة على هذا الميدان . وهذا يدل عليه ما كان يعمد إليه الشعراء حيث كانوا يلحقون ويذيلون قصائدهم بهوامش تفسر مضمون الأسطورة الموظفة في النص .

وقد اعتبر العديد من النقاد والدارسين هذا الفعل قصوراً لدى الشعراء في تمثل الأساطير واكتناه مدلولاتها وصياغتها إبداعياً .

غير أن السياب قد استطاع ـ خاصة ـ في ديوان **أنشودة المطر** أن يستلهم المدلول الشعري والسحري والفني وكذا الأيديولوجي الذي يُمكن للأسطورة أن تلعبه من خلال الخطاب . فهناك جملة من قصائده وصلت إلى قمة الإبداع الفني عن طريق التوظيف المتين للأسطورة والمتناغم مع كل المكونات الأخرى المؤسسة للخطاب . فقصيدته أنشودة المطر تُعتبر بحق خير نموذج شعري استطاع السياب من خلاله تدشين مرحلة جديدة في مساره الشعري المعتمد على الأسطورة .

لكن ـ حالياً ـ **نجد من الشباب الذين يودون خوض غمار التجربة الشعرية على شاكلة الرواد، يلقون بأنفسهم وسط الأساطير دون إدراك واع لقيمتها التاريخية والفنية التي يمكن أن تؤديها داخل الإنتاج الشعري** . فهم يريدون احتذاء أثر الرواد بدافع من إعطاء إنتاجاتهم مشروعية وكذا «عصرنة»، وهذا يجعل إنتاجاتهم تعرف هفوات وسطحية تبين عن عدم اكتمال الرؤية الفنية لدى هؤلاء .

فالإنتاج الشعري لا يمكن أن يكون خطاباً إبداعياً إلا بابتعاده عن التقليد ووضوح رؤية صاحبه للعالم ونقل التجربة الشعرية بصدق .

فيلالي أبو عبد العزيز
فاس ـ المغرب

الكويت

كتب جديدة

صدرت الكتب التالية عن شركة كاظمة للنشر بالكويت :






★ د. داود سلوم ★ ★ د. عبد الرحمن ياغي ★

★ «الشعر في الحاضرة العباسية»، تأليف الدكتورة وديعة طه نجم.

★ «شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري»، تأليف الدكتور إبراهيم الخواجة.

★ «قصص شعبية عراقية» جمع وإعداد ي. س. ستيفن، ترجمة الدكتور داود سلوم والدكتور عبد الله المهنا.

★ «شعر الأرض المحتلة في الستينات»، تأليف الدكتور عبد الرحمن ياغي.

★ «في الأدب الفلسطيني الحديث»، تأليف الدكتور عبد الرحمن ياغي.

★ «القضايا القومية في شعر المرأة الفلسطينية»، تأليف هاشم مناع.

★ «الحب والطبيعة في شعر أبي سلمى»، تأليف محمود بركات.

★ «الثقافة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة»، تأليف محمد سعيد مضية.

كما صدرت الكتب التالية عن معهد المخطوطات العربية بالكويت:

★ «مجمل اللغة»، تأليف ابن فارس، تحقيق الشيخ هادي حسن حمودي.

★ «التبصرة في القراءات»، تأليف مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان.

★ «منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان ـ نصوص ودراسة»، تأليف الدكتورة وديعة طه نجم.

★ «إصلاح ما غلط فيه النمري في تفسير أبيات الحماسة»، لأبي محمد الأعرابي الشهير بالأسود الفندجاني، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني.

الجزائر:

معرض للكتاب

سوف يقام في الجزائر معرض الكتاب الدولي الرابع في الفترة من ١٨ ـ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٥ م.. هذا المعرض الذي سوف تشارك فيه العديد من المؤسسات ودور النشر العالمية، وسوف ينتظم في مختلف ولايات القطر الجزائري (٢٣ ولاية) في وقت واحد.

ومن الجدير بالذكر أن الإقبال الكبير الذي لقيه المعرض في السنوات الثلاث الماضية من جماهير القراء في الجزائر يجعل المهتمين يتوقعون إقبالا أكبر على المعرض الرابع الذي سوف يشتمل على آلاف العناوين بعدة لغات.

كتب جديدة

صدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب في

الزاوية الطبية

عيوب الولادة

إن كل اثنين أو ثلاثة أطفال من كل مئة طفل، يولدون بنشوء واضح، لمن شق في الحنك إلى فقدان الدماغ وبعضهم يتعرض لداء «تي ساكس» (Tay Sachs)، والآخر يتعرض لوهن ناتج عن فقر في الدم.

كل هذا له أسباب وراثية واضحة يستطيع الأطباء اكتشافها في الرحم. لكن حتى الأجنة ذات المورثات الكاملة الطبيعية يمكن أن يصيبها التشوه. ومن المحتمل أن يكون مفتاح الحل الصادق بأنه ليست المورثات هي المتهمة الوحيدة في تشوهات الولادة... ويمكن أن نرى ذلك في حالة التوائم.. فيمكن أن يكون أحد الأطفال مشوهاً، بينما الآخر الذي يحمل المورثات نفسها يمكن أن يكون طبيعياً تماماً.

ففي الأسابيع الثمانية الأولى من نمو الجنين تتشكل العيوب والتشوهات. ولقد حدد العلماء ثلاثة عوامل من التشوهات الجهرية كفيروس الحصبة الألمانية، وعوامل فيزيائية كالحرارة والمواد الكيماوية متضمناً ذلك العقاقير.

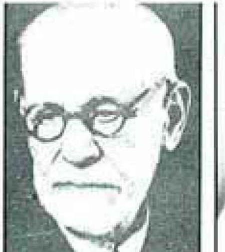
فالكحول مثلاً لا يبدو أنه يؤثر على المورثات إطلاقاً. لكنه يمكن أن يمنع الأجنة من أخذ المواد الغذائية المطلوبة من خلال المشيمة، فالأطفال المتأثرون بالأعراض الكحولية هم متخلفون عقلياً وذوو وجوه مشوهة، ويمكن أن يعزى ذلك إلى عدم استطاعتهم أخذ البروتين الصحيح. وهذه الأعراض تصيب طفلاً واحداً من كل ٧٥٠ طفلاً اعتادت أمهاتهم أن يشربن الكحول بكثرة.

★ الحصبة: بما أن الجنين يستجيب إلى الوراثة المستمدة من الأم، لذلك يكون عرضة لإصابات الأم الفيروسية التي تؤدي إلى ضرر خلايا الأعضاء النامية. والحصبة هي الأكثر شيوعاً، وهذا الفيروس يؤثر على ما يزيد على نسبة ٥٠٪ من أجنة النساء الحوامل اللواتي يتعرضن للعدوى بالحصبة الألمانية، وإذا ما حدث هذا المرض خلال الشهرين الأولين من الحمل، فإن الرئة ستتعرض لخطر السد في عدسة العين والتخلف العقلي وعيوب في القلب.

وهناك إصابة شائعة أخرى وهي فيروس تضخم الخلايا، وهذا ينقل عن طريق الاتصال الجنسي. ويحدث بنسبة ٣٪ عند النساء الحوامل... وهذا يسبب أذى في الدماغ واضطرابات سمعية وتشوهات في الكبد والطحال والرئتين.

★ والمعروف منذ فترة طويلة أن الأشعة تسبب ولادة أطفال برؤوس وأدمغة صغيرة. وظهر الآن بأنه حتى الحرارة يمكنها أن تؤذي الجنين... والأمهات اللواتي يتعرضن لحمى عالية خلال



★ الشيخ بشير الإبراهيمي ★ محمد عبد القادر السائحي ★ سيجموند فرويد ★

الجزائر الكتب التالية:

★ «جواهر الحسان»، تأليف عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق الدكتور عمار الطالبي.

★ «الحج إلى بيت الله الحرام»، تأليف الشيخ عبد الرحمن الجيلالي.

★ «آثار الشيخ بشير الإبراهيمي»، الجزء الرابع.

★ «رائحة الكلب»، رواية، تأليف الجيلالي خلاص.

★ «واحة الهوى»، ديوان شعر، للشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي.

وعن المؤسسة الوطنية للكتاب ـ أيضاً ـ بالاشتراك مع ديوان المطبوعات الجامعية (نشر مشترك)، صدرت الكتب التالية:

★ «علم نفس الشواذ»، تأليف شيلدون كاشدان، ترجمة د. محمد عثمان نجاتي.

★ «الأنا والهو»، تأليف سيجموند فرويد، ترجمة د. محمد عثمان نجاتي.

★ «الكف والعرض والقلق»، تأليف سيجموند فرويد، ترجمة د. محمد عثمان نجاتي.

★ «الاختبارات والمقاييس»، تأليف اليونا تايلور، ترجمة د. سعد عبد الرحمن، مراجعة د. محمد عثمان نجاتي.

★ «الشخصية»، تأليف ريتشارد لازاروس، ترجمة د. سيد محمد غنيم، مراجعة د. محمد عثمان نجاتي.

★ «علم النفس الإكلينيكي»، تأليف جوليان روتر، ترجمة د. عطية محمود مهنا، مراجعة د. محمد عثمان نجاتي.

★ «معالم التحليل النفسي»، ترجمة د. محمد عثمان نجاتي.

★ «التعلم»، تأليف ساروتوف مدنيكو، وهوارد بوليو، واليزابيث لوبتس، ترجمة محمد عماد الدين إسماعيل، مراجعة د. محمد عثمان نجاتي.

★ «إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر»، تأليف فرج محمود فرج.

تونس:

كتب جديدة

● «تعريب التعليم العالي وسياسة الالتحاق به»، صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

● «دليل المناشط الثقافية والتربية

الثامنة عشر يوماً والثلاثين يوماً من بدء الحمل هي أكثر عرضة لإنجاب أطفال بأدمغة متخلفة، أو بدون أدمغة على الإطلاق... وهذا التشوه المميت ينشأ عندما تكون القناة العصبية مسدودة في نهاية الرأس، ويحتمل أن يكون ذلك نتيجة للحرارة التي تقتل الخلايا أو تمنعها من الانقسام.

فكثيراً من المواد الكيماوية الحديثة كالمادة الملونة البرتقالية ومبيدات الحشرات والعقاقير الشائعة، كلها عقاقير مشبوهة... لها علاقة لا تقبل الجدل بعيوب الولادة. فعقار «التاليدوميد» (Thalidomide) يسبب تشوهات في أطراف الأطفال عند كل أم تتناول هذا العقار كمهدئ في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل. وهذا العقار لا يوصف كعلاج...

كذلك فإن العقاقير المضادة للسرطان والعقاقير المانعة للتخثر، التي تتناولها الأمهات خلال الثلاثة أشهر الأولى يمكن أن تؤدي إلى التخلف العقلي وعيوب في العيون والقلب. والأعضاء الجنينية المتأثرة هي الأعضاء التي تتكون أثناء فعالية هذه العقاقير.. فالقلب يأخذ شكله في نفس الوقت الذي يتكون فيه الدماغ. وهذا يمكن لعقار واحد أن [illegible] الاثنين معاً.

كذلك فإن العقاقير والنقص في الفيتامينات يمكن أن تؤدي إلى إصابة الأطفال الذين يولدون بما يسمى بالنخاع الشوكي المشقوق، أي يكون لهم قناة عصبية غير مغلقة في الأسفل، وفي بعض الأحيان يمكن أن يسبب ذلك نتوءاً في الحبل الشوكي من [illegible]، وهذا ما يؤدي إلى شلل في القسم السفلي من الجسم.

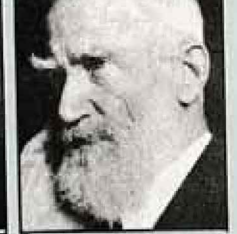
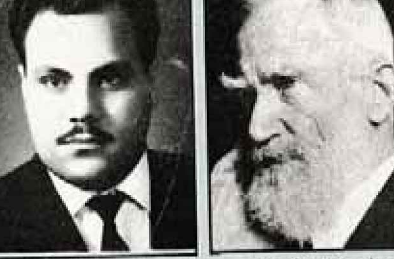
والشيء غير المعروف حتى الآن هو كيفية تأثير العقاقير على عيوب الولادة.

لذلك فإن علماء البيولوجيا يقومون بمزيد من التجارب والأبحاث لمعرفة كيف يمكن للعقاقير أن تعطل الإشارات التي تصل إلى المورثات من المحيط. فالكثير من هذه العقاقير يمكن أن تشوه أشكال الأعضاء المتطورة عند الجنين. وهناك عقاقير أخرى تتدخل بعملية النمو الطبيعي مثلاً، فقد تمنع الأعصاب من الاتصال بشكل سليم بالأنظمة الحسية والفعل المنعكس. وفي الوقت الذي تنقص فيه القدرة عن الخلايا بسبب من نقص في الفيتامينات فإن ذلك يؤدي إلى تلف في حيويتها، ويمكن أن تكون الخلايا ضعيفة لكي تنتقل من الأنف إلى الفم مسببة بذلك شقاً في الحنك، أو تترك فجوات في جدران القلب... وحتى هذه النقطة فإن تنبؤات العلماء تبقى جاهلة عن أسباب نسبة ٧٠٪ من عيوب الولادة.

د. عبد الحكيم عامر سعد الدين
دمشق ـ سورية





★ برنارد شو ★ ★ د. محمود الحاج قاسم ★ ★ أحمد حسن الباقوري ★

غير الصفيّة بالمدارس الثانوية في الوطن العربي »، صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

● «التكامل بين أجهزة الإعلام وأجهزة الثقافة في الوطن العربي»، صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

العراق :

كتب جديدة

● «حكايات كنتري»، تأليف كاظم سعد الدين، صدر عن دار الجاحظ في بغداد ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة.

صدرت الكتب التالية عن دائرة الشؤون الثقافية والنشر بوزارة الثقافة والإعلام:

★ «منطلقات وتوجهات التجربة المسرحية في تونس»، تأليف المنصف وناس، صدر ضمن سلسلة «دراسات».

★ «ملامح الشعر التركماني المعاصر في العراق»، تأليف محمد مردان، صدر ضمن سلسلة «دراسات».

★ «مختصر تاريخ الطب العربي»، جـ ٢، تأليف الدكتور كمال السامرائي، صدر ضمن سلسلة «دراسات».

★ «عبقرية برنارد شو»، تأليف مايكل هولرويد، ترجمة ناجي الحديثي، صدر ضمن سلسلة «الكتب المترجمة».

★ «حديث في العمارة»، تأليف الدكتور خالد السلطاني، صدر ضمن سلسلة «الموسوعة الصغيرة».

● «رسالة الأضداد للمنشي»، تأليف محمد جمال الدين بن بدر الدين المنشي، تحقيق الدكتور محمد حسين آل ياسين، صدر عن دار الفكر العربي للنشر والتوزيع ببغداد.

● «دراسة فنية في شعر الإمام الشافعي»، تأليف حكمت صالح، صدرت في كتاب عن دار الفكر ببغداد.

● «أمراض الطفل المعدية وتلقيحاتها»، تأليف الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، صدر في العراق.

● «ديوان الملك الأمجد»، تحقيق الدكتور ناظم رشيد، صدر عن وزارة الأوقاف العراقية.

مصر :

قضايا فكرية

ذلك هو اسم المجلة الثقافية التي صدرت حديثاً في مصر عن دار الثقافة بالقاهرة تحت إشراف نخبة من النقّاد والمفكرين.

جاءت المجلة في عددها الأول محتوية على أهم القضايا الثقافية الساخنة على الساحة العربية ضمن معالجات نقدية متزنة، وقد دعت المجلة في هذا العدد إلى ضرورة تواصل الحركة الفكرية في العالم العربي وتفاعلها.

جماعة الأدب

مرّ عشرون عاماً على تأسيس «جماعة الأدب العربي بالإسكندرية»، ولهذا الحدث يقام مهرجان أدبي كبير بالإسكندرية يحضره عدد من الأدباء من مختلف المحافظات على مستوى جمهورية مصر العربية.

الجدير بالذكر أن الشاعر «محمد رضا» هو مؤسس الجماعة، لذا، فإن مجلس إدارة الجمعية قد قرر منحه شهادة تقديرية لجهوده في تأسيس الجماعة، ولإسهاماته في الحركة الثقافية في الإسكندرية.

وفاة الباقوري

انتقل إلى رحمة الله تعالى سماحة الشيخ أحمد حسن الباقوري الداعية الإسلامي المعروف.

كان رحمه الله قد خدم الإسلام بالدعوة إليه، وبالتأليف فيه، وبتدريسه، كما تولى وزارة الأوقاف في بلده.

ومن مؤلفاته :

★ «أثر القرآن الكريم في اللغة العربية».

★ «صفوة السيرة المحمدية».

★ «عروبة ودين».

★ «العودة إلى الإيمان».

★ «في علم الصيد».

★ «القرآن مأدبة الله للعالمين».

★ «مع الصائمين».

★ «مع القرآن».

تلك المؤلفات التي كانت تنم عن روح إسلامية خالصة، فقد كان واسع الأفق، كبير العقل، قادر على فقه الإسلام باعتباره الدين الصحيح.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كتب جديدة

● «شعاع هرب من الشمس»، رواية تأليف سمير رمزي المنزلاوي، صدرت عن الإبداع العربي.

● «الدنيا والإنسان»، للشاعر سيد الموصي، صدر بالقاهرة.

● «المغناطيس»، مسرحية، تأليف نعمان عاشور صدرت عن هيئة الكتاب ضمن سلسلة «الإبداع العربي».

● «الجيل الضائع»، رواية، تأليف الدكتور نبيل راغب، صدرت في القاهرة.



★ أحمد فؤاد نجم ★

لبنان :

جائزة المعهد الإسباني العربي

حصلت السيدة فاطمة الحاج أستاذة معهد الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية على **جائزة المعهد الإسباني العربي للثقافة البالغ قدرها ٢٠٠ ألف بيزيتا** ، وذلك إثر فوزها **بجائزة بيكاسو للرسامين العرب** .

الجدير بالذكر أن الجائزة كانت نتيجة لمسابقة نظمها المعهد بالتعاون مع المديرية العامة للعلاقات الثقافية في **وزارة الخارجية الإسبانية** تكريماً **لبيكاسو وخوان ميرو** ، وذلك في إطار تكريم الفنان الإسباني وفتح آفاق ثقافية جديدة له في التعاون مع العالم العربي ، حيث شارك فيها فنانون من ١٢ دولة عربية قدموا خلالها عدداً من اللوحات الفنية .

الجمهورية

ذلك هو اسم صحيفة لبنانية جديدة ، برأس تحريرها « **إلياس المير** » .

صدر عددها الأول مؤكداً حيادها عن أي حزب أو تجمع ، وإنما هي صحيفة لها حريتها واستقلالها ، تدافع عن الحق وعن القضية اللبنانية وعن بقاء لبنان جمهورية .

كتب جديدة

● « **المرادفات** » ، معجم ألفه **عبد العزيز محمد الذكير** ، صدر عن **المؤسسة اللبنانية للنشر والتوزيع ببيروت** .

صدرت الكتب التالية عن **مركز الكتب الثقافية ببيروت :**

★ « **دراسات في علم الاجتماع ــ** نظريات وتطبيقات » ، تأليف **الدكتور محمد عاطف غيث** .

★ « **أسس علم الاجتماع** » ، تأليف **الدكتور محمود عودة** .

★ « **قضايا علم الاجتماع المعاصر** » ، تأليف **الدكتور علي عبد الرزاق جلبي** .

★ « **علم اجتماع السكان** » ، تأليف **الدكتور علي عبد الرزاق جلبي** .

★ « **دراسات في علم الاجتماع القروي** » ، تأليف **الدكتور محمد عاطف غيث** .

★ « **الأسرة والحياة العائلية** » ، تأليف **الدكتورة سناء الخولي** .

★ « **الزواج والعلاقات الأسرية** » ، تأليف **الدكتورة سناء الخولي** .

★ « **المرأة والحياة الاجتماعية في الإسلام** » ، تأليف **تغاريد بيضون** .

★ « **دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية** » ، تأليف **الدكتور علي عبد الرزاق جلبي** .

★ « **مستوى الطموح والشخصية** » ، تأليف **الدكتورة كاميليا عبد الفتاح** .

● « **مذهب للسيف ومذهب للحب ــ رؤية نقدية جديدة** لأدب نجيب محفوظ » ، تأليف **شاكر النابلسي** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت** .

● « **أهيم شوقاً** » ، **مجموعة شعرية للشاعر أحمد فؤاد نجم** ، صدر عن **دار الوعي البيروتية ببيروت** .



محاضرات

● « **التحضر ... والجريمة** » ، **محاضرة** ألقاها **الدكتور محمد عبد الله الحماد بالمركز العربي للدراسات الأمنية** .

● « **اللغة في أزمة الفكر العربي المعاصر** » ، **محاضرة** ألقاها **الدكتور حسن ظاظا بنادي جدة الأدبي** .

● « **التي المدمم** » ، **محاضرة** ألقاها **الدكتور محمود عالم بمستشفى الملك فهد بتبوك** .

● « **المسرح العربي الكويتي والواقع التاريخي والفني لمسيرة الحركة** المسرحية في الكويت » ، **محاضرة** ألقاها **الدكتور محمد المبارك بالجامعة الأردنية بعمّان** .

● « **انطباعات عن سورية** » ، **محاضرة** ألقاها **السفير إيغور لوكاس** ، وذلك في **بال مال في لندن** .

● « **الحكمة الاقتصادية لقواعد التبادل والمعارضة في الشريعة** » ، **محاضرة** ألقاها **الدكتور محمد الزرقاء بالبنك الإسلامي للتنمية بجدة** .

● « **أهمية دراسة أبحاث ديناميكية التبول لمعرفة سبب السلس البولي** في بعض حالات استئصال البروستات » ، **محاضرة** ألقاها **الدكتور إبراهيم راجي عباس** .

● « **تعليل الأسماء** » ، **محاضرة** ألقاها **الدكتور محمد حسن جبل بجامعة أم القرى بمكة المكرمة** .

● « **الغزو الثقافي الفكري أخطر سلاح مدمر** » ، **محاضرة** ألقاها **الدكتور محمد علي الصابوني برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة** .



فرنسا :

مهرجان للثقافة بدول العالم

قامت وزارة التعاون والتنمية الفرنسية بتنظيم مهرجان للثقافة بدول العالم الثالث في باريس، وذلك في إطار التعاون والحوار بين دول **الشمال والجنوب**.

تضمن المهرجان عدة فعاليات منها :

★ رقصات شعبية .

★ نشاطات فنية وثقافية تتميّز بها دول العالم الثالث بما لها من زخم ثقافي شعبي .

★ عقد ندوات وحوارات بين الشباب المشاركين .

إلى غير ذلك من النشاطات التي تضمنها المهرجان .

لقاء تشكيلي لدول المتوسط

يعقد خلال هذا الشهر (أكتوبر) تشرين الأول، وفي السادس عشر منه **لقاء ثقافي تنظمه جمعية تنمية وتحقيق التبادلات الثقافية والفنية لحوض البحر الأبيض المتوسط** (إيكوم)، وهو لقاء يهم بعطاءات المبدعين الشباب في الفنون التشكيلية بدول البحر المتوسط .

يتخلل اللقاء الذي سيستمر إلى الخامس والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ندوة يشارك فيها أساتذة تشكيليون ونقّاد ومؤرخون واجتماعيون، وذلك بمدينة (مرسيليا) الفرنسية .

كومباكت

اسم مجلة شهرية جديدة صدرت في باريس، وهي خاصة بالأسطوانات التي تعمل على طريقة أشعة الليزر .

وقد جاءت المجلة في عددها الأول محتوية على تحليل دقيق لكل ما هو جديد في عالم الأسطوانات، وعلى مقالات نقدية لبعض الأعمال التي على هذه الأسطوانات .

أحدث الكتب

● **«السيراميك الإسلامي»، تأليف جون سوستال، صدر عن دار فيلو الفرنسية .**

● **«أشعار من العالم أجمع ـ أنطولوجيا شعراء العالم من هوميروس إلى الآن»**، تأليف **بيار موري**، صدر عن **دار مارابوت بباريس .**

● **«الإسلام والغرب في مواجهة الأزمة»**، تأليف **جيل بستالي**، صدر في **باريس .**

بولندا :

مهرجان ثقافي عربي

أقيم في العاصمة البولندية مهرجان للثقافة العربية نظمته **ثلاث جمعيات عربية بولندية**، إذ تضمن ذلك المهرجان :

★ حفلات موسيقية .

★ عروضاً سينمائية .

★ أفلاماً تتحدث عن التغييرات الاجتماعية والثقافية في الدول العربية .

★ معرضاً للكتب .

★ مهرجاناً شعرياً .

والجمعيات التي نظمت المهرجان هي :

● جمعية الصداقة العربية البولندية .

● جمعية الصداقة الليبية البولندية .

● جمعية الصداقة البولندية المغربية .

ألمانيا الشرقية :

الآثار الفلسطينية في متحف

عرضت آثار فلسطينية يرجع تاريخها إلى ألفين، أو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد بمتحف برلين للشرق الأوسط، وذلك خلال شهر سبتمبر (أيلول) من هذا العام .

وتشمل المعروضات التي في هذا المتحف على :

★ سفن من الحديد والبرونز .

★ عدد من الأدوات والوسائل التي تم جمعها بصفة أساسية من مقتنيات المتحف .

اليابان :

مهرجان ثقافي خليجي

أقيم في اليابان خلال شهر سبتمبر (أيلول) من هذا العام ١٩٨٥م، **المهرجان الثقافي الأول لشباب مجلس التعاون الخليجي** كان من ضمن فعالياته :

★ إلقاء المحاضرات .

★ إقامة عدة معارض فنية وتشكيلية .

★ ندوات ثقافية .

★ لقاءات شبابية .

وذلك بهدف التعريف بدول الخليج وثقافتها وبعدها الحضاري .

ألمانيا :

متحف للفن التشكيلي

افتتح في مدينة كولونيا متحف خصص لأعمال الرسامة كاته كولفيتس ،

وذلك بمناسبة مرور ٤٠ سنة على وفاتها.

يضم المتحف حوالي مائة لوحة، وستين صورة صغيرة، وخمس عشرة قطعة من الفن التشكيلي الذي اشتهرت به هذه الفنانة.

المعروف أن هذه الفنانة قد ولدت عام ١٨٦٧م، وتوفيت عام ١٩٤٥م، وقد كانت عضوة بارزة في أكاديمية الفنون الجميلة، أما عن رسومها، فقد اشتهرت بأسلوبها الفني المميّز، ولوحاتها المعبّرة التي تعكس الحياة، خاصة حياة المواطنين العاديين والفقراء.

معرض عن الرياض

أقيم في مدينة «كولون» الألمانية الغربية معرض عن عاصمة المملكة العربية السعودية تحت عنوان **«الرياض أمس واليوم»**، وذلك تحت إشراف أمانة مدينة الرياض والهيئة العليا لتطوير الرياض، وسفارة جلالة الملك بألمانيا الغربية.

ضم المعرض عدة أجنحة منها:

★ **جناح الملك عبد العزيز**، حيث يضم صورة كبيرة له، وسيفه، ونموذجاً لبيته القديم والجديد.

★ **جناح بيوت الشعر وبيوت الطين**، وقد ضم كل جزء منها الفرش المناسب له حتى رمال الصحراء في بيوت الشعر.

★ **صالة العرض بالفيديو والليزر**، حيث عرض فيها ما يتعلق بالرياض من الأفلام.

★ **جناح الفنون التشكيلية**، عرضت فيه حوالي (٨٠) لوحة لعدد من الفنانين السعوديين الذين تمثل أعمالهم بيئة الرياض.

★ **جناح الخطوط السعودية**، وشمل صوراً عن إنجازاتها، وصوراً من مختلف مدن المملكة العربية السعودية وتراثها.

★ **جناح ضم المجسمات الخاصة بالطرق والجامعات، ومشاريع الإسكان والحدائق**



رسائل جامعية

●● **«دراسات على بعض الفطريات المحبة للضغوط الأزموزية العالية»**، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد **إدريس منير مصطفى**.

●● **«قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري»**، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها السيد **عبد القادر عبد الحميد زيدان**.

●● **«دراسة تحليلية لتكلفة الطالب الجامعي»**، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها السيد **أحمد محاشن**.

●● **«تحقيق الجزءين الأخيرين ـ التاسع والعشرين والثلاثين ـ من «تفسير تلخيص تبصرة المتذكر، وتذكرة المتبصر»**، لأبي العباس **أحمد بن يوسف الكواشي**، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها السيد **صالح ناصر السلمان الناصر**.

●● **«ديوان القيراطي»**، دراسة ونقد، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها السيد **عبد الرحمن محمد المنقري**.

●● **«إخصاب بويضة حيوان الهامستر بواسطة الحيوان المنوي لمرضى العقم»**، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بمصر، تقدم بها السيد **سامي أمين حمدي**.

●● **«الفروق الريفية والحضرية لعناصر التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية** ـ دراسة مقارنة بين مدينة جدة ومنطقة الباحة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية آداب جامعة الإسكندرية، تقدم بها السيد **سعيد فالح عبد الله الغامدي**.

●● **«التفسير بالرأي في القرن الثاني الهجري»**، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها السيد **عبد الرحمن بن صالح الشبل**.

●● **«الأنماط النحوية للجملة الاسمية في العربية»**، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بمعهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد **محمد العيد رتيمة**.

●● **«النقود والتمويل في الجزائر ـ تحليل المتغيرات وأثرها على كيفية تمويل الاستثمارات»**، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بمعهد العلوم الاقتصادية بجامعة الجزائر، تقدم بها السيد **مراد قوميري**.

●● **«نظرية تشومسكي وتطبيقاتها في اللغة العربية»**، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالمعهد الوطني للتعليم العالي للغة والأدب العربي بجامعة تيزي وزو، تقدم بها السيد **عبد الرزاق دراري**.

●● **«الدفاع الشرعي في قانون العقوبات الجزائري»**، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الجزائر، تقدمت بها السيدة **إبراهيمي الزهراء**.



والمستشفيات والعمران .

وقد حظي المعرض باهتمام كبير من قبل وسائل الإعلام الألمانية ، والجمهور الألماني ، وكان لذلك الصدى ، أن بلغ زوار المعرض ٢٥٠,٠٠٠ زائر خلال أيام العرض .

الجدير بالذكر أن المعرض قد أقيم خلال شهر سبتمبر (أيلول) من هذا العام ١٩٨٥ م ، وقد انتقل في مدن ألمانية أخرى مثل شتوتجارت ودوسلدروف .

أمريكا :

ندوة عن المرأة المسلمة

تحت رعاية المعهد الأمريكي للشؤون الإسلامية وجامعة بولينغ غرين في أوهايو ، أقيمت **ندوة** عن « **المرأة في الإسلام** » ، وذلك بقاعة المركز الإسلامي بمدينة توليدو .

وكان الهدف الأساسي من إقامة الندوة التي أحياها عدد من المسؤولين عن المراكز الإسلامية هناك ، كشف النقاب عن المعلومات الخاطئة والمشوهة المتعلقة بوضع المرأة المسلمة وهي معلومات لا زال يرددها أعداء الإسلام في العالم الغربي .

كتاب عن الشيعة

يقوم الدكتور أغسطس نورتون ، الأستاذ بالأكاديمية العسكرية في وست بوينت بإعداد **دراسة متعمقة عن حركة الشيعة في العالم العربي** ، وذلك انطلاقاً من العنوان المقترح « حركة أمل والشيعة في لبنان » ، وسيصدر عن **جامعة تكساس** .

الجدير بالذكر أن نورتون له مجموعة من المؤلفات عن لبنان والحركات الدولية ، وعن علاقة موسكو والفلسطينيين ، وهو يعمل مستشاراً للإدارة الأمريكية في المواضيع المتعلقة بالنشاطات السياسية في منطقة الخليج والشرق الأوسط .

وفاة بول فلوري

توفي الباحث الأميركي (بول فلوري) والحائز على جائزة نوبل للسلام في الكيمياء عام ١٩٧٤ م ، وذلك إثر إصابته بنوبة قلبية عن عمر يناهز الخامسة والسبعين قضى معظمها في البحث لصالح حقوق الإنسانية .

المعروف أن بول فلوري قد أحدث بأبحاثه ثورة في العالم في مجال الكيمياء ، وذلك باكتشافه وسيلة للمقارنة بين المركبات الكيميائية المكثفة ومجموعات طويلة من الذرات أو الجزئيات الصغيرة المترابطة فيما بينها .

اسبوع ثقافي مغربي

اقيم في مدينة « دوك » الأمريكية أسبوع ثقافي مغربي اشتمل على :

★ معرض للفنون التشكيلية المغربية .

★ عروض للأزياء المغربية التقليدية .

★ سهرات شعبية وموسيقية .

وذلك خلال الفترة من ٧ ــ ١٣ من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ م .

الجدير بالذكر أن هذا الأسبوع قد جاء في إطار الإعداد للمهرجان العالمي للموسيقى الذي سيقام في مدينة « **مراكش** » في شهر يوليو (تموز) من العام المقبل ، حيث نظم هذا الأسبوع تحت إشراف وتنظيم لجنة مهرجان الموسيقى .

أحدث الكتب

● « **الشمس المشرقة ... ووحوش البحر** » ، بقلم **الكاتب بول بتروكس** ، صدر في **نيويورك** .

● « **أصدقاء في حياتي** » ، بقلم **الروائية جوليا ماركوس** ، صدر في **نيويورك** .

إيطاليا :

معرض عن الآثار العربية

أقام معظم الفنانين التشكيليين والرسامين العرب المتخرجين من مدارس إيطاليا الفنية معرضاً لهم في **قصر فينيسيا الإيطالي** ، حيث شارك فيه حوالي ٥٠ رساماً عربياً من كافة مدارس الفن ، ومن دول عربية متعددة .

حضر هذا المعرض الذي أوضح الرسامون في لوحاته الآثار العربية عدد من النقّاد الإيطاليين والمهتمين بهذا اللون .

أسبانيا :

وسام لكاتب مغربي

منحت الحكومة الإسبانية وسام الاستحقاق الفكري الإسباني للكاتب والأديب المغربي محمد الصباغ رئيس تحرير مجلة (المناهل) التي تصدرها وزارة الشؤون الثقافية المغربية ، وذلك تقديراً لمساهمته في الأدب الإسباني ، حيث صدرت له أعمال أدبية بالإسبانية ، وترجمت له أعمال أخرى إلى الإسبانية ، وترجم أعمالا أدبية من الإسبانية إلى العربية .

والكاتب الصباغ من الكتّاب والأدباء المغاربة المعروفين بحضورهم في المغرب وإسبانيا وأمريكا .

مدير جديد لمعهد الدراسات الإسلامية

تم تعيين الدكتور سيد حنفي حسنين أستاذ الأدب ووكيل كلية الآداب بجامعة القاهرة ، **مستشاراً ثقافياً لمصر ومديراً لمعهد الدراسات الإسلامية بمدريد** خلفاً **للدكتور صلاح فضل** .

والدكتور حنفي أحد المتخصصين في الحضارة العربية والأدب العربي ، وله إسهامات علمية متعددة في هذا المجال .

أما عن المعهد ، فيعتبر نقطة التقاء بين الحضارة العربية والإسلامية والحضارة الغربية ، ويسهم بشكل كبير في التعريف بثقافتنا الرائدة عبر التاريخ .

يوغسلافيا :

أحدث الكتب

● «**طروادة على ساحل الأدرياتيكي**» ، تأليف **الأثري المكسيكي رومبيرتو سالياتس** ، صدر في **بلغراد** .

بريطانيا :

أحدث الكتب

صدرت الكتب التالية عن شركة فريمن المحدودة للنشر في فرعيها بسان فرانسيسكو وأكسفورد :

★ «**تطور الإنسان من الجنين إلى المراهقة**» ، تأليف **كورت فيشر وأرلين لازيرسون** .

★ «**الحيوانات الاجتماعية**» ، طبعة رابعة ، تأليف **أليوت أرونسون** .

★ «**قراءات في الحيوانات الاجتماعية**» ، طبعة رابعة ، تأليف **إليوت أرونسون** .

★ «**الكيمياء العامة**» ، تأليف **دونالد ماكواري وبيتر روك** .

★ «**البروتينات ، التراكيب والخصائص الجزيئية**» ، تأليف **توماس كرايتون** .

★ «**مقدمة لتصميم الصور والاتصالات المرئية**» ، تأليف **جريج بيريمان** .

★ ★ ★

أخبار الغد

السعودية :

●● كتب جديدة ●●

● «**تاريخ الفكر الأوروبي الحديث**» ، ترجمة **أحمد الشيباني** ، **سيصدر في خمسة أجزاء** في طبعتها الثانية عن **مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر** .

تونس :

●● مؤتمر عن المدن المغربية ومجتمعاتها ●●

ستنظم الجمعية التونسية للمؤرخين الجامعيين المؤتمر الرابع للمؤرخين الجامعيين وذلك بتونس في أوائل شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٦ م ، تحت عنوان «**المدن المغربية ومجتمعاتها**» ، حيث ستعرض فيه عدة أبحاث تتعلق بتلك المدن قديمها وحديثها متناولة جميع الجوانب التي تهم واقع المدينة وخصائص المجتمعات التي تعيش فيها على أن مفهوم (المغرب) يتسع لكل بلاد الأندلس في العهد الوسيط .

هذا ، وقد دعى رئيس الجمعية الباحثين إلى المشاركة في هذا المؤتمر .

الباكستان :

●● مؤتمر عن الطب الإسلامي ●●

سيعقد في كراتشي خلال الفترة من ٩ إلى ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ م ، **المؤتمر العالمي الرابع للطب الإسلامي** ، وذلك تحت إشراف وتنظيم **المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية** ، حيث ستناقش فيه عدة أمور تتعلق :

★ **التراث الطبي النبوي** ـ وفيه عدة بحوث .

★ **الجوانب التطبيقية** للنصوص القرآنية والنبوية ـ وفيه عدة أبحاث .

★ **الطبابة في الإسلام** ـ حرفة ورسالة ، وفيه عدة أبحاث .

هذا ، وقد دعت المنظمة الباحثين للمشاركة في هذا المؤتمر وتقديم أعمالهم في موعد غايته ٣١ / ١ / ٨٦ م ، وذلك إلى **الأمانة العامة بوزارة الصحة الكويتية** .

بريطانيا :

●● معرض للكتاب العربي ●●

ستقيم جامعة الدول العربية خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) القادم ، وفي التاسع عشر منه معرضاً للكتاب العربي في لندن ، حيث سيستمر ثلاثة أيام .

سيشتمل المعرض الذي تشارك فيه مجموعة من دور النشر العربية والبريطانية والسفارات العربية في بريطانيا ومراكز الأبحاث العربية والمنظمات العربية المتخصصة ، بالإضافة إلى عرض الكتب ، على إقامة سلسلة من الندوات والبرامج الثقافية وقراءة للأشعار العربية ونماذج من الموسيقى العربية .

مسابقة أرامكو السنوية السابعة
للأطفال في الرسم

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية السابعة في الرسم للأطفال من البنين والبنات، إسهامًا منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى الأطفال في المملكة العربية السعودية.

موضوع المسابقة:

اختيار موضوع الرسم متروك للطفل

الجوائز:

خصص للفائزين في المسابقة خمس وسبعون جائزة، وقد قسمت هذه الجوائز إلى ثلاث فئات توزع على المتسابقين الفائزين كما يلي:

- خمس وعشرون جائزة للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات.
- خمس وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و١٠ سنوات.
- خمس وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

شروط المسابقة:

١- يستطيع أي طفل لا يزيد عمره على ١٤ عامًا، ويقيم حاليًا في المملكة، أن يشترك في المسابقة.

٢- يتقدم المتسابق برسم واحد فقط.

٣- يراعى أن لا تقل مساحة ورقة الرسم عن ٤٥ سم طولاً و٣٠ سم عرضًا.

٤- يرسم المشهد بالألوان التي يختارها المتسابق.

٥- ترسل الرسوم في مظروف مقوى حفاظًا عليها من التلف.

٦- يكتب المتسابق اسمه خلف الرسم بخط واضح بالإضافة إلى عمره وعنوانه واسم مدرسته ليسهل الاتصال به.

٧- يرسل المظروف في موعد أقصاه ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ الموافق ١ فبراير ١٩٨٦م إلى العنوان التالي:
مبنى الإدارة - ١١ - العلاقات العامة - غرفة رقم ٢٢١٦
أرامكو - الظهران. ويكتب في أعلى المظروف:
"مسابقة أرامكو السنوية السابعة للأطفال في الرسم".

تبقى جميع الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة مع الاحتفاظ بحق نشر أي منها حسب ما تراه الإدارة.

وسوف تنشر أسماء الفائزين في جميع الصحف والمجلات السعودية.

أرامكو

(PRI–4–85)

من كتاب هذا العدد



د. عبد الحميد بوشارب

★ من مواليد ولاية جيجل ـ الجزائر عام ١٩٤٥م.

★ أخصائي في أمراض العين وجراحتها.

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية.

★ عمل في جامعة الجزائر أستاذاً مساعداً في أمراض العين وجراحتها.

★ يعمل حالياً في مستشفى العيون الجراحي في دمشق.

★ له بعض الأبحاث، واشترك في بعض المؤتمرات.



د. عبد الكريم محمد بكار

★ من مواليد حمص ـ سورية عام ١٣٨٠هـ.

★ دكتوراه في أصول اللغة العربية ـ جامعة الأزهر.

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم ـ المملكة العربية السعودية.

★ له بعض الأعمال والمقالات.



د. محمد سعد قشوان

★ من مواليد أدكو ـ مصر عام ١٩٤٥م.

★ دكتوراه في الأدب والنقد.

★ عمل معيداً، فمدرساً، ثم أستاذاً مساعداً.

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في الكلية المتوسطة بالجوف.

★ له عدد من الكتب المطبوعة إلى جانب مجموعة من المقالات المنشورة في المجلات العربية.

راضية عبد الرحمن عبيد

★ من مواليد صفاقس ـ تونس عام ١٩٤٩م.

★ إجازة في اللغة والآداب العربية، وشهادة كفاءة للبحث العلمي.

★ تجيد الفرنسية والإنجليزية.

★ شاركت في بعض الدورات اللغوية.

★ لها العديد من المقالات والقصص وأعمال مترجمة.

★ تعمل حالياً مدرسة لغة بمعهد اللغة العربية ـ جامعة الملك سعود بالرياض.



محمد الجمل

★ من مواليد الإسكندرية ـ مصر، عام ١٩٣٥م.

★ ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية.

★ عضو اتحاد الكتّاب بمصر، وعضو مجلس إدارة الأتيليه بالإسكندرية.

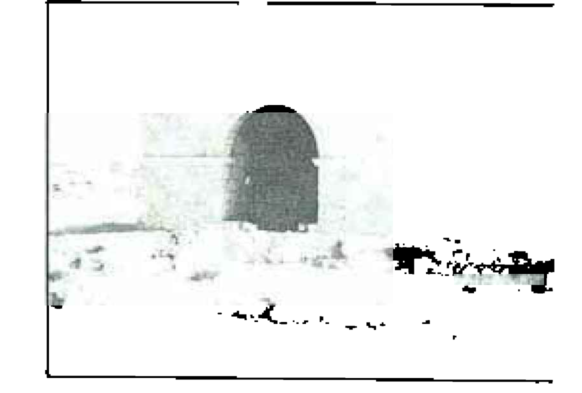


★ يكتب الرواية والمسرحية والقصة القصيرة.

★ نشر في الصحف والمجلات المصرية والعربية.

★ له عدد من المجموعات القصصية القصيرة والمسرحيات المطبوعة، وله رواية.

●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في ها



●● لت بزيارة للاردن .. حيث زرت الأرض التي دارت عليها «معركة مؤتة» . وزرت المساجد الأثرية والقلاع والقصور الإسلامية والقصور التي شهدت لتخليد قصص البطولات الإسلامية لصحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . طالع ص (٤) .



●● الدكتور عيسى الناعوري ، من الشخصيات الأدبية البارزة على الساحة الأردنية والعربية ، له في مختلف الفنون الأدبية صولات وجولات . جعلته يقف في طليعة كوكبة الأدباء الذين أرسوا دعائم الحركة الفكرية في الأردن . «الفيصل» في هذا العدد لقاء معه . طالع ص (٣٥) .

●● ذاعت «اختبارات الذكاء» في الغرب ، من المدرسة إلى المؤسسة . وها هو «إدوارد براززاي» يوضح مصدرها ، وطرقها ، ويوضح مواضع استعمالها ، ومواطن نقدها ، عن طريق بحث حول إيجابيات وسلبيات هذه الاختبارات . طالع ص (٥٩) .



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 104 - NINTH YEAR - NOV. 1985. العدد (١٠٤) - صفر ١٤٠٦ هـ - السنة التاسعة - تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥ م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات — All Correspondence To:

مجلة الفيصل - ص.ب (٣)
الرياض ١١٤١١ ، المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج. ع. اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESO	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

قيمة الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

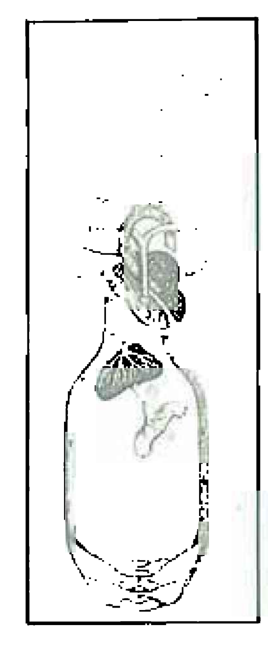
ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

... في هذا العدد ●●

●● كاتب مسلم - من بلاد السند المسلمة - شهر سيفه في وجه الجهل والفقر والمرض .. ذو أفكار مستقبلية الرؤية .. إنه الأستاذ «إسماعيل راجي الفاروقي» ، مدير المعهد العالمي للفكر الإسلامي «بواشنطن» . في كتابه : «أسلمة المعرفة : المبادئ العامة وخطة العمل» . طالع ص (٦٧) .

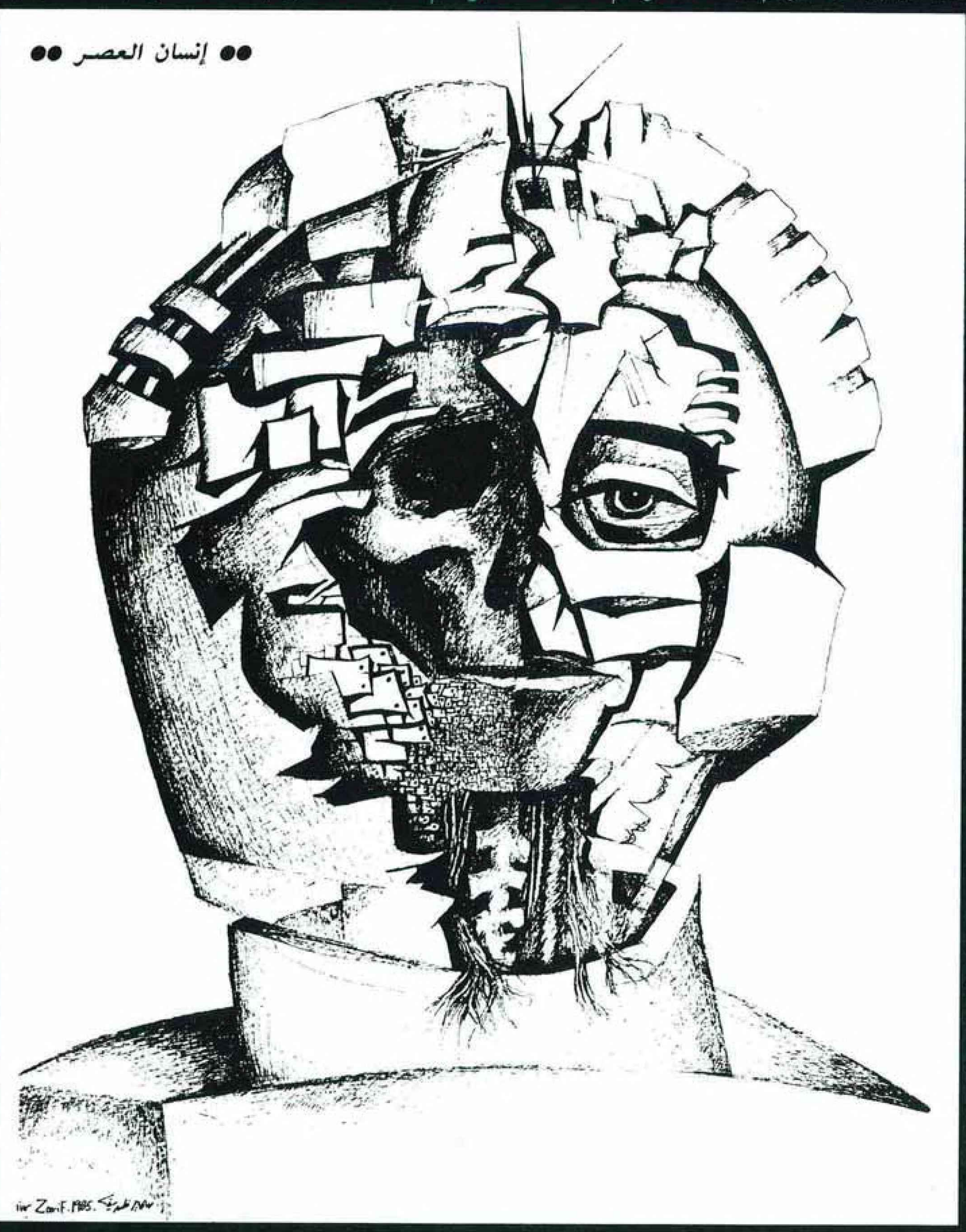


●● الكوليسترول من المركبات الهامة الداخلة في تركيب جسم الإنسان . هل يسبب أمراضاً على صحتنا ، كتصلب الشرايين وأمراض القلب ؟ .. أم إن لوجوده في الجسم وظائف معينة تستفيد منها الأعضاء المختلفة ؟ . طالع ص (٩١) .



●● الحديث عن «الذئب» في الشعر ، لا يخلو من طرافة . وهؤلاء ستة من الشعراء ، بين جاهليين وإسلاميين ، وكذلك من العباسيين ، نقف ، من خلال شعرهم ، على طبائع مختلفة أمام حيوان له طبع واحد ، هو طبع الشراسة والفتك . طالع ص (١٢٣) .

•• إنسان العصر ••



في العدد القادم

موعدك .. مع «مدينة وتاريخ» .

إنها مجموعة من الجزر البحرية .. تقع على البحر العربي .

هي عاصمة لإحدى الولايات في دولة آسيوية .. والميناء الرئيسي لتلك الدولة .

سابع أكبر مدينة في العالم

سميت : «الثغر الجميل» ، وسميت : «هوليود الشرق» .

عدد سكانها يقارب الثمانية ملايين نسمة

كتل بشرية تركب قطاراتها أو تنزل منها .. كل بضع دقائق !

عدد كبير من ركاب قطاراتها يقتلون ، أو يشوهون ، أو تبتر أعضاؤهم .. !

الفئران تعبث في المدينة فساداً ! ..

تأكل ما تلقاه في طريقها .. !

قيل إن نسبة الفئران فيها عشرة لكل فرد في المدينة !!

وماذا بعد ؟

الانتظار حتى العدد القادم !

